

يَقِظَةُ الْعَالَمِ الْيَهُودِيِّ

وَالْفَيْف

الْمَلِكِ الْيَهُودِيِّ

تَقِظَةُ الْعَالَمِ الْيَهُودِي

تأليف

ابن أبي بوعس

يحتوي على فصول وتعليقات
وحواش مستفيضة عن دقائق
أحوال اليهودية وتطورها الحديث
وفيه أشتات الوقائع والحوادث
التي وقعت في غابر الزمان وفي
آيامنا هذه وذكرات حدثت
لبنى اسرائيل جديدة بأن نحرص
عليها لما فيها من عظات وروادع
وذكرى وعبر .

حقوق التأليف والطبع محفوظة

القاهرة سنة ١٩٣٤

الطبعة الأولى

طبع بمطبعة النظام بمصر



مضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم
احمد فؤاد الاول



صاحب السعادة يوسف أصره قطاوى باشا



حضرة صاحب الفضيلة الحاجم الاكبر
حاجم ناحوم افردى



ابلی لبقی ابو عمل

الى عظيم الاسرائيليين

فرع روضة الفضل الاثيل

صاحب السعادة

يوسف أضلان قطاوى باشا

رئيس الطائفة الاسرائيلية

وزير المالية المصرية سابقاً

انى كتابى رعا بكم ولاد

وباسمكم الكريم استعاذ

مقدمة

يقظة العالم اليهودي

كتاب حديث الوضع اتدبت لتأليفه على أحدث أسلوب
يألفه المتخرجون وایسر منوال یسترسل الیه المتأدبون واسلس
نمط يرتاح الیه المحصلون وعقدت العزيمة بعد الاستمالة بالله الحي
الصمد على تذليل العقبات الكأداء التي تقوم في سبيل عملي هذا

ثم رعاية لحرمة الصنیمة لا یسغنی الا الاشارة بذكر أصدقائي
الذين أوحوا الي أن أجمع أشتات الوقائع والحوادث التي وقعت
في غابر الزمان وفي أيامنا هذه لاسيما وأن في جمعها وحفظها ما یضمن
لنا حفظ ذکریات حدثت لبني إسرائيل جدیرة بأن نحرص علیها
حرصاً شديداً لما فیها من عظات وروادع وذکری وعبر

ومن استمراء هذا السفر وأجال فيه فكرته الوقادة استشف
ما عانيت من الغناء في تأليفه والتوسع في معظم حواشيه لأخراجه

على أوضح منهج . وأتفق مخرج قصد أن يستأنس به العامة .
وتستقيم اليه الخاصة . وقد نهجت فيه خطة مستحدثة راعيت فيها
جانب الوضوح لعلها تستميل نظر القراء وتروق ذوي الحجب
وأولى النهى

وأني أشعر بشيء فيه كثير من الغبطة بلوغي هذه الأمنية
أي لكشفي الزناب عن حقائق كانت في ظلمات التاريخ فظهرت
في وضوح الضحى سافرة الوجه يراها ويتمعنها كل من له الملم بالغة
العربية أية كانت عقيدته . ونطلب الى الله أن يكلاًنا بعين عنايته
ويسدد خطواتنا . ويعاوننا فيما صبونا اليه في هذا العمل . وهو
خير مثوبة تتوخاها أنه السميع العليم

إيلي ليفي أبوعسل

يقظة العالم اليهودي

تناقبت الاحقاب . وتواتت الاجيال . ونحن نخبط خبط عشواء . لا ندري أين نسير . ولا نهتدي الى سواء السبيل . فلقد استمضى علينا اماطة اللثام عن تلك الاحاجي التي اكتفت أدوار الصهيونية في مصر . واستفسار الالغاز التي ظلت محدقة بها ردحاً طويلاً من الزمان . أجل توصلنا الى معرفة العهد الذي طمست فيه آثار الصهيونية في مصر . ودرست معالمها قبل نهضتها الحديثة . ولكننا لم نوفق الى معرفة سر تكوينها . ونشأتها . وانبثاقها . وعهد انبثاق فجر ظهورها وبيدنا نحن كذلك واذا بقمبوس من نور الحتمية انبعث بغتة من دياجى التاريخ وظلماته فانار طريقنا . وارشدنا . وهدانا الى الصراط المستقيم . والسبيل السوي . وأبان لنا أن مصر التي ضمت بين جوانحها هذه المملكة البديعة التي قدر لنا أن نتظل فيء عدلها النزيه . وننضوي تحت علمها الشريف هذه المملكة التي ساقنا الحظ الاوفر أن نعيش تحت اشراف مايكها المؤيد بالنصر . المجاهد في سبيل الخير والمجد الناصر الوية المعارف والعدل صاحب الجلالة احمد فؤاد الاول . أطال الله بقاءه . وأعز

ملكه . وأدامه ذخراً للبلاد قرير العين بنجله صاحب السمو الملكي
الأمير فاروق ولي العهد والبدر المنير في سماء المجد — هي المدينة
الوديمة الوديدة . الكبيرة السعود . مركز الحركة العقلية .
والعبرة العلمية . هي المدينة التي مابرح يهود مصر يستقون
من مناهلها العذبة . ويستدرون خير أراضها الخصبة . ولواء
الاصلاح خفاقاً فوق رؤوسهم . وقد تغلغت فيهم روح النشاط
العقلي والاجتماعي . ودبت في كل عضو من أعضائهم الحرارة
الصهيونية ديباً هائلاً فزته . وفشت العصبية الدينية في كل عرق
من عروقهم فحركته . وحضتهم على انتهاج مناهج الهدى والرشاد .
واتباع الاتجاهات الفكرية في مختلف التطورات التي أحدثتها
التيمة القومية بعد سباتهم العميق . وهجعتهم الطويلة . أبى الله سبحانه
وتعالى إلا أن تكون مصر منذ عصور متوغلة في التدمر مسرحاً
تمثل فيه عظماء الرجال ودهاة السياسيين الذين دونوا أسماءهم بحروف
من ذهب في صفحات تاريخنا العظيم . وأبى الله أيضاً إلا أن تكون
هذه البلاد شفيعة . عطوفة . تشفع لليهود في كل أعمالهم . كانت
شفاعتها برداً وسلاماً اثلجت صدورهم . وانعشت قلوبهم شفعت
لهم عند ما دارت مفاوضات هامة شديدة الأثر في مستقبل اليهود
وجرت أحداث سياسية مستفيضة . بين تبودور هرزل هذا الرجل

المصلح العظيم الذي هو من أكبر دعاة اليهود وأقطابهم وسنأتي على ذكر جلائل أعماله بعد — وبين الحكومة المصرية واللورد كرومر ممثل بريطانيا العظمى في وادي النيل . توالى المناقشات في خلالها حول إنشاء مستعمرة يهودية في منطقة العريش . وشفعت لهم عندما رحلت التجريدة الصهيونية من طريق القنطرة لاجراء تحقيقات خطيرة جدية . وشفعت لهم عندما منح محمد علي باشا الأكبر مؤسس الاسرة العلوية المالكة امتيازاً واسع المدى لموسى مونتوفوري المثير الشهير أجاز له فيه شراء اية مساحة من الاراضى الكائنة في ربوع الشام وفلسطين لجعلها ملجأ يأوى اليه المستعمرون من اليهود مع الاقرار لهم بشيء من الاستقلال . وشفعت لهم حينما قام كرميو أحد دعاة اليهود الفرنسيين في القرن الغابر وحض على تشييد صرح الاتحاد الاسرائيلي العام ونادى اليهود مستفزاً نعرتهم وحميتهم ليكون اتحاداً متماسك البنيان . ثابت الصبغة . لانقاذ الحضارة اليهودية من منحطها وعثرتها في ذلك الجو المربد القاتم السحب . بينما كان عهدئذ عضواً في حكومة الدفاع الوطني للجمهورية الفرنسية في سنة ١٨٧٠ . وقد وثب هذا الرجل وثبة الاسد الرئال الذائد عن حياض أشباله ووجه نداءه الى اليهود الفرنسيين . وغاه بعبارات كلها آيات

ينبات . وأظهر في محافل حاشدة . واجتماعات حافلة أن الشرق هو مهبط الوحي الذي يربطنا بروابط وثيقة العرى . متماسكة الاواصر . وهو التمس الوهاج الذي مافتيء بهر اورشليم بوميضه الساحر . وضيائه الباهر وأن نهوض الشرق هو الشرط الاول في سؤدد السلام . وراحة الانام . وحنن الدماء الحرام وحفظ موازنة العالم . واستواء الاقسام . شفعت لهم حينما فتحت تلك القناة السحرية التي كانت موضوع اعجاب العالم طراً . ومضرب الامثال . وهي قناة السويس . أي الشريان الذي هو قوام حياة الامبراطورية البريطانية . ومصدر نعيمها وقد ضمنت انكلترا لنفسها حق الرقابة عليها . وكان التدح المعلي في بلوغ هذا الارب لوزيرها اليهودي دزرائيلي النبي سمت مداركه السياسية . ونبوغه العقلي . وقد طبق صيته الخافقين لما اسبغ على تلك الامبراطورية من نعماء . وأغدق عليها من الآء لم يخطر ببالها حتى في الاحلام الجريئة ومازال شأنه يعلو . وعقيدة فضله تتمحص من الشك الى أن اتفق الناس على كونه أحد أفذاذ الغرب الذين قلما جاد بهم الدهر .
وواسطة عقد المجددين في عصره

وكان هذا الرجل جامعاً بين العلم والعمل فلا تجد ما يساوي فضله . وبلاغته . وسمو أفكاره . وقوة عارضته . وسحر بيانته .

وغزارة مروءته وطهارة أخلاقه . وهيات أن يأتي الزمان بمثله
كان سيد النابغين الحكماء . وأمير الخطباء البلغاء . داهية من
أعظم الدهاة . واسع الفكر والروية . لودعياً متوقداً الجنان . ساحر
البيان . ناري الكلام . لا يني له عزم . ولا يفل له حزم . خيراً
بطبائع العمران وأحوال المجتمع الانساني . ومناهج الحضارات
وأساليبها . والثقافات وضروبها الى المنطق السديد الذي لم يقارع
به خصما مهما علا كعبه الا أخفه . ولا نازل قرنا الا رماه بسكاته
وأجله يشهد على نبوغه السياسي البرنس بسمارك ذاته . فضلا عن
أنه نابغة من النوابغ المعدودين في مصاف فطاحل العلماء الاعلام .
كيف لا وقد رويت أخبار عبقريته موصولة الاسناد بالاسناد .
وشهرت أعماله شهرة واضحة الاشهاد . واننا اذا أردنا أن نأتي
على ذكر حياته من المهد الى اللحد مع ذكر منازعه بدقائقها .
وعقائده بحقائقها . ومنشئاته بنصوصها . وأخبار الحوادث التي
خاضها . والمسائل التي راضها لاستغرق ذلك الاسفار الضخام .
واذا كان الشعب اليهودي لم يجن أية ثمرة من هذا المشروع الذي
تمخضت عنه قرائنهم الحاضرة . وجملته في حيز الوجود أمواهم
الوافرة . فانه من المسلم به اجماعاً في عالم السياسة انه كان إتوطئة
الاولى التي نجمت عنها بوادر تصريح بلفور . ذلك التصريح

العظيم الذي القيت بذوره في مهاد العالم اليهودي قبل الحرب العظمى
بالأكثر . ومنذ ذلك الحين درجت هذه البذور ونمت . مزدادة
الاستعداد والقوة الحيوية نموًا مستسر المنهج . بطيء الحركة باديء
ذي بدء . في منطمة ضئيلة المدى تم على التوالي أصبح سبيلا أقوى
رشادًا وأوسع نطاقًا وتغلغات في أحشائه عوامل الحركة أبعد
متغلغل . وانبثت في عروقه فواعل النشاط أوسع منبث حتى كمال
اختباره . وتم استعداده وغدا متجليًا واضحًا . وناحيًا منحنى حميدًا
وشفعت لهم في النهاية عند ما أصدر نابوليون بوناپرت سنة
١٧٨٩ أمرًا لجيوشه هذا نصه :

« أجلاً واحتراماً لموسى الكليم »
« وللأمة اليهودية الذين أرشدانا الى »
« ما كان في غابر الأزمان . أمرنا بأن »
« يراعي جيل الشريعة بكل عناية وتبجيل »
« والدير المجاور له بكل تجلة واحترام »

اليهود في عهد الفراعنة

كان النبي موسى عليه السلام أول من تمخضت في ذهنه فكرة القومية اليهودية في غضون تلك الاحقاب والعصور تمخضاً شديداً . وكان أميراً من أكبر أمراء البلاط الفرعوني . ومع أنه كان قابضاً على أزمة البلاد كافة استنكفت نفسه الأيية أن يرى أبناء جنسه عبيداً أرقاء . يرسفون في اصفاد الذل والصغار . وراعه ما وصلوا اليه من بؤس وهوان . إذ تألبت طوائف تريد استئصال شأفهم بأية وسيلة كانت . وانخرط في سلكها جميع المشاغين الذين تهيم أشباحهم في كل اضطراب وثورة . أي كل متشف وحاقد . ومنامر . جلهم من الدهماء وحثالة القوم والاوزاع . فكانوا سيلا جارفاً . وناراً آكلة . ثمسرت عدوى الانتقام الى الجميع . وتسربت الى الجيش . وطبقات الاشراف فتضافر هؤلاء وأولئك ونشروا دعوتهم التي تطاير منها الشرر واللهب ، فصادفت دعوتهم الملتبهة هشياً يابساً . وأخذت تلك الدعوة تتمخض عن بوادر عنيفة .

وصدر الامر بمطاردة اليهود في كل مكان . حتى في عقر دارهم .
وفي أحضان أسرهم نخرج الفرعونيون من مرابطتهم كالطيور
الكواسر او الوحوش الضواري . تكشر عن أنيابها . واثبة لاقتراس
طريدتها . وطفقوا يسومونهم صنوف الذل وضروب الهوان
تألمت وأيم الحق هذه الامة مما عانت . وأنت من هول
ما لاقت . أنت أنين مكموم القؤلد . وبكت بكاء الشواكل . وذوي
التيألم . وتصاعدت زفراتها حتى بلغت عنان السماء . وعادت لا تقوى
على احتمال الصبر على المحن . وانحناء العنق للنير الذي بلغ أقصى
مداه . وكانت تلك العاصفة الفرعونية بهيوبها متقلعة كالسحابة وجارفة
كل شيء في سبيلها . وكادت تلك الجوارف الماحقة تدهم اليهود
المصريين لولا أن استفز هذا الارهاق حمية موسى . فثارت ثأثرته
واستشاط غضباً . وأوغر صدره خنقاً فأرغى وأزبد . وطفق يكافح
ويجاهد في سبيل انقاذهم . وما اخدت ثورة غضبه إلا عند ما أطلق
لهم عنان الحرية . فظهرت من ذلك العهد فكرة الصهيونية
السياسية بأسمى معانيها

تعالى الله الملك الحق . ما أجل نعمته فقد أبت عزته أن
يطيل أجل اليأس والبؤس . ويمد في حياة المحن والخطوب . فقد
أرسل لهم هذا النبي لحضهم على التماسك . واستئصال منازع

الشهوات ومقاومة التشاد . واعادتهم الى حظيرة الهدى وملجأ
الرشاد . ونبذ روح التنابد . والحرص على حسن السرائر . وصفاء
الضمائر ليكونوا في السراء والضراء . من أطهر الشعوب قلوبا .
ومن أشرف الأمم اخلاقا

يستطيع المرء أن يرجع بالفكر القهقري ويرتد إلى الاجيال
المتوغلة في القدم . ليتبين المحن والمآسي التي اكتتفت يوسف
الصديق ابن يعقوب عند ما شط به المزار . وهجر ارض كنعان .
وما حدث له من خطوب الزمان وتصاريف الحداث وما اجراه من
التدابير الحكيمة الفعالة لوقاية مصر من المجاعة والقحط اللذين
هددا كيانها سبع سنوات متوالية ثم ما ناله من الشرف الرفيع
الذي سما به الى اعتلاء منصب من اسمى مناصب الحكم في الدولة

تاريخ الصهيونية وموسى الكليم عليه السلام

فنحن اذا آمننا النظر جيداً نرى ان تاريخ الصهيونية في مصر يتناول أربعة أزمنة مختلفة . الاول زمن التوراة والثاني الزمن السابق لهرزل . والثالث الزمن المعاصر لهرزل الذي يبتديء من سنة ١٩٠٤ إلى آخر سنة ١٩١٨ والرابع الزمن التالي لتصريح بلفور وإذا كان زمن التوراة يرجع الى ما قبل ثلاثين قرناً فإنه يجدر بنا مع ذلك ان نجمل نظراً رجعياً للاحاطة بما تركته ماجريات الحوادث التاريخية من أثر عميق في مخيلة الانسان وتصوراته . وبما حدث من التطور العملي وما اليه من مختلف صور الانقلاب من دينية وتهذيبية وسياسية واقتصادية واجتماعية التي تخللت حياة الصهيونية حتى الآونة الحاضرة

على اننا نود الاشارة — دون الخوض في تفاصيل دقيقة — الى وقائع اقوى بروزاً واشد ظهوراً للعيان امتازت فيها عبقريتنا

المتينة وإلى الارادة المتأججة بنار الايمان التي كانت في كل زمان
ومكان تعمل على اذكاء الرغبة في قلوب اليهود واقتدسهم لعناق
فلسطين التي يهيمنون بحبها الطاهر وجداً. ويحنون إلى لقاء ربوعها
الخالدة شوقاً

لاذ موسى باذيال الفرار وهو في سن الاربعين ليس لسبب
ما سوى انه قضى على حياة احد المصريين الثرعونيين الذي كان
يسيء إلى اسرائيلي وبيته

هام موسى في المهامه والفتار . وطفق يتجول في فيافي
الصحراء وفي فضاءها الواسع . وفؤاده يتلظى بنار الاسب والشجون
وبينما هو سائر في طريقه اذ هبط عليه الوحي . واوحى اليه ان
ينشأ شعبه من وهداة الاسر الذي ناء باثقاله في مصر . ويتوده إلى
ارض الميعاد . فأخذت فكرة الهجرة والاستعمار التي كانت تختم
في ذهنه ترداد تجسماً واستفحالا . واسفرت عن خروج بني اسرائيل
من مصر . فأسرع موسى إلى نشر مبادئ الحرية وأمر بالضرب
على أيدي المعارضة والعمل على تقليم اظافرهما

تعرض موسى — للاضطلاع بما اوحى اليه — لشت
الاخطار والمجازفات . واستهدف لصنوف المحن والملمات وظال
يوالي جهوده برباطة جأش . وجلد ثابت في اعداد ابناء جنسه

للكفاح والنضال . ويدربهم على الكر والفر واساليب الحرب
في ميدان القتال . لكي يتم لهم الاستمتاع بعدئذ بحياة قومية
استقلالية . من الوجهتين المادية والسياسية . ويتسنى لهم إنشاء حضارة
تتدرج مدارج الرقي والثبات

شاءت الارادة الالهية أن يكمل موسى بأكليل النصر
والظفر . واراد المولى عز وجل . ان يوفق الى ما كان يصبو اليه
ويبتغيه . ويضع شعبه في احضان فلسطين .

ولج بنو اسرائيل بابها بعد ما عانوا من لواعج الشوق ألواناً .
وكابدوا من فرط الصبابة ضروباً . قتربعوا في دست مملكتها ما
يربى على بضعة اجيال . وغدوا امة رافلة في حلل المجد العظيم . تستجلى
في غضوناتها محيا الخير والنعيم .

ولئن كان النيل غمر مصر بنعمائه . وافاض عليها خيراته وآلاءه
وجعل تربتها اشد خصوبة . وسكانها اوفر ثروة وغناء من فلسطين
التي لا تضم في احشائها سوى نهر العرضي الذي لا يستقيم في سيره .
بل يجري في تعاريج شتى . وحنايا مختلفة . الا ان الشعب اليهودي آثر
شظف العيش فيها ومرارة الحياة . والصبر على المكاره . والجهاد
في سبيل الحرية . على ربة الخسف . وعذاب الاسترقاق في مصر

يوسف الصديق في مصر

نرح يوسف عن بلاد فلسطين وجعل قبة مراميه مصر .
هكذا شاء القدر الذي قاده اليها لا نقاذها من برائن المجاعة . ومخالب
التحط اللذين كادا يفتكان بها ويقضيان عليها . وهكذا شاء الحظ
أن يكون حاكماً على أهلها بعد أن زج في غيابات سجونها . قضى
العدل بأن يكون محوطاً بأكل ما يقتضيه هذا المنصب الرفيع
السامي من الكماليات والرفاهيه . وقد أمد الله في عمره . وبارك
في حياته الى أن بلغ المائة والعشرة من السنين . ولكنه قبل أن يجود
بالنفس الاخير . وقبل أن صعدت روحه الطاهرة الى جوار
خالقه . ناشدني اسرائيل الوفاء . وقطع عليهم عهداً أن تكون
أرض فلسطين مأواه وجوانحها مقره الأبدى ومشواه .

فهذا المفزى النفساني العظيم . وما انطوى عليه من المعاني
السامية . ورموزه البديعة . لهو أبغ ما عبر به انسان عن مقدار
ثبات اليهود العميق وغوره . في كل زمان ومكان . وعن أماني

الاتقياء الورعين فيهم . وهي أماني كانوا يتوقون اليها في ممر
العصور وكرور الاحقاب والدهور . أى الهجوع في مضاجعهم
الابدية فى الارض المقدسة التى ترفرف عليها روح الخالق النهار
ويعبر بنا أن نذكر في هذا المقام أن اليهود الذين قضى عليهم
القدر القاسى بالتفرق وتبدد الشمل فى أقطار المسكونة . لاسيما
اليهود النازلين فى اوروبا الشرقية قد تأصلت فيهم العادة أن يجهزوا
وهم على قيد الحياة . قطعة أرض لتكون مرقداً أبدياً . وجثثاً
يواري جثثهم بعد مفارقهم الحياة الدنيا

تالله . ما أجل هذه العقيدة . وما اسمى هذا الايمان . ايمان
الخلود . وعقيدة الابدية . أجل ان فى السماء خلوداً . وأن فى
الارض لايماناً . فأى دليل أشد استئثاراً بهوى النفس من
هذا الدليل وأى رمز أقوى من هذا الرمز . أى تخليد
الارادة وأصرارها على المحافظة على دوام الاتصال بالوطن
النائى حتى الممات

الملك سليمان وعلاقاته مع الدولة الفرعونية

ففي عهد حكم الملك سليمان كانت علائق الوداد التي تربط مملكة بني اسرائيل بالدولة الفرعونية شريفة الاواصر . طاهرة العناصر . وكان من مزايا هذا الوداد ونتائجه أن سليمان عليه السلام كان يؤثر استجلاب المواشي . والدواب اللازمة لخدمة التوافل التي يمد إليها في تموين المحاصيل ، من وادي النيل . ولشدة كلفه بها دفعته ميوله في نهاية الامر الى عقد زواجه على بنت من بنات فرعون ملك مصر وقتئذ وقد لاحظ المؤرخ ولس المعاصر ان حادثا كهذا كان ذا اثر عميق في تاريخ مصر . ذلك ان ملكا كالملك سليمان . لا يمتد حكمه وسلطانه الاعلى بلدان محصورة في دائرة ضئيلة المدى . استطاع أن يتزوج من أميرة فرعونية ، لهو دليل ناهض على ما كان عليه ملك بني اسرائيل في ايام مجده من السطوة والعظمة . وسمو المكانة لدى المصريين الذين كانوا يرون بعين الارتياح متدار الفوائد التي تعود على هاتين الامتين من جراء هذا الزواج الاثيل

المراحل التي اجتازتها الصهيونية

قلنا ان موسى كما تقدم الالماع كان أول من شيد صرح الصهيونية . ووطد دعائمها . ونشر مبادئها السياسية وقد اثبت لنا الواقع ان الصهيونية ليست في عهدنا هذا سوى حلقة من سلسلة متصلة حلقاتها بعضها ببعض اتصالا مستمسكا وثيقا ومتواثمة أجزائها تماسكا محكما شديداً

ثم قام بعده عدد من رواد الاصلاح ودعائه . كانوا في كل اعمالهم أميل الى انتهاج مناهج الرفق والموادعة . والروية منهم الى العنف . والمشاكسة والرعن . يهون ويوقظون ويحضون اليهود على انهاضها ويستحثونهم على الجهاد في سبيل اعلاء شأنها . ورفع مستواها الادبي والاجتماعي . فطفقت تعبر اوعر المفاوز العديدة المناحي . وتجتاز اشق الادوار المتشعبة المسالك بنفس هادئة وديعة . وجلد ثابت وطيد . فذاعت ذيوهاً قل ان يعرف له مثل ثم نمت وامتدت جذورها . وتشعبت اغصانها وفروعها . وأينعت ثمارها . فقد كبرت عليها احتماب عديدة . فما أوهنت هذه

الاحتماب منها جانباً ولا ضعضعت لها كياناً . بل كلما تنادم عهداً
ازدادت قوة ومناة واعتزازاً حتى غدت أبعد اساساً ومنبتاً .
واشق استئصالاً إذا اريد استئصالها واشد مقاومة لكل طاريء
عليها في جميع هذا الوجود الانساني والعمراني والاجتماعي .

فالرحلة الاولى التي تسنى لها اجتيازها . كانت الادوار التي
تعاقبت في عهد انبثاق صبح تاريخ بني اسرائيل . ثم تخللت بعدئذ
جميع الاجيال التي عمر فيها موسى وما يليها . ثم واصلت السير
بالسري . وما اتفكت تكد فيه كدّاً حثيثاً حتى لاح ضياء برقها
ووميض سنائها في أيامنا هذه . فلو أجالنا نظرنا في مشروع موسى
لنستشف ما انطوى عليه ادراكه . والمناذج التي انتهجها في سبيل
تحقيقه . لوجدناه يكاد يكون مطابقاً في معناه ومبناه لتعاليم هرزل
ونظرياته . التي جل مرماها اظهار الوصعة التي لا مزدوحة من ان
يوصم بها اليهود . والمار الذي يرتدونه إذا ظلوا واجمين واجنمين .
وتركوا زمام حياتهم تحت رحمة الامم التي تعاملهم معاملة الارقاء
واثارة وجدانهم . والحض على إيقاظ ارادتهم من سباتها والتمسك
بالكرامة . والافلات من التماقة الادبية وبؤسها .

كل هذه الزواجر تميظ اللثام . وتظهر لنا ان الخطط التي رسمها
هرزل . كانت على وتيرة واحدة مع التي وضعها موسى . وكانت

مشكاة يهتدون بهديها فأزالت عن أبصارهم غشاوة الجاهل والعبادة
التي كانت مخيمة عليهم . واشباح المحن والرزايا التي كانت تنتابهم .
فموسى وهرزل كانا صنوين لا يختلفان لا في المبدأ الذي كانا
ينشدهانه ولا في الهدف الذي كانا يرميان اليه

هما اثنان انا نريد ان نقارن بين هذين المصلحين . شاء الله
ان يكون للمقارنة بينهما في بعض النظريات الاجتماعية سبيل . هما
من دعاة الانصاف ثنائياً في مداواة علل شعبهما . والعمل على
رقية هالكاه عليه . آتراه على كل شيء . واستهاننا في سبيله كل شيء
شاء الطالع ان يقود كل منهما شعبه الى فلسطين . ولكن
أبي القدر الساخر إلا ان يققا على بابها واجمين . وجلين . ذاهلين .
لا يستطيعان الى الارتشاف من رضاها سبيلا

حاشا لله ان نجعل المقارنة متساوية بين هذين العظيمين ومعاذ
الله ان نسبك روحهما في جوهر واحد . بل اتينا على ذكرهما على
سبيل المجاز اذ ما من احد يجهل ان موسى كان في آن واحد
رسولا وفيلسوفاً وواعظاً ومشرعاً وكل يعلم ان هرزل كان رمزاً
للسلام وشعاراً للاستقامة والكمال فقد عانى في سبيل رقي اليهود
من وعناء الفكر ضروباً ومن كلال الاعمال صنوفاً فكم ليلة قضاه
مسهداً يرعى السهى في غسق الدجى يشحذ غرار افكاره

للوصول إلى تلطيف ما بهم من لوعة ووجوم فقد برى الكنفاح
هذا الرجل واضناه . كوى موته جوانح اليهود كياً ألماً . لعمرى لم
يكن هذا الرجل في حياته محتاجاً إلى نشر مناقبه ولا إلى اظهار
ما اسداه من كرمه وسخائه لما ناله من المجد والفخار وإلا لمدحنا
أعماله بمداد الجوارح وأذعنا ما آثره في المشارق والمغرب



تيودور هرزل

هرزل مولده ونشأته
ومشروعاته الاصلاحية

هرزل مولده ونشأته

ولد هذا الرجل بمدينة بودابست في اليوم الثاني من شهر مايو سنة ١٨٦٠ جادت الانسانية بهذا المولود ليكون كوكباً وهاجاً تستنير به اليهودية . ولم يكد ينبلج صبح حياته حتى احس في نفسه بميل شديد إلى اقتباس العلوم والمعارف فعكف على الدراسة الثانوية حتى اتمها . ففي سنة ١٨٧٨ نقل إلى مدرسة الحقوق بمدينة فينا عاصمة النمسا وبعد ان نال شهادتها النهائية (الليسانس) انخرط في سلك الجمعية اللغوية الالمانية ولكن نفسه الالية استنكفت مواصلة العمل فيها لما بداله من الحملات الغينية التي وجهتها هذه الجمعية نحو اليهودية

كان هذا الرجل مندفعاً إلى العلم اندفاعاً فطرياً وبعد ان درس الفقه الروماني والتشريع الاوربي واحرز الدكتوراه في الحقوق في سنة ١٨٨٤ طفق يزاول مهنة المحاماة امام محاكم فينا وسالزبورج ردحاً من الزمان وظل مستطرداً هذا الكناح حتى

سنة ١٨٨٨ ولعل العامل الاكبر في ذلك طموحه إلى اعتلاء منصب سام في مناصب القضاء ، بيد أن نفسه شئت الوحدة والاتحاد فتزوج في سنة ١٨٨٩ من فتاة كانت على جانب عظيم من نبل السجايا ومكارم الاخلاق تسمى جوليا نشاور . رزقت ثلاثة اولاد وهم بولين وهتس وترود ثم انتقل إلى باريس فعين في سنة ١٨٩٥ محرراً في جريدة « نوفريك بريس » وذلك في الوقت الذي نجمت فيه بوادر الاضطهاد الذي اثاره (دريمون محرر اللبر بارول، والماركيز دي موريس) نحو اليهودية بينما قد بلغت مسألة القومية الفرنسية اعلى ذروتها وغلت مراحل العدوان غلياناً هائلاً كادت تقضي على امانى اليهود الامر الذي جعل مشروع المملكة اليهودية يحترق في ذهن هرزل

هرزل ومشروعاته الاصلاحية

اصبح هذا الرجل من غلاة الصهيونيين ودعاتهم وكان اعلام كعباً وأصلبهم عوداً وأرسخهم علماً بأسرار نهضات الامم وتقدمها . دامغ الحجة قاطع البرهان . ناهجاً مناهج قويمه . ومتبعاً سبلاً سديدة . شاعراً حقاً بأن الفترة لعصيبة . وعالماً ان هذا الدور من اشد ادوار اليقظة وادوار التمحض والانتقال . وادرك حق الادراك انه إذا رام العالم اليهودي حقاً تحرير نفسه من تلك الاصفاد والافلات من نير الاستعباد . ينبغي له ان يسعى سعياً باتاً جامعاً للوحدة العامة . والرابطة الكبرى . والنهضة الصحيحة . القائمة على اسس العلم واركانه للحصول على الاستقلال السياسي الذي يجب ان يتقدمه التجدد الروحي . والعقلي . والعلمي . والادبي . والترقية النفسانية القويمة . وانه متى صامحت نفوس اليهود . واعتزت . وذكت . وأمست حائزة للمزايا النبيلة التي تشمل إباء الضيم . وعياف النذل . سهل إذ ذاك كل عمل في سبيل هذا الاستقلال .

ولم تتوان هذه الروح المهرزلية فترة من الزمان عن العمل ولم تخمد حرارتها فيه . بل كلما اشتدت عليها النوائب كانت تزداد تأريثاً وإيقاداً . توصلنا إلى اعزاز هذه الرابطة . وذلك الاصلاح . وما برحت تعمل على النفخ في ضرم الصهيونية . وبث دعايتها ومازال هذا الرجل في نضال هائل . ومعمان رائع . سائراً في توطيدها سير الجبابة ذائداً عن سياجها حتى اصبحت اليوم عاملاً من أقوى العوامل في تيار الحركة اليهودية العالمية .

كانت تلك المؤثرات باعثاً قوياً على استيقاظ العصبية الجنسية والدينية عند اليهود . فهزت الصهيونية من اقصاها إلى اقصاها . لأن هذا الرجل ما اتفك يبسط لها ضرورة الاقلاع عن الافتخار الأجوف بمجد تالده . افتخاراً بالغاً حد القعود عن استئناف طلب العلى طريقاً . ودعاهم للوقوف على مافى العالم من وسائل التقدم . وذوائع العمران وأكدهم ان ارتقاء الممالك وحضارتها في هذا العصر . لم يأتيا عفواً بلا نصب . ولا هما منحة جادت بها الطبيعة . بل هي ثمرة التقدم . والفنون والعلوم . واكتناه اسرارها اكتناهاً توفرت فيه وسائل الثراء باستخراج كنوز الأرض . واحياء الصناعة والزراعة . وذلك نتيجة أمرين لاثالث لهما : العدل النزيه . والحرية الذاتية . وسرد لهم ما كان للعالم اليهودي في الأجيال

الحوالي من العظمة والسمو . ثم افلت شموسه . بسبب التقاعد .
واخذ يتخبط في الدجنات والظلمات . نعم بعث هذا الرجل في
الصهيونية روح الحرية . والعمل . والارتقاء فالدواهي التي دعت
اليهود . والنوازل التي نزلت بهم في خلال الحتب والقرون قد
جددت في اعماقهم عواطف التآخي . وانتواثق . واشعلت
صدورهم مقتاً . وكرهاً للبقاء الجائرين .

راح اليهود المنبثون في ارجاء العالم يجتازون هذا الدور الخطير .
للخروج من تلك الدياجي القائمة الكثيفة . وعلم هرزل يتحقق فوق
رؤوسهم . وقد نشطوا من عقالهم . والتفت نفوسهم مشتدة الحركة
والاتفعال . ينجحون إلى كل ضرب جديد من ضروب المطامح
والآمال . حسب ما تقتضيه سنن العمران يزعون منزعاً قومياً .
ويحاولون نهضة وطنية . تحركهم روح الايمان . والصبغة الدينية .

اقام منشي بن اسرائيل في كتابه القويم (نشات هاحيم)
ارواح الاحياء الدليل بالينة الدامغة على ان الفلسفة المصرية
والأغريقية مستقاة في الأصل من الأساطير المقدسة ومشتقة منها .
ولما كان افلاطون قد تغذى بلبانها ورضع أفلاويق تعاليمها اطلق
عليه فيما بعد اسم موسى الاغريقي

ناحوم سو كولو

وأحكام القانون

وقد ذكر المرحوم ناحوم سو كولو في كتابه تاريخ الصهيونية إن أحكام القانون التي أمر موسى بتطبيقها يجب اعتبارها بمثابة دستور مقدس منيع . وضعه المولى عز وجل قبساً وهاجاً لبني اسرائيل لهدايتهم . لأنه هو الملك الوحيد المراقب لحركاتهم . والمهيمن عليهم فاللستور هو الشريعة التي يخضعون لأحكامها . ولا يستطيع اي انسان انتهاك حرمتها . والكهنة واللاويون هم قادة الدين وزعماءه . واما الانبياء فانهم رسل الله . ومنفذو ارادته . وأشار الى ان الملكة يجب اعتبارها عرشاً سماوياً ينبعث منه النور الالهي . يحكمه الخالق بمحض إرادته . والملك ليس سوى حاكم في الأرض . لا حول له ولا طول إلا بقوة الله يأمر بأمر الخي القهار . المحجوب عن الأبصار .

ولما كانت حقوق السلطة المخولة للملك محصورة في دائرة دستورية لا يتعداها . وجب عليه وعلى من عهد اليهم في شرح الشريعة وتفسيرها . الرضوخ والاذعان كما جاء في نصوصها

وشروحاتها. كما يخضع لها الملوك الدستوريون في عصرنا هذا
ولسنا نتورع لحظة من الجزم بأن مملكة كرهذه قائمة على
الانصاف والنزاهة. لم نجد عن مبادئ العدالة قيد أنملة. لهي وأيم
الله عديمة النظير. لا مثل لها في أي عهد كان بين الأمم الأخرى
وقد عقد الشعب اليهودي العزيمة على ان لا يألو جهداً في سبيل
انهاض مستواه الأدبي والاجتماعي. وعلى ان يظل دائماً في هذا
العمل حتى يغدو مثلاً أعلى للأمم الأرض قاطبة. وقدوة لهم في
مستقبل الأيام.

على ان الفكرة الأساسية التي كانت تجيش في صدر موسى
هي ان مستقبل القومية اليهودية لا يسم له محيا السعادة. ولا
يرجى له النجاح إلا بتملك الشعب اليهودي الأرض في فلسطين
تملكاً مستديماً خالداً. إذ ان الاقامة خارج الوطن ليست في
الحقيقة إلا مظهراً من مظاهر التفرقة الهدامة الأليمة. مع ما تجره
وراءها من محن وخطوب وتبديد للشمل. وفناء. فهي نذير السوء
تفتك كالأمراض الوبائية فتكا ذريعاً. ومصيرها آيل الى الاندثار.
والانحطاط. والبوار. اما الحياة داخل الوطن أي الالتئام. ولم
الشعث. فهي حياة تضام من ثابت. واتحاد وثيق. فهي طليعة الخير
والسودد. تبشر بحياة هنيئة مرضية يسودها الأمن ورغد العيش والرفاهية

لا مرء في انا اذا محصنا عواطف هذا الكلم تحيياً نزيهاً
دقيقاً . وجدناه معتصماً بتلايب عقيدته . و متمسكاً بآردان وطنيته
تمسكاً متيناً عميقاً . اي انه جامع لثلاثة مبادئ قوية شريفة راسخة
في دمه ولحمه وجوارحه . لا تقبل انحلالاً . ولا انشكاكاً .
لا ينصرف عنها قيد شعرة . ولا يستطيع احد من اليهود انكارها .
اللهم إلا إذا انكر صحة ما جاء بأسفار التوراة . ونفى وجود
موسى ومعجزاته . تقياً اثماً .

الزمن السابق لهززل

ابنا في ما تقدم ما حدث من التطورات في عهد يوسف الصديق . وموسى الكليم . فكان من حكم علينا ان نسرده لكم الزمن السابق لهززل . وهو زمن تعاقبت فيه حقتان متباينتان مختلفتان في أعمارهما . وفي التطورات التي حدثت في غضونهما . فالدور الأول كان طويل المدى . ينيف على ثمانية عشر قرنا . قلما حدث في خلاله شيء جدير بالاهتمام .. سوى حادث شديد الأثر وقع في الفترة الأخيرة منه يجهله الكثيرون وسنأتي على ذكره بعد . أما القرن التاسع عشر . فكان على نقیض ذلك . بل كان فياضا بالمفاجآت . غاصا بحوادث وقعت في مصر . نستطيع القول بأن الرجال الذين لعبوا دوراً هاماً فيها كانوا بلا مشاحة من عظماء الرجال . وفي طليعة المبشرين بالعمل الهائل الذي ينجز الآن في أرض بني اسرائيل .

وفي مهد الحوادث التي تخللت الأحقاب الستة الأولى . كان اليهود المستوطنون مصر . على اتصال مطرد باخوانهم في بلاد الجليل

التي استقر بهم المقام فيها بعد ما طردهم الرومان . وأوسعهم عذابا وإرهاقا . ونبذوهم نبذ النواة . وفي وسط هذه العلاقات مد يهود مصر يد المساعدة والمؤازرة لآخوانهم للنهوض بالعمل الأثري الخالد في فلسطين . وعاونوهم في انشاء كتاب التلمود . وتنسيق عباراته . كما عاونوا آخوانهم في الأقاليم الأخرى ماديا وأديبا . وحضوهم على التفاني في سبيل تقويض صروح الاستبداد والعسف الذين كان يعاملهم بهما أولئك الطغاة الفاتحون .



ثورة باركوخباه الكبرى

ثم انتشر اليهود في القرن التالي. وانبثوا في الأرجاء المجاورة وأقبلوا عليها زرافات ووحدانا على أثر العصيان الجريء الباسل الذي جاهرت به جميعات يهودية متفرقة. ثم أعقب ذلك هياج وشغب. أورى المشاغبون أوارها. وأضرموها نارها. فأخذت اليقظة الصهيونية تجوب أفاق العالم اليهودي. وهب اليهود من كل فج هبة الذعر وهاجت فيهم النعرة الدينية. وطفقوا يوقدون نار حماسهم حتى كانت ثورة (باركوخباه الكبرى). فظهر هؤلاء اليهود من شدة الاستبسال والمغامرة في القتال. ما لم يسمع بمثله من قبل. وقد تألفت عهدئذ في مصر جموع عديدة من اليهود أنهالت من كل حذب وصوب. وتماسكت اجزاؤها بعضها ببعض تماسكا وثيقا حتى أصبحت كتلة واحدة منيعة السياج. لا تجرؤ عوامل الدهر على انفكاكها. لها معابدها ومدارسها. ومعاهدها. وبلغ فيها الشعور الوطني أعلى ذراه. والثقافة الادبية والعلمية أقصى تقدمها كانت هذه الكتلة أمينة وفية كل الوفاء. وحريصة شديدة الحرص على ولائها لوطنها التالد الذي ما فتئت على اتصال تام به.

بنيامين الفاتح

على أنه لم يكد يندبج صبح القرن السابع حتى أشرق في سماء فلسطين. شهاب ثاقب جديد. فأضاءها بوميضه الساطع . وجماله الرائع . فتوسم اليهود في وجه هذا البدر مخائل السعادة. وعلامات الخير التي ما زالوا يحلمون بها . نعم هداهم هذا البدر بنوره الوهاج . في برهة وجيزة من الزمان . وأرشدهم الى الضلالة التي كانوا ينشدونها ذلك ان فلسطين استعادت استقلالها القديم . بسبب ان كسرى ملك الفرس كان قد أعلن الحرب على الصالحين . فتأهب اليهود للقائه واستقبلوه استقبالا باهرا وطابوا اليه التآزر والتعاون لينخوضوا معاً معامع القتال . وليشتركوا في حومة الوغى والنضال وطفقوا يتضرعون الى الله سبحانه وتعالى . وعلاضجيجهم الحربي وانا ف حتى بلغ عنان السهي

وكان في مصر وقتئذ رجل يهودي ماهر في فنون الحرب طامح الى المعالي يدعى بنيامين قام بتنظيم جيش مؤلف من ثلاثين الف رجل . وهرع الى الانضواء تحت علم هذا القائد كل من كان

على مثل بسالته . وتضخ في أبواقه فانتظم في سلكه نخبة الشبيبة التي تحركها جذوة الارادة المضطربة . وكل الذين تهيمن شجاعتهم في ساحة الحرب واقتحام الاخطار . أي كل فارس غضنفر وشهم متحمس وبطل مغوار . فانضم هؤلاء الى أولئك . وخاضوا المنايا . وقد أطربهم وقوع القواضب . ورنين المرفقات . فأبلوا في عدوهم بلاء حسناً . وفتح هذا الشهم بمعاونة هذا الملك العظيم معظم بلاد فلسطين . ثم تولى ادارة شئونها . وقبض على زمام أحكامها مدى أربع عشرة سنة .

فكان هذا المجاهد أجزل نجاحاً . وأوفر حظاً من أبي عيسى اليهودي . الذي جرد هو أيضاً جيشاً مؤلفاً من يهود الشام . ويهود العراق للغرض نفسه . ولكن سرعان ما تداعى هذا النجاح . وغفت رسومه فكان قصير العمر ضئيل المدى . أشبه بسحابة صيف ما عمت حتى انقشعت وزالت (انظر كتاب برنستين في الصهيونية صفحة ٧)

قال لي ناشدتك الله . أية بسالة تضارع هذه البسالة . فلمع الحق ان أولئك الابطال . الذين تتلظى في أفئدتهم شعلة الوطنية الملتهبة . هؤلاء البواسل الذين اقتحموا بقيادة هذا اليهودي المصري غمار تلك المعارك . بين صهيل الصافيات وصليل الصوارم .

والحرب دائرة الرحي . والموت أمامهم فاغر فاه . وسيف الغدر
ينذرهم بالقناء . لهم جديرون حقاً بأن تكتب أسماؤهم في
صفحات الفخر وسجلات الخلود .

ومما يستأنس به في هذا المقام . أن اليهود مهما أخنى عليهم
الدهر . وأزرى بهم الزمان . فإنه لا يعدم عن أورشليم بؤس
ولا ضحك . ولا يسرفهم عنها وهن ولا كلال . بل تغريهم بها
الكوارث كلما زاد عليهم وطؤها . وناء بهم عبثها . فأصبحوا كلفين
بها . راغبين فيها . لا يحيون إلا لها . ولا يقتبطون إلا بها . فليس
من العسير أن تطلق لذهنك العنان فحدث وابتكر . وصف . ولا
حرج . ولكن مهما تبذل من قوة النفس فليس إلى الغبطة بأورشليم
والى ابتهاج العودة إلى الوطن من سبيل . فهما فوق الوصف .
لأن فيهما من اللانهاية . وقد عزام هذا الابتهاج عن البؤس
وسوء الحال .

نعم ليس بعجيب إذا رأينا اليهود متهاكين عليها . باذلين
أرواحهم ومهجهم وكل عزيز لديهم في حبها . وانهم ليسوا بمسرفين
إذا تفاؤوا في سبيل احتضانها . وليسوا بمغالين إذا أطنب مصاقع
خطبتهم . وفول شعرائهم في وصف روعتها وبهاثها . وتغزلوا
بسحراً ما كنها ورهة معايدتها .

وقد فاه أحدهم بهذه العبارات التي تسيل رقة وتؤثر في
الوجدان تأثيراً شاعرياً .

«أي أورشليم . ألا آيتها المدينة الفتانة . انك وأيم»
«الحق مدينة . ساحرة جذابة . فوالله لا أدري»
«أرحيق . أو كوثر . أم سلاف يسيل من ثغرك»
«الصافي . أم سحر . أم طلسم . أم آيات كتبت»
«على ذاك المبسم الشافي . ليت شعري هلا درى»
«العاشقون أنهم قبل رشف رضاك يسكرون»
«من خمرة لملك . أو فطن اهل السقام الى خفايا»
«تلك الرموز فجاءوا يبعثون البرء من ثناياك » .

ولا يخامرنا شك في ان زعماءنا الصهيونيين لم يحجموا عن
جمع هذه الحوادث وتنسيقها . ولم يتورعوا من الاستفادة منها .
وابرازها بصورة اثار وجدان مؤتمر السلام الذي عقد بمدينة
فرساي . وذلك للاستعانة به في الذود عن مصالحهم . وتقرير
مصائرهم في فلسطين . تقريراً راسخاً وطيداً . كلما استطاعوا الى
ذلك سبيلاً .

ويخيل لنا انه لم يبد أي نشاط جدير بالذكر خلال هذه
الاحقاب من قبل الصهيونيين في مصر . اللهم الا بعض شغب

موضعي حدث في سنة ١٦٦٣ استنكفروا منه وحملهم على أن يعكفوا
الامتنعة . ويشدوا الرحال ويؤبوا الى فلسطين بعد بيع ممتلكاتهم .
وأعيانهم وتصفيتهما . كما حدث في بلدان أخرى كإيطاليا . وألمانيا
وهولاندا .

على أنك تستطيع تعليل جمود العمل . وشل حركة نشاطه . بأقول
نجم يهود بابل وانمحاقه . وهذا الجمود كان شديد الغور . عميق
الأثر . أحس به اليهود المصريون . وشعروا بويلاته . ذلك ان
مدينة بابل . كانت المنهل الوحيد الذي كان يروي أواهم . بحلاوة
كوثره . والمهبط الفريد الذي كانوا يستمدون وحيهم منه .

في مهد الفتوحات الاسلامية،

واحتفاء أمراء العرب باليهود

واكرام وفادتهم

في مهد الفتوحات الاسلامية . والغزوات العربية . هجر اليهود تلك المدينة . وتركوها تنعى من بناها . وولوا وجههم شطر الاندلس ثم اقتني أثرهم جماعات من يهود مصر . فنزلوا ضيوفا على أمراء العرب المسلمين . ولجأوا إلى سخائهم القطري . وكرمهم الحامى . ولم يكن من هؤلاء الأجاويد الا أن أحسنوا ضيافتهم . واکرموا وفادتهم . وانزلوهم بين ظهرانيتهم واحاطوهم بشيء كثير من العطف والعناية . فرفلوا في مروط المرح . وطاب عيشهم هنالك . واستمروا لذة الحياة . وعذوبة المعيشة . بعد طول الاحن التي المت بهم والكوارث التي ساورتهم . وهكذا سكن نائر روعهم . وانتشعت غياهب بؤسهم . فأنشأوا معهداً علمياً نفخا . كان كعبة العلماء . ومحط رجال الشعراء . وقبة الادباء . ونطس الأطباء . وأسفر ذلك التضافر العلمي والاجتماعي . والتعاون العقلي والأدبي . عن إبراز نقائس العلوم وكنوزها وتحف الفنون ورموزها . نقائس تسامى ذكرها . وتعالى قدرها . وطبق صيت مؤلفيها الآفاق . وشهرة واضعها العالمين

علماء اليهود والامان

لامشاحة أن كل من تبحر في العلوم الاقتصادية والاجتماعية وتوغل في أعماقها. ينظر الى أعمال اليهود الامان بعين العجب . وتقريره الدهشة لما أنتجته هذه العبقريّة الخلافة. التي استمدت وحيها من ذههم الثاقب . وما أظهرته من الثقافة ومناهج العلوم في القارة الاوربية في أيامنا هذه. والمخترعات التي فاقت حدود اذهان البشر وما أنجبتة من فطاحل العلماء ومن الفلاسفة والمثليين. وما أحرزوه رغم الاضطهادات . من المكانة السامية في ميدان النشاط العقلي كما أحرزوا مكانة رفيعة في ميدان النشاط الصناعي وغدوا قوة سياسية لا يستهان بها . وحسبنا دليلاً ناهضاً على ما قدمناه هذا التعاقد البديع . والتضامن السامي . اللذان ظهرا الآن من جانب الاسرائيليين في جميع أقطار المسكونة. من أقصاها الى أقصاها وهذه المقاطعة البديعة في تنظيمها . التي اتخذها يهود العالم سلاحاً ماضياً لمقاومة الامان . ووسيلة فعالة لشل تجارتهم . واستنزاف مواردهم مالية كانت أم صناعية في كل فج من أفعالها . لا سيما في مصر . اذ ليس من شك في أن الذي قام بتنظيم هذه المطاردة للضرب على أيدي الحيف والجور هما اثنان أولهما :

الاستاذ ليون كاسترو

كاد الالمان لليهود وأغروا بهم الناس واذاعوا حولهم أشاعات
السوء فقالوهم بما نالوهم به من ألوان الأذى بهذا النحو من الانتقام
وبهذا النحو من التشفي وارادوا أن ياكلوا بهم .

وضع الالمان بين أيدي الناس في أواخر سنة ١٩٣٣ بإيعاز
من بعض دعاة السوء منهم نشرة باللغتين الالمانية والفرنسية ضد
اليهود ومن استقراء هذه النشرة القاذفة سبابا وأمعن فيها نظراً
نزيها استشف من خلاياها صنوفاً شتى من الهجو والتشيع وضروبا
جمة من القذح والتشهير . استشف اشنع الأكاذيب واسوأ الترهات
وابشع السفطات وأقزع الألفاظ .

وكان القائد الى هذه الرزايا والسائق الى هاته المناكر تفر
من هؤلاء القوم .

خاصم اليهود الالمان فلجأوا الى الاحتكام . واختصموا الى
هيئة نزيهة . احتكموا الى قضاة بعيدين عن التأثير بالمظاهر بريئين
عن التعصب وفي طليعتهم رئيسهم الجليل فالكيكو .



الاستاذ ليون كاسترو

برز في ميدان النضال للدفاع عنهم والتودع عن حجام البطل
الصنديد والمقارح الشديد ليون كاسترو

خاض كاسترو غمار هذه الحرب القضائية وحده بيد ان نضاله
كان محصوراً في دائرة من الدفع الفرعي محدودة

اعلن الرئيس فتح الجلسة وكان ذلك في اليوم السادس عشر
من شهر يناير سنة ١٩٣٤. كانت هذه القضية من أهم القضايا
التاريخية التي شهدتها المحكمة لاحتلطة فقد بلغ الزحام ذراه واللفظ اقصاه
نعم كانت الفترة لمصيبة وكانت قاعة الجلسة غاصة بالجمهور
حافلة بالمحامين اليهود وغير اليهود ومحوري الصحف والسيدات
والآ نسات وأعظم الناس. ثم ساد الصمت أثر اعلان فتح الجلسة
وفي وسط هذا السكون الرهيب لم يسمع سوى تصاعد الأتقاس
ودقت القلوب. ولغة العيون، وأما الاذهان فكانت تذهب في
تخيالاتها واقتراحاتها مذاهب شتى.

كان كاسترو في دفاعه وكفاحه بأسلا شديد العارضة قوي
البرهان - وفي تدفق عباراته شجاعاً بارعاً رابط الجأش ثابت الجنان -
يتابع الدليل بالدليل وقرع الحجة بالحجة

انحصرت حماسة هذا الرجل في عواطفه وفي دمه وفي روحه
وفي وجدانه وفي كامل جوارحه

تكلم هذا الرجل فأشراأت أعناق الحاضرين لاستماع كلامه
وتشنيف آذانهم برشاقة عباراته المفرغة في قوالب البلاغة . وأبلى
بلاء حسناً في دفاعه عن نظرية موكله أو مبرقو يعيدش ومن معه
هنا يتعذر علينا سرد المرافعات وما تخللها من المناقشات
ولكننا نكتفي بالإشارة إلى المذكرة التي وضعها الاستاذ الجليل
ليون كاسترو وطبمها في مجلد يحتوي على ٢٠٠ صحيفة وقد فند
كل المطاعن والأكاذيب يبراهين ثابتة ودعم أقواله بحجج منمحة دامغة
وبأحكام قضائية صدرت من أعظم الهيئات التشريعية في العالم



سيمون ماني

سيمون ماني

والثاني هو سيمون ماني رئيس محفل بني بريث في مصر
الخطيب المصنع والكاتب اللوزعي الذي يعرف كيف يسحر
الباب السامعين برشاقة لفظه ويأخذ بمجامع قلوبهم بسحر بيانه
وبمباراته البليغة وبمحاضراته القويمة الحافزة بالاساليب الادبية
الرائعة. والاسانيد الدامغة والذي تعلم الطائفة مراقته الجلية
ونضاله النبل في سبيل رقيها وتقدمها ووتنمائه في السعي الى عمل
الخير فضلا عن انه مشهور بالافاعة في الحديث فاذا بدأ بموضوع
لا يتركه قبل ان يلم به من جميع نواحيه. ولا يدع زيادة لمستزيد وقد
تغلب عليه الوداعة والمرونة ويعرف كيف يضع السيف كما يعرف
كيف يضع الندي وهو وديع مع خصومه واعدائه واسع الصدر
كريم اليد يحفظ العهد للذين اخلصوا له الود

وحسبنا دليلا ناهضا على ما قدمناه انه في غضون سنة ١٩١٢ كان
هذا الشهم منتشيا الى جميعات شتى. ولكن نفسه الحريصة على المباديء
اليهودية الثابتة أبت المكوث في مصر وولى وجهه شطر الاسكندرية
للدخول في حرب المناقشات التي كانت دائرة الرحي حيث احتدم

الجدال حول مشكلة المدارس وعقباتها وحمي وطيس النضال لازالة هذه الحوائل وعثراتها فطلق ينشر المقال تلو المقال في الجرائد العربية والفرنسية ويوالى حملاته الصحفية التى رن صداها في آفاق مصر والاسكندرية ثم ظل يتوخى البحث عن الدرائع الفضلى وخير تعديل يعدل به المدارس اليهودية لوقاية التلامذة من شر الاغراء بتغيير عقيدتهم ويث الدعوة بين افراد الامة وعناصرها حتى اسفرت جهوده عن انشاء جمعية وطيدة الاركان غرضها الاسمى التهذيب العقلي وقبلة مراميها التريية المدرسية

كان هذا الرجل عاملا نشيطا فى حياة الطائفة وانعاشها فى مصر والاسكندرية وقد برهن اكثر من مرة على صدق عزيمته بدليل ما قدمه من المساعدة سنة ١٩١٤ عند ماترك يهود فلسطين بلادهم وولجوا هذه الديار وكان عددهم حينذاك يبلغ ذهاء ١٥ ألفا ولما كان هؤلاء التمساء يطوون أحشاؤهم على الطوى ويتقلبون على جمر الغضا لم ير هذا الشهم والحالة هذه مندوحة من توجيه ندائه الى كبراء اليهود وحضهم على التضافر فى سبيل عمل الخير فما كان من هؤلاء الا أن أعاروه أذنا صاغية فتألبوا حوله وانضوا تحت لوائه وفى طاعتهم المنفور له ادجار سوارس رئيسهم لامشاحة فى ان اتحاد الجماعات هو النظام الكفيل باستمرار

مبادئ عائشة زمانا طويلا اذ لا توفق امة الى ادراك غرض من اغراضها الا اذا اجمت عليه اجماعا صادقا وليس افسد لصحة هذا الاجماع من ان يتطرق الى نفسية الامة شيء من روح الارتياب في النجاح او يطوف عليها طائف من التشاؤم يرحلح - فميدة الثقة ويصدع اركان الاتحاد

رتع هؤلاء القوم في بحبوحة النعيم والسؤدد مدى اربع سنوات متوالية وذلك بفضل هذا الاتحاد البديع الذي اوجده هذا الشهم الكريم لاسيا وانه قام بتأسيس الكشافة اليهودية التي اiment ثمارها وامتدت جذورها ونالت شهرة عظيمة في مصر والاسكندرية وبورسعيد وأطلق عليها حينذاك اسم المكابي والحاشمونائهم اجل ضحى هذا الرجل بقسم كبير من حياته بدأبه في الحرص على مبادئه القويمه حرصا مقرونا بالنزاهة وبمثارته على السعى في انهاض ابناء جنسه اينما وجد الى ذلك سبيلا وقد تواتت عليه عبارات الثناء من كل فج من انجلاج القطر وسرعان ما سبما مقامه وتجلت اعماله حتى افضت به الى تعيينه سكرتيرا في جمعية ملجأ الايتام في مصر سنة ١٩١٩ ورئيسا لم حفل بني بريت الذي هو من اكبر الهيئات اليهودية الآن

أنظروا الى هذه الروح العظيمة القيامة بالعزم انظروا الى
هذه العاطفة الرقيقة المنعمة بالحزم فاما الارمز الى شعوره الراقى
وشعار خلقه السامي فله ما طهر هذه الروح ولعمري ما ارحم هذا
القلب اكثر الله من أمثاله

والحقيقة التي لا مرية فيها هي أن هذا الرجل هو أول من
وجه ندائه ورفع عقيرته عالياً في مدرسة الايتام (جوت دي ليه)
عندما نجمت بوادر المدوان من جانب الالمان وقام بتوثيق عرى
الرابطة التي رن صداها في كل فج من أفضاج مصر تلك الرابطة
البدية التي أجمت الطائفة على ان يكون سكرتيراً لها برئاسة
الاساذ ليون كلسترو يشد ازرهما في العمل اعضاؤها الاما جد
ارامينو منشى والير حاييم ويعقوب ويزمن وايزاك عميل

ليس بعجيب اذا أسرفت في الاطراء وتغاليت في المدح
فهذان الرجلان جديران بكل مدح واطراء وخليقان بان نسجل
لهما الشكر والتناء نعم قد ظهر هذا النبوغ الادبي والعلمي الذي
نجمت بوادره في عصرنا هذا ظهوراً بينا لاسيما وان اليهود
الالمان لم يقصروا تقوسهم على النعم بالنعم المادية واستلذاذ الترف
ورخاء العيش بل عكفوا جادين على ترقية العلوم والفنون وآراء
الحضارات القديمة فتشاً عن جمع هذا الجدان ابهر اليهود ببلدان

أوروبا بوميض علمهم الواسع ومبلغ فهمهم الشاسع . وأظهروا
للملاء ان طاقة عظيمة من الكيمايين الالمان والاوريين القائمين
بالاكتشافات العلمية الحديثة التي ماقتت تعمل علي انقاذ الانسانية
من الجرائم القتالة . والاوثة الفتاكة . وارشدت الطب الى مناهج
قوية ثابتة تقي شر الزل والعشور ، هم من اليهود . وان معظم قادة
المجامع اللغوية في القارة الاوربية . وأقسام العلوم العالية واساتذة
الجامعة هم من اليهود . واغلبية حكام الهند وفلسطين . والسفراء .
والوزراء . وكواكب الثقافة . ودور التمثيل . والقضاة الذين
اشتهروا بالنزاهة . وعدم المحاباة هم من اليهود . وليس أدل على
ذلك من ذكر اسماء بعض البقريين الذين هم واسطة قلادة المانيا .
ودر تاج عزها وفخرها . منهم الالمان البكتريولوجيان . ارليخ .
وواسترمان . وجوليس ستاهل واضع النظام السياسي لحزب
المحافظين البروسي وبرنار دزنبرج وزير المستعمرات في عهد
الامبراطور غليوم . وبول ارليخ البكتريولوجي العظيم الذي نال
جائزة نوبيل ووسع مناهج الطب باظهار بشلس السل بطريقة
واضحة جلية والمصل لمكافحة مرض الدفتريا والالمان الطبيعيان
هنريك هرزل وانشتين صاحب نظرية النسبية تلك النظرية التي
اثارت ثورة علمية عالمية . وقلبت افكار العالم . وستقلب جميع العلوم

الطبيعية رأساً على عقب . ومنهم الطيار ! كثر الذي جاب السموات راكباتن الأفق . طاويا فضاءها بمنطاده العجيب وعلم المانيا يحقق على أركانه . هذا الرجل الذي أصبحت شهرته في عالم الطيران أشهر من نار على علم ومكانته أبعد منالاً من الجوزاء . ومنهم الجغرافي بللين الذي أنشأ الأسطول التجاري قبل الحرب . ووسع نطاق التجارة بين جميع البلدان الأخرى وبين المانيا حتى غمر أربعة أركان المسكونة بفضائنها . وأخذت موارد الثروة تنفيض على الألمان بفضل هذا اليهودي المبتكر وهكذا دبت الحياة ديبها الهائل في تجارتهم . وطفقت تخطو الى الامام خطوات الجبارة . قابضة على طلاس المعاملات والصفقات . ومنهم ولتر رتانو الواعظ نظام المواد الأولية . ورئيس التموين الذي تقفخ في روح المانيا . وانعشها ومد في حياتها ونشاطها بحسن تديره وفرط ذكائه . ومكنها من الثبات في تلك الحرب الضروس اربع سنوات ونصف سنة وجعلها تجابه وحدها دول اوربا اجمع . لم تظهر في خلالها كلالا ولا ملالا ومنهم الكيميائي القدير « فرتر هابر » الذي اخترع . والحرب في شدة ثورانها وانفجارها - الطريقة العملية التي ساعدت على استخراج عنصر الازوت من الهواء الكروي . واستعماله في السام الازوتي الاصطناعي . وفي المفرقات والقنابل

الجهنمية . والقذائف الهائلة . فاذن ليس بعجيب اذا كان هذا
السمو العقلي الفائق اثار عواطف الحسد وحرك مكامن التحامل
والاضغان في بعض البلدان التي لعبت فيها أيدي خصوم الساميين
الذين أكلت نار الغيرة قلوبهم وجعلهم يحرقون الارم ويحملون
على عظمة اليهود بالصوارم ويتشبون في رقابهم المخالب ويرومون
تمزيقهم كل ممزق . واذن لا بدع اذا أخذت مراحل العداء تشتد
غليانا في كل صقع من اصقاع تلك البلدان . وطلق ضرم التعصب
يزداد لظى وتسعرا في كل فج من أفتاجها . فاكفر الجو .
وأربد الافق . وقصفت الرعود منذرة باهول الصواعق وعرت
شجرة الحضارة هزات عنيفة بلغت أقصى جذورها في تربتها

العالم فرترهاير مكتشف عنصر الازوت

في المدة الاخيرة تناولت جريدة من أمهات جرائد لندن بحثاً جدياً مستفيضاً في مسألة عنصر الازوت الذي هو كما تعلمون من العوامل التي سيكون لها أثر عميق وصدى عظيم لعلاقته بتوفير اسباب الحضارة والعمران في أيامنا هذه . فعنصر الازوت هو في الواقع العنصر الاساسي الذي اذا امتزج ببعض عناصر أخرى يتسنى للمصانع تركيب السماد . والمفرقات . والقذائف . ومن مميزات الفعالة أنه يساعد مساعدة عظيمة على خصوبة الارض وتغويتها وانماء اثمارها وأيناعها . وقد يستخلص منه « النترير وتولنول » الذي هو أشد قوة . وأسرع حركة في العمل . وكان هذا العنصر يستخرج حتى سنة ١٩١٣ من حقول النترات الشاسعة في مناطق شيلي بأمريكا الجنوبية . ولكن لما رأأت الحكومات ان توالى استجلاب هذا العنصر من هذه الارحاء يؤدي الى استنفاده ونضوب موارده مع كروور الايام . أخذت تقترح زناد الفكر

وتبحث عن الوسيلة المثلى لعلها تهتدى الى الضالة المنشودة قبل أن تفاجئها الطواريء . وتأخذها على غرة عاجلا كان أو آجلا . فعمدت أخيراً الى المناهج الكيميائية العلمية . ولكن انى لهذا الوصول الى نتيجة عملية وافية ان لم يكن بين العبثيين . رجل نابغ متفوق كالعالم فريتز هابر

أخرج هذا الرجل ما أنعم الله به عليه من مواهب الذهن والقريحة . وبذل قصاري الجهد في سبيل هذا العمل حتي تمكن بقوة ارادته من ايجاد الطريقة التي استطاع بها تحديد الازوت المزوج بالهواء الكروي تحديداً كيميائياً ثابتاً قهرحت المانيا واستبشرت خيراً وأصبح في متدورها ادارة رحي الحرب . وخوض حومات الوغى . بقلب جريء . غير هيابة . ولا وجله . وقد صرحت هذه الجريدة مراراً بأنه لولا هذا الاكتشاف العجيب . لاندحرت المانيا اندحاراً مريعاً . بعد دخولها الحرب بثلاثة أشهر وربما كانت لا تجرؤ على اشهارها بتاتاً . فاذن كان هذا الرجل فرتر هابر فخر المانيا . ودره ساطعة في تاجها . لا كما يتبجح الالمان . ويعمرحون على رؤوس الاشهاد . بأن اليهود هم سبب نكبتهم . والكوارث التي ألت بهم ودهمتهم .

ثم أخذ هذا العالم يوالي مباحثه مستعيناً علي ما يتوخاه من

المرامي بما تحصل عليه من نتائج . وأوشك ان يصل إلى منهج آخر جديد . لاستخراج سكر الطعام من الخشب وما لبث أن وقف على مكنوناته حتى ولى وجهه شطر فلسطين بإيعاز من الدكتور حليم ويزمن . الذي أوحى اليه بتنظيم المعاهد الزراعية هنالك . وارشادها الى الأساليب القويمة التي تستفيد منها المزارع العامة والخاصة . لاهياء فلسطين حسب المناهج الفنية الحديثة .

نعم قد اغتبطت فلسطين اغتباطا شديداً بقدوم هذا الرجل الذي لم يكن له مطمح سوى إحياء أراضيها وانعاش مزارعها . لكي يجعلها وارفة الظلال . ووفرة الثمار . تفيض على أهلها البر والخيرات وتسهل لهم أسباب المعيشة . واقتناء الثروات .

عدد الجنود اليهود الالمان في الحرب العظمى

وعلى أثر ذلك نشر الدكتور سجال كتابا موسوما بـ «اليهود والالمان في حرب سنة ١٩١٤ - ١٩١٨» دعمه بوثائق دامغة . وبراهين ثابتة . وجدت في محفوظات الحكومة . وهي الوثائق التي بذت الريخ احصا آتها عليها . وقد نودي جهاراً « في كل صقع من أصقاع المانيا . أن هذا الكتاب جدير بكل ثقة وخلق بكل عناية . وقد صرح الثقات - وذوو السلطات الرسمية . بأنه المرجع الوحيد الذي يبين عدد الجنود الذين خاضوا المعمان الأكبر . نقتضب منه عدد الجنود اليهود . والجوائز التي نالوها . والرتب التي حازوها في ميدان الشرف والقتال . وقد اقم هذا الكتاب الدليل على ان عدد اليهود الذين اتخذوا المانيا وطناً لهم بلغ ٥٦٦ و ٥٣٨ وعدد الذين خاضوا غمار الحرب منهم بلغ زهاء ١٠٠٠ ر ١٠٠٠ . فتقدم من هؤلاء الشجعان ٨٠٠٠٠ مقاتل الى ساحة القتال . أي من كان أشدهم بأساً . وأقوام مرأساً . وأبلوا

مع زملائهم بلاء حسنا وكان اثنان من القواد اليهود في طليعة هذا الجيش اليهودي العرمم وهما فون رسنجن وفون بوسنر من قواد المانيا البارعين

وبلغ عدد القتلى منهم ١٢٠٠٠ مقاتل ومنح خمسة وثلاثين الفا وسامات الشرف ثم ان خمسة وعشرين الفا منهم تقدمت درجاتهم ومنح لالفين منهم رتبة ضابط . أليس أن في هذه الأرقام الهائلة دليلا قاطعا على أن اليهود الذين نبذهم الآن المجتمع الالمانى كانوا هدفا للاهوال . وعرضة للمشقات . وأنهم ذاقوا العذاب والآلام مع اخوانهم الالمان . وشاطروهم سراءهم وضراءهم . ونكباتهم وملقاتهم ولكن ليس الى الحق مع هؤلاء النفر سبيل ولكن السبل ميسورة الى الاقتناع بانهم لا يصدقون واطهار الجمهور على ما يضررون وما يخفون . ثم نسأل الالمان . متى كان اليهود مفسدين ومجرمين ؟ أحين يتخذون دين الناس وضائرم لبعو هزءا . فييحون لهم ما حرم الله والقانون . ويحرمون عليهم ما أمر الله به من الوفاء ؟ أحين يفرون الناس بعضهم ببعض ويحرصون الناس بعضهم على بعض بكل ما أوتوا من مواهب السفسة والتمويه

صرح الدكتور هلفتريس وكيل مالية الريخ . وفاه بما أُملى عليه ضميره وشعوره . قائلا ان أعظم الفضل في التوفيق بين

الاقتصاد الألماني والحالة . الحرجة التي خلقتها الحرب . يرجع بلا جدال الى البسالة التي أبداهها اليهود . والى روح ابتكاراتهم الفياضة لاسيما وان أمر تموين المواد الاولية . كان موكولا مدة الحرب الى واتر ريتانو اليهودي . وأما أمر توزيع الحبوب . فكان معهودا فيه الى شركة من أكبر شركات المانيا . يديرها ماير دي ديسلدورف كما أن شركة الاتحاد الذي نجح البير ملاين في تأليفها للقيام باشتريات اللازمة لجميع بلدان المانيا . كانت من الاعمال الجنيلة . التي قلما يقوم بادارتها أحد غيره . وقد أفاضت جرائد المانيا عهدئذ في نراة هذا الرجل . وسمو مناقبه وحسن ادارته .

ثم تلا هذا التصريح تصريح آخر فاه به أحد النواب في البرلمان . وأبان متدرة هاير العتلية وقال انه لولا مساعدة الاقدار لهذا العالم في الاكتشاف . لميت المانيا بنكبة عظيمة في هذه الحرب بعد ثلاثة أشهر من اعلانها .

لامشاحة في اننا لو محصنا الحقائق تمحيصاً دقيقاً . لوجدنا أن هؤلاء الذين ابتدعوا القومية الاشتراكية كالوزير جويل الذي هو من أكبر دعاة تفريق اليهود وتشتيهم . كانوا خلال الحرب منتظمين في سلك تلاميذ المدارس . ولا مرأه في أن حوادث هذه الحرب المحزنة الاليمة . ما برحت عالقة في أذهانهم . ومرسومة على

ألواح صدورهم فما بالهم يتناسوها لاغراض في النفوس ؟ .
فهل تريد المانيا بعد ذلك ان تنسب انحطاطها وفشلها . وخيبة
أملها . الى اليهود الذين كانوا سبب نعمتها ؟ . وتبجح جهودهم .
وأعمالهم . وتقابل حسناتهم بالسيئات . أليس هذا العمل بعد اكبر
جريمة اقترقت نحو الانسانية ؟ . فأني برهان قاطع على معاونة
اليهود لالمانيا . أقوى من هذا البرهان ؟ . وأى دليل ساطع على
انهم كانوا يردون موارد الخوف ويرتمون بين مخالب هذه
الحرب الذبون . توصلنا لانقاذ المانيا من القضاء الذي كان يهددها
اسطع من هذا الدليل . ولكن على الباغي تدور الدوائر فيسندمون
على ما فعلوا كما ندمت اسبانيا على ما اقترفته من فظائع واثام نخوم
نعم ندمت اسبانيا ولكنها ندمت ولا تساعة مندم . ثم مدت بعد
ذلك يدها لمصالحهم وقدمت لهم غصن الزيتون تريد استعادتهم
الى بلادها ولكن سبق السيف العذل وقضى الله امرا كان مفعولا
فأني لقوم ذاقوا حلو الشراب ولذته . يرضون بمره وحثائته . فكيف
يقبلون العودة الى ما كانوا عليه من الخسف والارهاق بعدما
استنشقوا نسيم الحرية . ورتعوا في بحبوحة الهناء . ولو انهم فعلوا
ذلك ولبوا نداء اسبانيا لكانوا كالباحث على حتفه بظلفه . او
كطالين النجاة . ويلقون انفسهم في مهاوي التهلكة

أجل غدرت المانيا المتليرة باليهود . واعتدت عليهم
واساءت اليهم . ارتكبت اسبانيا شططاً كبيراً . كما ارتكبت
المانيا وزراً منكراً . ولا تعرف قدرهم الا بعد ان يرحلوا فرارا
من ذلك الضيم . ويتركوا تلك البلاد تندب بعدهم سوء حظها
على فراق من كان يرعى زمامها ويحرص كل الحرص على ودادها



بحث اتولوجى فى العصبية

الجنسية وخصومة الساميه

ليس من شك فى أن حركة الألمان الفاشية هي مزيج من
الاهواء الدينية . والسياسية . والاجتماعية . ومظهر من مظاهر
التعصب الدينى . والتعامل الجنسى أتعجتها خصومة عنيفة بين
الشعب الآري المزعوم والشعب اليهودى السامى تمخضت عنها
بإديء ذى بدء مجالس التفتيش . أو ديوان التحقيق . وهى مجالس
عانت فى الأرض فساداً . واقترفت آثاماً وجرائم . ترتعد لهول
فظاعتها الأسود فى ادغالها . وتذكرنا تلك الحوادث بأزمان
القرون الوسطى التى كانت تبيع أراقة الدماء والبني فى ذاك العهد
الذي كان الجندي فيه يؤم ساحة القتال متعطشاً الى شرب الدماء .
ويذبح النساء والأطفال . والشيوخ . الشيب ذبحاً . ويمتهن حرمة
السكان الأمنين امتهاناً . ويلوث شرفهم . ويزهق أرواحهم
أضف الى ماتقدم تطور هذه الحركة . فلقد اتخذت صبغة
جنسية . سياسية . قومية . يرجع عهدها الى أقدم العصور وعقليتها

تعرف بخصومة السامية أيقظها البرنس بسمارك وأنصاره في القرن الماضي بعد رقدتها العميقة . فأخذت روح الألمان تشتعل حنماً . وغلت مرأجل غضبهم غلياناً هائلاً . لأنهم كانوا يمتقنون اليهود في ذاك العصر مقتاً شديداً . ويعاملونهم بضروب مريعة من السخط والقسوة وما تلاشت هذه الحركة حتى سالت الدماء أنهاراً في ألمانيا وروسيا

ثم دار الزمان دورته الرهيبة الشنعاء . وعصفت في أدمغة خصوم الساميين ريح هوجاء . تنذر بالويل والثبور وجلال الأمور . وكانوا كالحيات الضارة . ينفثون في اليهود نفثاتهم السامة القتالة . وهي أكبر فتنة فتاة شهدتها تاريخ العالم . فتنة التعامل الجنسي . والتعصب الديني . وقد تذرع الألمان بذرائع هي من الخطورة بمكان . فهم يزعمون أنهم من الصنف المعروف بالصنف الآري المكون من جواهر غرار ودم نقي شريف منحدر من شرايين الأنبياء الأطهار . وأجساد ملائكية كلها أضواء وأنوار . وأنهم من النوع الذي لا يدخله الاختلاط الدموي الفاسد . ولا الالتحام النسبي المنحط أي أنهم من الأقوام المنحدرين من الأروم المتواصلة والعروق المتحمة التي لم تختلط ببعض الأجناس الأخرى والتي تألفت من وحدة جنسية عنصرية خاصة مستقلة متمايزة ذات مستقر ونصاب

في كل عصر من خاليات عصورها على نقيض الصنف اليهودي
السامي . الذي هو في زعمهم من نوع الحشرات الطفيلية الضارة .
إذ أنه ليس الا بشلساً وبائياً متغفلًا في صميم أحشائهم يريدون نزع
واستئصاله . وقاهراً مقتصباً غريباً عنهم جنساً ودمًا . وعرقاً ولحمًا .
يريدون خنقه واغتياله



دحض للنظرية الألمانية

نعم ان لهذه العصبية الجنسية شأنًا خطيرًا لا يستهان به .
فأنت روعتها وجسامتها النزعة العصبية الدينية التي كان وما برح
أولئك الطغاة يتذرعون بها توصلًا لأغراضهم حتى تجاوزت اصداؤها
في الآفاق . وهي على صورتها مزعة الأركان . مضعضة البنيان
لاستطيع الثبات طويلا .

فإذا أراد المرء رفع الحجاب عن هذه المكنونات . واستفسار
أغازها وإذا رام التعق . والتحري . والاستقصاء في علم الأجناس
البشرية . ونخل حقائق الاتولوجيا نخلا دقيقًا . لا يسهه باعتبار
هذا العلم ان يعد الألمان الذين يتألف منهم الآريون . صنفًا آريًا
صرفًا من حيث أرومة هذه الأمة ومنحدرها . متمايزين عن باقي
الأجناس بفوارقهم وخواصهم ولا سيما ان كثرة الفتوح والهجرات
وتدفق العناصر المختلفة عليهم . وامتزاجها حسب السنن الطبيعية
بعضها ببعض كان من أشد البوائث على تباينات في الأصول .
واختلاط عروق الانساب . وتعدد طبائع الأمزجة المكتسب

بعضها من بعض . ولما كان المثال على هذه الصفة المجردة من الشوائب معدوماً في هذه العروق الآرية المزعومة . فلم ينشأ بطبيعة الحال مثال من الحضارة . ونموذج من التهذيب خاصان بالألمان وخدم دون سواهم . جامعان للعناصر والقوارق التي تتشدد ألمانيا أنها تتميز بها . فاذن غدت هذه النظرية ساقطة ضعيفة مضعضة متعثرة في أذيالها وأوهى من خيط العنكبوت

لامراء في ان العصبية الجنسية هي اعظم مظهر من مظاهر المجتمع الانساني . في هذا العصر فاصبح عاملها اكبر عامل في تطور الامم نشأت في اوروبا في خلال القرن التاسع عشر . واشتد ديب فعلها وانتشر في الارض حتى بلغ اقصى الرقاع المعصورة في الشرق والغرب . وما زالت على جد في مسراها ومتغلظها في الشعوب والامم تتمتع طريق الانقلابات الكبرى . وتمهد سبيل التطورات العظمى في هذا المجتمع . ولكن من رام اكتناه سر هذه العصبية رأي بالرغم من مختلف المذاهب التي ذهبها اهل العلم وتحديدتها وتعيين ماهيتها أنها بحقيقة معناها حالة عقلية . اي مزاج معنوي وشعور وجداني نفسي بسلوكي

علي ان الحرب العظمى كانت درساً بليغاً كشفت كثيراً عن الحقائق في ماهية ظواهر العصبيات والسبب في ذلك ان الكثرة

الساحقة من السواد الاعظم من اهل اوروبا وبالاخص المانيا
ما برحوا يعتقدون انهم متسلسو العروق من اصول صحيحة
الارومة . سليمة التحدر خالصة من الاختلاطات . بريئة من
شوائب الالتحامات اذما هي في الواقع سوى عصبية قومية
عنصرية فالالمانى ممكن ان يدرك هذه الحقيقة المقررة ادراكا
عقليا نظريا كما هو مبين في علم الاجناس البشرية حديثا لكن
مادام في غيه وتعصبه ومادام لا يتعدي بذلك حدود هذا الحيز
الوهمى التصوري إلى الحيز العقلي العملي فليس اذن لادراك هذه
الحقيقة شىء من عامل التأثير المحسوس



الحركة الدريفوسية

صحيح ان عصر الاقطاع كان له تقاليده الدينية المظلمة وعقليته الجماعية . ووسائله الاستبدادية الفاشية ولم تكن الحضارة وصلت الى ما نحن فيه من تطهير العواطف وكدنا تنسى تماما هذه الحوادث المريعة لولا ان وثبت هذه الحركة ومن قبلها حركة دريفوس التي اذكتها خصومة الساميين ويصفها دعاةها بأنها معركة جنسية قبل كل شيء وشعار اليهودية منذ نشأتها هي ان اليهود هم الامة المختارة) هي طور من اطوار الحركة الخالدة بين اسيا واوروبا بين الشرق والغرب فهم يجاهدون لرد عادية استعباد الجنس السامي للشعوب الاربوية ويرجع خصوم الساميه دعوتهم الى أن الشعب اليهودي قد اتخذ منذ هجرته الى اوروبا نشأة مستقلة ومهما كان من تطور هذه النشأة على يد السياسة في الأمم التي نزل اليهود بها ومهما كانت من اضطباغهم بالصبغة الغريبة وتطور اخلاقهم وازعاجهم فقد لبثوا خلال القرون جنساً غريباً في اممهم وانتظموا الى مجتمعات خاصة بهم . واكتسبوا بذلك مظاهر مادية واخلاقية من الشعوب التي تحكمهم

هذه المظاهر الخاصة التي احتفظ بها الشعب اليهودي منذ

أقدم العصور لم تبد للمجتمعات العصور الوسطى في خطورة الخلاف الديني الذي كان وقتئذ أشد دواعي الخصومة. ولكن الثورات الاقتصادية التي توالى في أوائل القرن التاسع عشر والظروف الاجتماعية التي ترتبت على تحرير اليهود وتخويلهم كل الحقوق المدنية والسياسية التي حرموها مدي القرون أسوة بباقي أفراد الأمم التي ينتمون إليها قوت هذه المظاهر وأسبغت عليها مسحة من الخطورة

فظهروا في المهن كالطب والقانون والصحافة وأخرجوا المقارة الأوروبية معظم قلدتها مثل بيرنه وهيته ولاسالة وماركس على أن انتماءهم إلى طبقة البورجوازي (أصحاب الأموال والأعمال) كان أشد هذه المظاهر وطأة على النشاط المالي والصناعي احتشد اليهود في جميع أنحاء المقارة وأحرزوا فيه النجاح الباهر وبرزوا على غيرهم من أبناء البورجوازي وغدوا قوة سياسية واجتماعية واستأثروا بصنوف الترف فلما كانت ثورات القرن التاسع عشر وانقلاباته الاقتصادية والصناعية اشتد نفوذ البورجوازي واستطاعت أن تخضع السياسة لصولة المالية العليا

في تلك الآونة طلع صحفي غير معروف على الشعب الألماني بكتيب عنوانه « انتصار اليهودية على الجرمانية » فصادفت

دعوته مهاداً خصيبة في هياج الرأي العام وفي خصومة الاحزاب والاهواء السياسة واجتاحت دعوة مقاومة السامية فرنسا في نفس الوقت الذي كان المجتمع الفرنسي يعاني نفس العوامل التي خلقت الحركة في المانيا بل كانت هذه العوامل في فرنسا اشد وطأة وأبعد أثراً وأذكى الدعوة كتاب نشره ادوار درريمون عنوانه « فرنسا اليهودية » شرح فيه نظرية الخصومة السامية ووصف فساد الحياة الاجتماعية وانحلالها في فرنسا بصورة قوية وفي سنة ١٨٩٢ أصدر صحيفة للطعن على اليهودي الليير بارول فقامت ثمة حركة للمطالبة باخراج الضباط اليهود و عدد دم وقتل خمسمائة وحملت (الليير بارول) على هؤلاء الضباط في مقالات ملتهبة ادت الى مبارزات وحشية كان من ضحاياها ضابط يهودي محبوب هو الكبتين (ارمان ماير) فتأثر العقلاء لمقتله و انتفض كثير منهم عن حركة الخصومة وخيل للناس ان الهياج قد قبر مع جثة الضابط

على انه لم يكد ينبثق فجر سنة ١٨٩٤ حتي بلغ الهياج ذروته بالقبض على ضابط يهودي هو الكبتين (الفريد دريفوس) بتهمة الخيانة وكانت يد الخصومه السامية ظاهره في القضية منذ البداية اذ كانت (الليير بارول) أول من أشارت الى التهمة

ولم يكتف هؤلاء الظلمة بما اقترفوه من مساوي وما ارتكبوه
من ضروب الا كاذيب والوشايات بل قاموا ينشرون الدعايات
في كل صقع من اصقاع المسكونة

وقضية دريفوس هي الذروة في الخصومة السامية لاني
فرنسا وحدها ولكن في اورو باأسرها وهي دليل ساطع على فساد
نظرية الخصومة السامية في مسألة القومية وعلى خطورة عواقبها
حيث كادت تدفع فرنسا الى هاوية الثورة

كم كاد هؤلاء الخصوم لليهود وكم دسوا عليهم وكم أذاعوا
حولهم اشاعات السوء فقد جدلوا تجديلا وهصرتهم عواصف
الأحقاد هصرأ حتى اضطرب كل شيء وفسد كل شيء

هدأت الحال نوعاً مدي أشهر بعد قضية دريفوس ولكن
مناقشة حادة حدثت في مجلس النواب (في ٢٥ ابريل سنة ١٨٩٥)
في الخطر اليهودي اذ كت الهياج من جديد أما أسرة دريفوس
فكانت واثقة من برأته وكانت غنية قوية فلم تستسلم لليأس
بل نشطت الى كشف الحقيقة واظهار براءة المحكوم عليه
فجزع المتامرون ونشروا بوردر ويشمل وثائق عدة قيل ان
دريفوس كتبها بخطه ثم ان ضابطا من أركان الحرب العامة هو
الكولونيل بيكار اقتنع بان خطأ قضائياً شنيعاً قد ارتكب

وعلى ذلك لم يجد الدريفسون بداً من الاستغاثه بالرأى العام والتذرع بالحزم والجرأة وحضه على كشف الحقائق . هنا تقدم القصصى الكبير أميل زولا إلى الميدان وكان من أنصار دريفوس وكان يعتبره شهيداً وضحية فوجه الى رئيس الجمهورية خطاباً ضافياً نشر في صحيفة الارور فى ١٣ يابر - سنة ٩٨ بعنوان : « انى أنهم » فصل فيه مظلمة دريفوس ضد أركان الحرب بعبارات بليغة مؤثرة وضمنه طائفة من تهم رائدة أدهشت الرأى العام واثارته أشفق خصوم السامية عندما علموا ان هذا المقارع المشهور بالكر والفر سيتكلم وانه اذا تكلم أزاح ذلك الستار الذى أسدله التويه فحال بين الأعين وبين النفوذ الى دخيلة الأمر وانه سيدافع عن اليهود لانهم كانوا يستغلون صمت اليهود وإعراضهم عن أن يتزلوا الى مناقشتهم وأخذهم بالحق الذى أسرفوا فى انكاره وتجاوزوا فى الاساءة اليه . ولكن زعماء الجيش بذلوا كل الجهد حتى قضى باداته . فلاذ بأذيال الفرار الى انجلترا تبعاً لنصح أصدقائه ولبث هنالك حتى يونيه سنة ١٨٩٩ ولكن حملته الجرئة لم تحمد بفراره بل استأنفها جماعة من الاعلام مثل كليمانسو وريتاخ وايف جاىو فرأت المحكمة بعد درس مستفيض للقضية صحة التهم التى وجهها زولا فى خطابه الى القضاء الحربى

وقضت بإلغاء الاجراءات السابقة واحالة دريفوس الى محكمة
عسكرية أخرى عقدت في رن

على أن محكمته لم تجد شجاعة كافية لا اعلان الحق وهو الخطأ
فقضت السخط الرأي العام الخارجي وعظيم دهشته بادانة
دريفوس مرة أخرى وقرنت حكمها بتقرير الظروف المحققة
وتخفيض حكم الذمى المؤبد الى السجن عشرين سنوات. والتوصية بالرافة
كيف ان الضابط البريء لم يقنع بتلك الخاتمة الموجهة والنتيجة
البطراء وكذلك لم يرق للرجعيين هذا المجهود النسي لاصلاح
الخطأ ودبرت الجمعيات الملكية والبولانية وأنصار خصومة
السامية مؤامرة جديدة لاسقاط الحكومة ولكن المؤامرة اكتشفت
قبل التنفيذ وقبض على الزعماء .

وفي ١٢ يولييه سنة ١٩٠٦ أصدرت قاعات محكمة النقض
مجموعة حكمها بالاجماع بأن كل التهم التي وجهت الى الفريد دريفوس
باطلة من الاساس وقضت بإلغاء حكم محكمته دون احالة وقررت
بمنتهى الجلاء أن القضية لققت تلقياً شائناً وان المذنبين الحقيقيين
هما استراهازي والكولونيل هنري فهما اللذان أمدا السلطات
الالمانية بالوثائق السرية وانتهزا فرصة الهياج ليلقيا التهمة على
البريء

تعالى الله أن يظلم أحداً أو ينسب إلى الاختيار جنائيات
الاشرار . وتعالى الله أن يمد في حياة التضليل ويطيل أجل الباطل
فقد ينصر الباطل حيناً ويمت التضليل آوئاً ولكن انتصار الباطل
انحذال وفوز التضليل خيال . أجل ان الحق أبلج ولم ينفع هؤلاء
الخصوم افكهم ولم ينجيهم اقتراءهم مما تورطوا فيه من تضليل فقد
فرى الغيظ قلوبهم وأكل الحمد صدورهم تعود هؤلاء القوم أن
يقترفوا على الحق ولكن للحق جمالا رهيباً يقطع السنة طوالا
ويقل اقلاما حداداً ويرعب قلوبا قست على الغدر ومرنت على الشر
وهكذا انتهت تلك القضية التي هي مضرب الامثال في
التعقيد القضائي فتفتت البلاد كلها الصعداء وانحنى الجميع اجلالا
لحكم محكمة النقض ما عدا خصوم السامية وتفتت الحكم الى
أقصى حدوده وأعدت دريفوس ويكار الى قائمة الضباط العاملين ،
ورقي اولهما الى رتبة الماجور والثاني الى قائد فرقة ومنح دريفوس
وسام اللجيون دونور (جوقة الشرف) وحلي به في حفلة علانية
شائعة أقيمت في ساحة المدرسة الحربية ، اما زولا الذي يرجع
الفضل الاول اليه في كشف الحقيقة فلم يشهد ظفـره غير ان
المجلس لم ينس أن يكرم ذكراه بنقل رفاة الى الباتيون وبعد ذلك بثلاثة
أشهر الف كلمانصو وزارته الاولى واختار الجنرال يكار وزيراً

الحرية . ولم يترك في الواقع وسيلة لاصلاح الخطأ وانصاف البريء
ولكن الاثار الهادمة التي ترتبت على الخطأ لم تمنح كلها . بل
استمر عصفها بالحياة السياسية الفرنسية وابتث بعد ذلك مدى عشرة
أعوام كابوساً يروع فرنسا ،

لا يسمح لنا المقام بالافاضة في اثر الخصومة السامية في الحياة
الاوربية العامة بيد أنا نستطيع أن نستشف اثارها الهادمة لاول
وهلة فهي لم تترك اثراً للبناء في نظم اوربا السياسية والاجتماعية ،
لا تستند الى اساس جنسى .. صحيح وقد أظهرت قصورا في
السياسة والعمل واعتمدت بالانحصار على الدسائس والمؤامرات ثم .
هي لم تؤذ اليهود بقدر ما رسمت بان استثمارها اليهود وقد بعثت
الى اليهودية روحاً جديدة وساعدت على نقل التضامن اليهودي
من حظيرة الدين الى حظيرة الجنس ثم ان اليهودية لم تقف
ازاءها جامدة بل ردت عليها بمحركتين خطيرتين الاولى الحركة
الصهيونية التي تقدمت منذ الحرب تقدماً هائلاً . والثانية وثبة
الشعب اليهودي الى الاتحاد والعمل على رفع مستواه الثقافي والجنسي
وجها علماني جديدان قويان في نهوض اليهودية بل لقد نزعشت
اليهودية عنها تقاليد العتيقة . ولجأت الى اساليب يديعة . مستحدثة
لتحقيق غايتها الخالدة التي تمجدها من اجلها خلال القرون .

الفورات الاربع

اجتازت الصهيونية هذه الفورات التي خرجتها انصارها يوم
السامية وغدت تغلي في مراجلها غليان البركان ابان ثورانه . ولكنها
خرجت منها سليمة طاهرة نقية من ادوان الاحقاد .
فالفورة الاولى التي روعت العالم بالآلات تذيبها الجهنمية على
زعم تطير اسبانيا من عدوي الزيف وجرائم الاحقاد والفورة
الثانية لم تكن الا مفاجأة غاشمة يبد أنها كانت نتيجة طبيعية
محتومة لعوامل ومؤثرات قديمة دفينه . ليثبت عصبوراً عديدة
تضطرم في اعماق المجتمع الانساني وتمررة لعقيلة جامعة من وراء
الاحقاد وكانت نذيرة بهبوب العاصفة الاخيرة اي لشتداد الخطر
الجنسي والفورة الثالثة اي قضية دريفوس التي شغلت فرنسا اثني
عشر عاماً . نشطت في غضوننا عوامل التكيل من انصار هؤلاء
الخصوم وكادت تقطع اوصالها . وتدفقها الى الثورة . وهذه
الحرب الاهلية والانجلال السياسي . والاجتماعي والادبي . ولكنها
البيستفرنسا ثوباً من اشرف واطهر الاشواق . تبتلاء ورفعة
وسموا .

ثم جاءت الثورة الرابعة وهي فوزة المانيا الكبرى التي
زعزعت اركان العالم اليهودي في الكرة الارضية قاطبة وأظهرت
تفاق المدنية الحديثة . وكساءها الفرار فكانت الضريبة القاضية على
الانسانية البائسة .

نريد ان نقارن بين الثورات الثلاث التي اشتهر دعاؤها في
اساليب نشرها . واذكاء اوارها فهي لا تزال حديثة عهد . وعالقة
بالاذهان حتى اليوم . نريد الكلام عن الثورة الفرنسية التي انفجرت
سنة ١٧٨٩ وعن الثورة الفاشستية الايطالية سنة ١٩٣٢ وعن الثورة
الاسبانية سنة ١٩٣٠ .

أماطت هذه الثورات النقاب عن قلب النظم الاجتماعية
العتيقة البالية وتحطيمها . والجري على نظم مشرقة مجتدية . تلام
طبائع هذا العصر ونفسية دانية القطوف . تجني ثمارها الشبيهة
الآن جميع الأمم التي نهضت بها . بينما يرى نقيض ذلك في الثورة
الالمانية التي يتبعها الالمان صلفاً وكبراً وخيلاء بها ويزعمون أنها
ثورة أهلية اشتراكية وهي ليست لعمر الحق الا اقتتالاً على جميع
السلطات وسلبيها لها وليقتصبا باقتضاها للوظائف العامة بأسرها وتدفق
جيوش التفتيش كالسيل المنهمرة تدفقا جارفاً يتضاءل امامه ذلك
الطوفان الهائل الذي طغى وغمر العالم في القرون الوسطى .

وقد رأى الرأي العلم العالمي في سنة ١٩٣٣ ان يضع مبدأ
الفاشية ومبدأ الاشتراكية الوطنية في مستوى واحد بل قال
الكثيرون انهما مبدأ واحد عرف باسمين ويقدمون دليلاً على صحة
ما يذهبون اليه تشابه الحوادث التي اقترنت بقيام الفاشية في
ايطاليا وقيام الاشتراكية الوطنية في المانيا وهي حوادث تتطلب
الالتجاء الى أعمال العنف والقمع

ومن الجرأة على الحق أن يفكر الانسان أن أعمال عنف
وقع شديدة اقترنت بقيام الفاشية في ايطاليا ولكن تمت كير
فرق بين طبيعة هذه الاعمال في ايطاليا وطبيعتها في المانيا فقد
وجهت في اولها ضد الذين ناصبوا الفاشية العداء ووضعوا
العقبات في طريقها في حين انها وجهت في المانيا الى الابرياء والى
طوائف لم تناصب الاشتراكية الوطنية العداء ولم تضع في طريقها
العقبات فقد وجهت ضد اليهود وضد الرومانيين الكاثوليكين
الذين لم يعارضوا الاشتراكية الوطنية ولم يقفوا في سبيل انتشارها
كما بين ذلك بول انزج

ولم يكن طبعياً أن يضافي الفاشيون عندما اتصروا
الشيوعيين والاشتراكيين الذين وقفوا في طريقهم بل الطبيعي أن
يوجهوا اليهم ضربات شديدة تقضي عليهم وتكفيهم شرهم

وبعكس هذا تماماً ما حدث في ألمانيا إذ وجه الاشتراكيون الضربات إلى الناس لم يقفوا في وجههم

ونمت فرق آخر بين الفاشستية في إيطاليا والاشتراكية الوطنية في ألمانيا . هو أن الأولى قد أنقذت إيطاليا من الشيوعيين والبلشفية بل من القوضى في حين أن الاشتراكية الوطنية لم تنقذ ألمانيا من خطر القوضى بل ستدفعها إلى مهاوي البوار والدمار .
والآن بدأ الرأي العام العالمي يتبين هذه الفروق التي لم يتبينها من قبل لأسباب أهمها أنه أدخل في روع الناس أن الاشتراكية الوطنية والفاشستية سواء بسواء .

وليس الفرق بين هذين المبدئين قاصراً على الناحية السياسية فحسب . بل يتناول أيضاً الناحية الاقتصادية رغم الشبه الذي يبدو بين المبدئين وبرغم أن هتلر وأعداؤه قد أعلنوا أنهم وضعوا برنامجهم الاقتصادي على أساس البرنامج الاقتصادي الفاشستي إذا الواقع أن هذا الإعلان ليس إلا دعاية بارعة لمبدئهم ومحاولة غرارة تجعل الألمان يطمثون إليها

ومن الخطأ البين أن يفر الإنسان بهذا الظل الذي القاه الاشتراكيون على مبدئهم فإن الظل لا يعني عن الحقيقة شيئاً والفاشستية في إيطاليا تسير بخطوات سريعة في سبيل تحقيق أرسخ النظم

الاقتصادية التي تؤدي الى تعاون الطبقات جميعاً بينما ترى البرنامج الاقتصادي الذي وضعه الاشتراكيون الوطنيون في المانيا غير وظيفي وستقوض اركانه سريعاً

اضف الى هذا ان البرنامج الايطالي الذي وضع لاجل الوصول الى أعلى درجة مستطاعة من حماية المتوجات ولإنعاشها في حين ان البرنامج الالماني وضع لتحقيق غاية واحدة هي افساح المجال لحزب النازي واعوانه وطرد أعدائه من الميدان العملي

وقد يؤدي هذا الى فائدة هؤلاء الانصار والأعوان ولكنه يؤدي بطبيعته الى الانحطاط وخفض مستوى الحياة العامة

والواقع ان البرنامج الذي وضعه هذا الرجل العظيم البنيور موسوليني يوطد نظاما اقتصاديا عظيماً لانه برغم عمله على معاونة العمال حتى لا يتبعوا في مخالب الشيوعية فقد غنى الا تبلغ قوتهم درجة تجعلهم يجرفون باقي الطبقات في طريقهم

ومادام الاشتراكيون الوطنيون يسرون على السياسة الخرقاء التي وضعوها فسيبقي المبدأ الاشتراكي الوطني بعيداً كل البعد عن الميدان الفاشستي الشريف الطاهر والظواهر كلها تدل على أن الفاشستية الالمانية ليست الا اسماً آخر للشيوعية الالمانية
والآن نرجع الى سياق الحديث ولما كان مركز نشاط اليهود

الحيوى اتخذ له متراً آخر فمن اليديهي أن الحياة الروحانية والصهيونية لا يسبقها إلا القضاء أثره وولوج محيته . ولم يكن من سبيل آخر يسلكه يهود مصر غير هذا السبيل بعد بضوب مواردهم وانقطاع أعمالهم انقطاعاً تاماً

ومن الاحاجي التي يستعصي على المرء استفسارها انه منذ احتلال بنيامين اراضي فلسطين في القرن السابع وأبي عيسى في القرن الثامن لم يبد أقل ما يشف عن أية محاولة جديده ذات مغزى ترمى الى تحرير فلسطين قبل الدخول في القرن التاسع عشر حيث كان نابوليون نابغة الحرب بعد غزوة مصر - قد فتح فلسطين متعمداً ومصرأ كل الاصرار على اعادة المياه الى مجاريها وإرجاع اليهود الى مقرهم السالف

ليس من حرج ان نشير - قبيل الشروع في نشر بضع وثائق -
ثم عن اصرار نابليون على فتح هذه البلاد وتسليمها لليهود - الى بعض علاقات مميزة تتعلق بالدولة التي نظمها اليهود في الصحراء في القرن الخامس عشر

بحث للمأسوف عليه

ادولف بك قطاوي

عن العشائر اليهودية

ولقد خاض المرحوم ادولف بك قطاوي برد الله مضجعه .
وأحسن ما آبه ومرجعه . غمار هذا البحث . ونشر في جريدة
الليبرتية في عددها المؤرخ في ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢١ حديثاً مستفيضاً
يتعلق باكتشاف وثيقة ذات أهمية عظمى . تتناول بعض تفاصيل
خاصة تمت في مدينة طوه ووصف حوض خليج النيجر سنة ١٤٤٧
عثر عليها المسيو لارونسير امين الدفترخانه بباريس

ولما كانت هذه المخطوطة من الوثائق القيمة . فقد احاطها بكل
ما تستحقه من العناية أسوة بباقي المخطوطات . وقام بطبعها سنة ١٩١٨
في نشرة خاصة بقسم الجغرافيا

فكان من مزايا هذه الوثيقة الثمينة ان اثار ت على بساط البحث ما
كان للقبائل والعشائر اليهودية التي كانت تعيش في الصحارى من الحياة

المادة. والمعاني السامية . وحملت الاستاذ ناحوم شلوش على القاء
محاضرة قيمة في الجمعية الجغرافية السلطانية سنة ١٩٢٠ تناولت هذا
الموضوع

تكلم هذا العالم في محفل حشد . فبدء وشده . وافاض في
البحث . ولم يترك واردة . ولا شاردة إلا أظهرها . ودعمها بكل
ما أوتي من قوة الحجة . وسحر البيان . فشرأت اعناق النظارة .
والتفت القوم حوله لالتقاط دور الحقائق . وتشنيف اذانهم بلطائف
الذكريات . فكان لها شديد الأثر . ولم يكن احسن منها وقعا
في النفوس



القبائل اليهودية في الصحراء

يُشَمُّ قَلَمُ بَعْدَ ذَلِكَ الْعَهْدِ الَّذِي الْمَعَالِيَهُ يَهُودِيٍّ آخِرٍ يَدْعَى عِدَادَ
الْمَانِيَطِيِّ : كَانَ يَعِيشَ فِي السُّودَانِ . فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ عَشَرَ . وَرَوَى
أَنْ عَشِيرَتَهُ نَزَحَتْ إِلَى فِلَسْطِينَ . وَذَهَبَتْ إِلَى الصَّحْرَاءِ عَمَبَ وَفَاءَ
الْمَلِكِ سَلِيمَانَ . وَقَدْ حَذَدَ لِقَامَتِهَا وَاسْتَقْلَلَهَا مَسَاحَةٌ شَاسِعَةٌ . وَاسِعَةٌ
النِّطَاقُ : مَرَلَمِيَّةُ الْأَطْرَافِ لَا يَقِلُّ اتِّسَاعُهَا عَنْ اتِّسَاعِ الْمَالِكِ الْعَادِيَةِ
بِمَعْنَى أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ اجْتِيَازَهَا سِيراً عَلَى الْأَقْدَامِ . يَقْتَضِي لَوْ
زَمَنَ لَا يَقِلُّ عَنْ مَائَتِي يَوْمٍ . وَلَوْ اكْتَفَاهَا النَّظَرُ مِنْ أَقْصَاهَا إِلَى
أَقْصَاهَا . لَوَجَدَهَا فِي الْوَاقِعِ نَوْحَ نَوْحِ الْأَمْرِ عِبَارَةً عَنْ مَمْلَكَةٍ نِظَامِيَةٍ
بِأَوْسَعِ مَعَانِيهَا

نَعَمْ هَامُ الْيَهُودِ وَجَدَ بِالْصَّحْرَاءِ وَجْهَهَا . كَمَا هَامَ مُوسَى الْكَلِيمُ
بِحَسَنِ رَوَائِهَا . لِأَنَّ فِي تِلْكَ الْأَنْهَاءِ يَصِفُو الْجِسْمَ وَالْعَقْلَ . لِبَعْدِهَا
مِنْ مَسَاوِيءِ الْمَجْتَمَعِ وَشُرُورِهِ فَيُشْعِرُ الْإِنْسَانَ بِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . وَيَتَسَرَّبُ إِلَى نَفْسِهِ الْإِيمَانُ بِالْقَدْرِ الْغَالِبِ . وَتَتَغَلَّظُ
فِي قَلْبِهِ التَّقْوَى وَالْعَقِيدَةُ . فَيَصْبِحُ شَدِيدَ الْاسْتِسْلَامِ بِحَالَتِهِ . دُونَ
أَنْ يَتَبَرَّمَ بِهَا . أَوْ يَمْتَعْضَ مِنْهَا . أَجَلُ أَنَّ الصَّحْرَاءَ تَسْتَهْوِي عَشَاقَهَا

أفتن بها كل من جاب فيا فيها . أفتن . بعظمها المتمثلة في فضاءها
الواسع . وسكونها العميق . تضعك نجومها . قدستهوي عازميتها
ويحتكم فضاؤها في القواد . فتوقعه في أسرها . فيسير مقبسط النفس
هانها . سير المونس بها . المولع بحالها . المقتون بغرامها . ولكنها
كالغانيات شيمها العذر . فلقد ترك بعد تمام الرضا مخالها القتالة .
وبرائتها الفتاكة . تبسم فما أحلى ابتسامتها وتعبس فما أقسى عبوسها .
الصحراء ساحرة بخلاها . إذا عرفتها تعلق بها نفسك أبدا
الدهر . جذابة ولكن من العسير أن تدرك سر اجتذابها يشوقك
الحنين . وتدفعك الذكرى

سرح الطرف بارعك الله . ودعه يتشبع من مهابتها وجمالها .
ودع النفس تنفك من عقالها لتجول في مهامة الخيال وتحدث بما
عن لك بعدئذ من خطرات الدهن وبنات الأفكار . وقل ماشئت
فيها وشاء لك الهوى

نعم كان اليهود في صحرائهم شجعاناً . إيا الشجاعة فقد اقتضتها
معيشة البداوة . لا حصن يحميهم . ولا سياج يدفع عنهم . فقلوبهم
حصنهم وسلاحهم سياجهم . ففي الصحراء يسو الخيال مستعيناً بما
يجد في السماء من صفاء وجلال . وفي الأرض من فضاء وجمال .
وفي الخليقة من بهاء وكمال .

أيد ذلك انطونيو ملفاتي الذي عثر على المخطوطة الاتفة المذكور
تأيداً لأرب فيه في خطاب وجهه الى أخدموا طنيه ويدعى جيوفاني
ماريوني. وقد تحدث اليه فيه عن علاقته بمدينة طوره سنة ١٤٤٧
واقطع في وصف بهاء نظام هذه القارة. ورواء منظرها. وذكر
مميزات هذا الاقليم الذي التي اليهود فيه عصا ترحالهم. وشيدوا فيه
صرح سلطانهم وشوكهم. وذكر عدد القرى المتاخمة لها. وهو
لا يقل عن مائتي قرية. ولكل قرية حاكمها يذود عن حياضها.
اذا شنت القارة وحمي وطيس القتال. ويفتديها بالروح اذا ناب
الضيم. وساءت الاحوال. فلا غرو اذن اذا كانت هذه المدينة بلغت
شأوا عظيما. ونالت اسمي مركز تجاري بين بلدان العالم في ذلك الزمان
ثم طفق بعدئذ يصف مدينة تامونت. ويعتنب في وصف
رداء مدينتها القشيب حتى لقد أطلق عليها اسم تامونت اليهودية.
لشدة ما كان يلقاه اليهود من الحفاوة والاكرام
ذاق اليهود حلاوة الحياة ولذتها تحت اشراف حكام هذه
المدينة وخمايتهم. وعاشوا عيشة هادئة هنيئة. بعيدة عن الأهواء.
ومجردة من الشوائب. ولم يتعاس أولئك الحكام عن إحاطتهم
بالرعاية السامية. وحسن المعاملة فكانوا المحور الذي تدور حوله
المعاملات التجارية والشؤون الاقتصادية. ودفهم هذا التضخم

التجاري الى الالتجاء الى تدابير واقية . فانشلوا مصارف تقوم
باصدار بضائعهم المؤلفة من الجلود وسن القيل . والتبر . وكانوا
يستجلبون هذه البضائع ويأتون بها مخفورة من داخل افريقيا .
وكانت هذه المصارف تتناقل أسعار المنتجات الخارجية لتكون على
بيئة تامة من صعودها وهبوطها بمتهى الضبط والدقة . وسرعان
ما أظهرت هذه المصارف تفوقاً عظيماً في مزاولة هذه المهنة . وأقامت
الدليل على أن اليهود هم الوحيدون الذين يستطيعون القبض على
أزمة التجارة . والسير بها على مناهج قديمة . ثابتة . يسودها
ناموس العرض والطلب . والاستقامة الادبية التي اكتسبها ثقة
الناس في عقد الصفقات وحسن معاملاتهم معهم

صرح المأسوف عليه ادولف قطاري بكفى سياق حديثه
الذى سبقت الاشارة اليه بأنه اذا صح ما نقله اليسار واة التاريخ .
وسلمنا بما جاؤوا به لجاز لنا أن نفتخر بما بذلته قبائل العرب
اليهودية التي كانت ضاربة في اقاليم افريقيا الشمالية من التفاني في
سبيل استيلائهم على تلك الصحاري . وبما أظهرته من المهاراة في
أساليب القتال . والبسالة عندما تصطدم الكتاب . وتبدور رهي
الظمن والنزال . بيد أن تصارييف الزمان وغوائل الحداثان مازالت
عاملة على هدم تلك الجهود النلمية الشريفة وتحطيمها فأن هذه

التجارة اليانة المزدهرة التي استأثر بها اليهود في مدينة تامونت
وغيرها . والعظمة الخلابة التي نالوها في الصحراء ما لبثنا أن انهار
بنامها . وتهوضت اركانها .

أَصْرَ الدهر العشوم الباغي على ان لا يزال الضير والخطوب .
أو يزيح الضم والمحن عن هذا الشعب الثمن . إلا بعد ان حنكه
وعرجه وحبب أشطره . فبعد ان تركه يني في عالم الخيال من
الأماني قصورا . ومن السعادة بوجأ قلب له ظهر المحن . وطرحه
فريسة لاضطهادات عنيفة . كانت سببا في الهجرة التي جرت وراءها
البوار والدمار . وأضحى بعد ذلك باب افريقيا موصداً مرصوداً .
وعاد اللغز الافريقي إزله أوروبا الى ما كان عليه من الغموض
والإبهام . لا يقدم أحد على حل رموزه . وكشف خفاياه

عسى أن يكون ما قصصناه عليك من الحوادث التاريخية
القاجمة مقنياً كافياً للدلالة على السجيا الكريمة . والشمال النبيلة
التي أتصف بها اليهود . وكيف تزيك مقدار تفهمهم في استغلال
كل ما يحتمل الحصول عليه من الصفقات التجارية . وفي كل ما يتعلق
بالشؤون الاقتصادية . ووسائل استنباطها لانماها والاستفادة منها
بعدئذ . سواء أكان ذلك لمصلحتهم الخاصة . او لمصلحة من يجاورهم

ويخطب ودهم . ذلك لانهم كانوا على الدوام متضامنين متعاضدين .
يشد بعضهم إزر البعض يؤلفون فئات مستقلة . ويقيمونهم بانفسهم
بتنظيم حياتهم الاجتماعية . وبث الثقافة بين ظهرانهم . كلما سنحت
لهم الفرص واستطاعوا الى ذلك سبيلا

تسامح العرب نحو اليهود

لسنا نعجب إذا رأينا ذلك التسامح النبيل الذي تجلى من جانب العرب المسلمين نحو اليهود . ولسنا ندعش له . لانتا نرى له سبباً طبيعياً وجنوحاً غريزياً اليه . فهو مظهر من مظاهر الميل القطري والعنصري لا مثلاًف طباعهم . وتلائم أميالهم ونزعاتهم . فكان ان عرب في كل مكان وزمان يعاشرون اليهود معاشرة قائمة على الاخلاص . وحسن النية . ويجري اليهود معهم على منهج وفي قويم لا شائبة فيه ولا دنس . لذلك قلما كان يجد اليهود عطفاً شريفاً يضارع عطف العرب عليهم لدى الامم الاخرى . فاذن ليس بعجيب إذا اندمج هذان العنصران . لانها خلقا من جوهر واحد . ونزلا من سلالة واحدة . وهى سلالة ابراهيم عليه السلام (انظر الفصل الاخير اليهود في جزيرة العرب)

نعم كم حسرة تنبعث في النفس . وكم ألم مرير يثيره الوجدان في افئدتنا حينما نشاهد تلك الاطواد الشاهقة التي اقامها اليهود لتناضل مساويء الاجيال . لم تثبت لمواصف الاهواء والشهوات وكم يكون مبلغ شجوتنا عند ما نرى تلك الجمعيات البديعة النظام

الدقيقة الاحكام تتقوض ماضياً وحاضراً . بسرعة مذهشة كسرعة البرق الخلب الذي لا يكاد يتسلاً لأويضيء حتى ينضوي تحت أجنحة السحاب ويتوارى عن الابصار . ذلك نظام ثابت في الحياة الدنيا . لا يتغير ولا يتبدل سنة الله في خلقه . ولن تجد لسنة الله تبديلاً

قضى ناموس الارتقاء وتنازع البقاء والانتخاب الطبيعي . بشد أزر التموي وسحق الضعيف . ولما كان اليهود في كل مكان لم يؤلفوا الا أقليات ضئيلة . فكان طبيعياً أن وجودهم والحالة هذه لم يكن قائماً على عوامل سياسية أو طبيعية . بل على روح تسامح الأهلين المتأخمين لهم . وهي روح تعصف وتثور وتهداً وتثور . وتتغير وتتبدل . كما تدفعها عواصف الشهوات . وعوامل الأغراض .

ولقد بعد بنا العهد . وطال علينا الزمان . ونحن مجردون من كل ذلك . فقد آل بنا الحال الى أن تتسل انسلالا من بين فجوات الامم . وتتسرب الى مصالح الحكومات . والجماعات والافراد . فهذا كثير ولكنه ليس بكاف . ولنا تقاعس لحظة واحدة عن القطع بأن اليقين الراسخ في أذهان الجميع أن عوامل الاحقاد . وفظائع السفاحين . كانت العامل الوحيد في تفرقنا وتبديد شملنا

ولكنهم اذا فطنوا الى ما في قلوبنا من الايمان الثابت وجدوا أن
هذا الاضطهاد حملنا في الحقيقة على الانتشار في أنحاء العالم .
أجسامنا متباعدة . ولكن أرواحنا متقاربة . وأيدينا متمسكة .
أشبه بشراك الصياد يقع فيه كل من يجحد أعمالنا . ويروم اغتيالنا
فلسنا نريد أن نكون فئة . ولسنا نبغي أن نكون شعباً .
بل نريد أن نكون أكثر من شعب نريد أن نكون أمة لنتمكن من
رد غوائل الدهر اذا تفاهت كوارثه واستفحات خطوبه . فهي
أوطد من الفئات رأياً . وأبقى على الزمان وجوداً . وآمن هوى .
وأعسر على أعصار الحوادث منقلباً . فالوطن القومي السابح في عالم
الخيال لا يجدينا . ولا يفيدنا فقد آلينا على أنفسنا إيلاء ثابتاً لا
يتزعزع . أن لا نذوق سنة الكرى . ولا لذة الرقاد حتى تفوز بما
نصبو اليه ونحصل على مثلنا الأعلى . وهو الوطن الثابت الذي
لا ترعزه محركات الأضغان ولا أعاصير التعصبات . لانه أصبح
من ضروريات الحياة .

مطامح نابليون الاستعمارية

أجمع علماء التاريخ من فرنسيين واسرائيليين من عهد بعيد على التسليم بأن فكرة إعادة اليهود الى فلسطين لتجديد انشائها كانت في طليعة المرامي والمشاريع الاجتماعية السامية التي كانت تجول في مخيلة نابليون الوقادة ويطمح الى تحقيقها حيال المسألة الشرقية عند ما شرع في تجهيز حملته لغزو مصر والشام وكلز هذا العبقرى الطامح الى تسم ذرى المعالي يذوب صباية ويتوق وجداً الى بلوغ هذا المأرب لاستمالة قلوب اليهود اليه واكتساب ودهم له اذا قدر له الحظ . وساقه القدر الى تقرير مصائر تلك البلدان . ولعل من حقت علينا التوسع في الاحاطة بالشيء . فلنا نعرف لاحد العلماء تفاصيل صريحة جليلة في ذلك البحث . ولم نر مصدراً وثيقاً نستقي منه اصدق البيانات اوفى من كتاب الزعيم سو كولو « في تاريخ الصهيونية » وهو كتاب جليل عظيم القيمة ظهر في سنة ١٩١٩

فليس ثمة ريب في أن هذا الكتاب سيكون الغاية التي

توخاها في التحقيقات والابحاث الدقيقة لاستخلاص ما يكون لازماً من المعلومات . لأن نابغة كهذا النابغة وهو من الأعلام المؤرخين . ومن السياسيين المحنكين الذين توافرت فيهم شروط الكمال ونالوا شهرة عالية . لا ريب في أن يكون أميناً نزيهاً بعيداً عن الميول الحزبية والنزعات الجنسية .

وان أنس لا أنس ذلك الخطاب المدبج بقلم يهودي أفرنسي في سنة ١٧٩٨ والنداء الذي وجهه ذلك القائد العظيم نابوليون بوناپرت في سنة ١٧٩٩ الى اليهود للقيام بمعاونته على رد أورشليم اليهم . فهاتان الحادتان كانتا أقوى شاهد للتدليل على ما بلغت حالة اليهود النفسية في غرة القرن التاسع عشر

ولعل العبارات التي تناولها الخطاب لم تكن الا خواطر مرت بذهن الكاتب . أو أملاها عليه وحيه . أما النداء الذي وجهه نابوليون فلا اعتراض على انه لا يتنافى مع اراء حكومته . ولا نزاع في موافقتها له . ولما كان المرء مدفوعاً بسليقته الى استجلاء الحقائق فمن المهم وقوفه على نص ذلك الخطاب ليكون على بينة من ذلك الشعور الوطني الذي كان سائداً بين يهود فرنسا والذي يعد برنامجاً يهودياً حقيقياً وهذا نصه .

أيها الاخوان

«لا يغربن عن ذهنكم أن زفرائكم وتهداتكم صعدت في خلال
«العصور الى عنان السماء لشدة مارزحتم تحت اثقال الجور والاضطهاد
«فها تنوون أن تتخلصوا نهائيا من الحالة المقرونة بالاذلال
«والأنحطاط التي وضعكم فيها اناس من الهمج. انا نرى الازدراء
«مرافقا لنا في كل مكان فالبدار البدار . فقد حان الوقت لتحطيم
«سلاسل الخسف والاهانة التي طوق العدو بها أعناقكم . وخلق النير
«الذي لا يطاق احتماله . نعم قد آن الأوان لهوضنا . واحتلال المركز
«اللائق بنا بين امم العالم . فها بنا أيها الاخوان لتجديدهيكل اورشليم
«إن أمة لا تقهر . يشهد العالم مجدها ونفخارها . محوطة بنسياج
منيع من الايمان قد أظهرت لنا جيدا ماذا تفعل محبة الوطن من
المعجزات . فلنناشد هذه الأمة السخاء والكرم . طالبين اليها
المساعدة والعون . ويمكن أن نكون واثقين من أن الحكمة التي
يسترشد بها قادتها وزعمائها تدفعهم الى التفكير في مقابلة طلبنا
بالارتياح والقبول»

« ان عددنا يبلغ ستة ملايين منتشرة في جميع اقطار العالم .
وفي حوزتنا ثروات طائلة واسعة . وممتلكات عظيمة شاسعة فيجب
ان تنزع بكل مالدينا من الوسائل لاستعادة بلادنا . أن الفرصة

لسانحة ومن واجبتنا أن نفتنهما .»

«انه يجب العمل بالوسائل التالية لتحقيق هذا المشروع المقدس وهي اقامة مجلس ينتخبه اليهود المقيمون في الخمسة عشر بلداً التالية وهي : ايطاليا . وسويسرا . والمجر . وبولونيا . وروسيا . وبلاد الشمال . وبريطانيا العظمى . واسبانيا . وبلاد ولس . والسويد . وروسيا . والمانيا وتركيا . واسيا . وافريقيا»

«فاللجنة الممثلة لليهود المقيمين في هذه البلدان كلها يمكنها أن تبحث في مهمتها وتتخذ ما تراه من القرارات في صددتها . ويكون من الواجب على جميع اليهود أن يقبلوا هذه القرارات ويجعلوها بمثابة قانون لا مندوحة لهم من الخضوع له . ويعين المجلس المشار اليه وكيلا يتولى تبليغ جميع قراراته . واقتراحاته للجنة الادارية التنفيذية التي تتولى بمد ذلك تبليغها للحكومة الفرنسية اذا اقتضت الحال ذلك .»

«أما البلاد التي تنوى قبولها بالاتفاق مع فرنسا فهي إقليم الوجه البحري من مصر مع حفظ منطقة واسعة المدى يمتد خطها من مدينة عكا الى البحر الميت . ومن جنوب هذا البحر الى البحر الاحمر»
«فهذا المركز الملائم أكثر من أي مركز آخر في العالم يجعلنا بواسطة سير الملاحة الآتية من البحر الاحمر قابضين على ناصية

تجارة الهند وبلاد العرب . وأفريقيا الجنوبية والشمالية . ولا شك
في أن بلاد اثيوبيا والحبشة لا تتأخر عن اقامة علاقاتها التجارية
معنا بملء الرضا والارتياح . وهي البلاد التي كانت تقدم للملك
سليمان الذهب والعاج . والحجارة الكريمة»

«ثم أن مجاورة حلب ودمشق لنا تسهل تجارتنا . وموقع بلادنا
على البحر المتوسط يمكننا من اقامة المواصلات بسهولة مع فرنسا
وايطاليا . وأسبانيا وغيرها من بلدان أوروبا»

«ولما كانت بلادنا في موقع متوسط من العالم فإنها ستصبح
مستودع لجميع الحاصلات التي تنتجها الاراضي الغنية»
«أما الاتفاقات والترتيبات الاخرى الخاصة باقتراحاتنا على
الباب العالي . فلا يصوغ نشرها علناً . وعلي رؤوس الاشهاد .
وسنكون مضطرين لابقاء هذم المسألة منوطة بحسن ادارة الأمة
الفرنسية»

«أيها الأخوان . يجب أن لاتدخروا وسيلة أو تضحية في
سبيل الوصول إلى هذه الغاية أي الرجوع إلى بلادنا حيث يمكن أن
نعيش في ظل شرائعنا الخاصة . وأن نجدد البلاد المتمدسة التي اشتهر
أجدادنا بما بذلوه في سبيلها من التضحية . وما أظهروه من الشجاعة
والشهامة . وكأني أراكم الآن ونار الايمان تضطرم في صدوركم

فيا أيها الاسرائيليون . لقد قربت الساعة التي ينتهي فيها أجل
حالتكم الئمة . ان الفرصة الآن سانحة . خاذروا أن تغلت من يدكم
وقد كان لهذا النداء وقع عظيم في النفوس . وتأثير بليغ في
القلوب وهو يمثل ما رمز اليه ذلك العالم الكبير « بنسكر » في
كتابه « تحرير اليهود » وما أشار اليه العالم « هرزل » بيدان كل
هذه الاقوال . وتلك الرموز . ذهبت أدراج الرياح . كمن
ينخط على صفحات الماء أو كمن ينفخ في غير ضرع بعد فشل الحملة
التي قام بها نابليون

ولقد كان ذلك القائد العظيم أذاع منشورا دعا فيه جميع يهود
آسيا . وأفريقيا للانضمام تحت لوائه في سبيل تجديد اورشليم القديمة
وكان قبل ذلك قد سلح عدداً كبيراً منهم . واخذت فصائلهم .
وشرادهم تهدد حلب (٣ بريريال السنة السابعة للجمهورية الفرنسية
التي هي وحدة لا تتجزأ

لم تتعاس عن الجزم بان مقاصد نابليون وفكرته كانت على
اعظم جانب من الصراحة والاخلاص فقد كان يعتبر اليهود لاسيما
المقيمين منهم في « آسيا وأفريقيا » تابعين لأمة تعتمد بأنه إذا كان

اليهود يعلمون أن أمانهم الوطنية السامية يجب تحقيقها وأنه يمكنهم
أن يؤملوا تجديد كيانهم في بلادهم كأمة مستقلة . فأنهم كانوا
يستنفدون آخرسهم في كائناتهم لمساعدته في احراز النصر
ونوال الظفر



نداء نابليون الى اليهود

ومراميه الكبرى في الشرق

مامن احد يجهل أن نابليون الذي كان ينظر الى الحوادث من
الوجهة العسكرية التي هو عبقريتها الأ كبر اتخذ مصر قاعدة حرية
اتوسيع نطاق حركاته . وتوزيع قوات جيوشه فيها . ولما كان
هؤلاء الجنود قد احتلوا منطقتي العريش وغزة . كان من المقرر
والراسخ في الأذهان على وجه عام أن أورشليم ستقع حتما في د
هذا الفاتح العظيم

ومما يجدر بنا ذكره هنا أن اليهود المقيمين في فلسطين ضنوا
عليه بثقتهم . وأبوا أن يشقوا عصا الطاعة . ويجاهروا بالعصيان نحو
الأتراك الذين كانوا يعيشون في ظل حكمهم اذ من البديهي ان
هذا الوفاء الذي تجلى من جانبهم كان مطابقاً لما هم مفطورون عليه
من حسن الشيم . ونبال السجايا . ومن الجري على التقاليد التي
كانت تحتم عليهم ان يظلوا دائبين في الوفاء نحو الأمم التي احتضنتهم
في ربوعها . وأكرمت مشواهم

بذكرنا هذا الوفاء الطاهر بما أظهره اليهود من الجنوح

الطبيعي الى اتخاذ تركيا موطناً لهم بعد هجرتهم المشؤومة من اسبانيا
تلك الهجرة التي تركت في نفوسهم أسوأ الأثر. وأفزع الذكرى.
وعرفانهم بحسن الصنيع الذي بدا من جانب الأتراك نحوهم . وهو
عرفان لا ينفك مرسوماً على صفحات قلوبهم الى أبد الأبد .
وسيكون نصب اعينهم اناء الليل وأطراف النهار . وسيتغنى بذكره
نسلهم واعقابهم . واعقاب اعقابهم . على كرور السنين والدهور . ومرور
الحقب والعصور

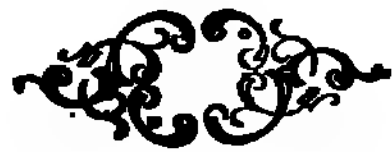
وتذكرنا هذه الحوادث ايضاً بصفحة ديوان التحقيق او
مجالس التفتيش التي سطرها ذلك القضاء العاتي الذي تصرف تصرفاً
وحشياً بدم الشهداء والضحايا الذين كانت تحوم حولهم الشبهات من
اليهود . ويتهمون بتهمة الالحاد . والذيع في العقيدة

روعت هذه المجالس نفوس اليهودية وانزلات عليها كارثة هدامة
مخيفة من أروع كوارث الدنيا وجها . وبلتها بمأساة أليمة قاسية
من أشنع المآسي شكلاً . هي فاجعة بشعاء هي داهية دهماء . قضت
على أماني اليهود في اسبانيا وقطعت أوصالهم . قضت المساويء أن
يتم تمثيل هذه المآسي على مسرح الفظائع . وأبى الدهر الا أن
يسجل تاريخ هذا الجور والعسف في سجل الاجيال والعصور
لاتخذه حجة على قسوة العالم الهمجية

هجر اليهود تلك البلاد المخضبة بدماء الأبرار . فاحتضنتهم
تركيا التي انحنى عليهم عطفًا وحنانًا . انعطاف الأم على ولدها
وأرضعتهم من ثديها لبان الخير والسودد . نعم شبوا في عزها .
وتربوا في مجدها . وشابوا في خيرها ونعيمها . فهل بعد هذا الفرق
والانعطاف . ينقض اليهود عهداً قطعوها على أنفسهم للحرص
على وفائها . أو يحتثوا يميناً أقسموها للمحافظة على ولائها . فلا والله
بل آلا ايلآ تاما . انهم لا يتخفرون لها زماماً . ولا ينقضون لها عهداً
وأنهم يبذلون حتى آخر قطرة من دماهم في سيل مجدها وارتقلها
وقد نقل الينا التاريخ أن الحاخام موسى مردخاي يوسف
بنو حس كان من أشد أنصار مشروع بونابرت . ومن أقوى
المجذبن لغايته ومراميه . ولكن اهتمام اليهود بالمشروع كان على
وجه عام ضئيلاً ، وقد ذكر الكولونيل سباستيان في تقرير وضعه
سنة ١٨٠٢ في صدد مهمة باشرها في الأستانة ان اليهود ما فتئوا
متمسكين بمقاصدهم في كل أنحاء العالم . وأنهم لا يعتبرون أي تبادل
أو تغيير . ولا يكثرثون له اذا لم يجدوا في طياته ما يشف عن رفع
مستواهم الادبي الاجتماعي والاقتصادي

ومن المحقق أن فكرة إعادة بني اسرائيل الى فلسطين طفقت
تزداد سعيراً في ذهن نابوليون وكانت شغلاً شاغلاً له . وقد كان

يلوح له ان هذا الحل ممكن جداً اذا نجح ولو قليلا في تغيير مجرى
الامور في الشرق . ولم تكن حملة مصر الا وسيلة لبلوغ هذه
الغاية . ولكن شاءت المقادير ان لا تتحقق آماله . ذلك ان نابوليون
بعد فشله امام قلعة عكا . وبالرغم من الانتصار العظيم الذي احرزه
في « ابوقير » اضطر الى مغادرة القطر المصري بسرعة والعودة
الى فرنسا وكان ذلك في سنة ١٨٩٩
وهكذا غاض الرجاء وانتهى الامر الذي كان يلوح للصهيونيين
انه محاولة جدية لبلوغ مأربهم



الشاعر يهوداه هليلفي

فلنرجع الآن الى غضون بعض عصور مضت . فحوالي سنة ١١٤١ غادر احد فلاسفة اليهود وشعراهم طليطلة بالاندلس وطنه ومسقط رأسه ولد فيها سنة ١٠٨٠ . وكان هذا الرجل في غروب العمر يناهز الستين سنة فترك أعيانه وأسرته . وأصدقاءه . وكل ما في حوزة يده قاصداً الذهاب الى فلسطين ليلتم تربتها . ويبحثوا امام حائط مبكادا . وينعي خرابها . ولعلكم تعلمون ماجاد به ذهن هذا الذهن الرجل وما أملى عليه الهامه . حين وضع كتابه المجيد المحتوي على تراثيل تتلوها كل سنة في اليوم التاسع من شهر آب . فهو الشاعر الذي ذاع قريضه بين اليهود هذا هو العالم العلامة يهوداه هليلفي .

ألفت السفينة المقلدة لهذا الرجل مرساها في ثغر الاسكندرية الباسم . وقد اتفق ان دخوله اليها كان في أيام عيد عظيم عند اليهود ولم يخطر بباله المكوث فيها سوى فترة ضئيلة للاستراحة فقد دفعه الحنين وساقه الجوى الى رؤية أرض بني اسرائيل : غير أن الهاخام هارون بن العماني وأولاده الذين كانوا قد أنزلوه ضيفاً

كرما بين ظهرانهم واحتفوا به احتفاء عظيما ألحوا وأسرفوا في
اللاحاح عليه ليبقى ثلاثة اشهر قفازوا بما ابتغوه منه . وبعد انقضاء
هذا الاجل لم ير بداً من مفارقتهم ومفارقة اصدقائه العديدين .
فأدبوا له يوم التوديع مآدبة شائعة جمعت هؤلاء واولئك
كان فيها موضع الاكرام والالجال . وعند ارفضاض الوليمة ولى
وجهه شطر دمياط . حيث نزل على الرحب والسعة في دار صديقه
أبي سعيد بن حلفون هلايني . ثم تأهب لاتمام سفره ولكنه لم يكد
يطيء قدمه السفينة حتى عدل عن فكره وعدل برنامجه سفره
ذلك لأن ناجداً أبا منصور توسل اليه أن يمكث في مصر بضعة
أيام أيضا ودعاه إلى منزله حيث نهالت عليه عبارات المديح
والاطراء التي كانت تعرب عما تكنه عواطف هؤلاء الناس نحوه
سحر النيل لب هذا الرجل . وأخذ بمجامع قلبه . ولم يكد
ينظره حتى اخذت مخيلته تسبح في عالم الخيال . وتيقظ في ذهنه
ما كان كاعنا في وجدانه من ذكريات التاريخ فلا غرو ان نمل هذا
الرجل من شذا عيره . وارج نسيمه فهو روح مصر وريحانها
وراحتها . ولا بدع ايضا أن اثار تلك الامكنة اثار شعوره
وحركت اشجانه . فطفق يتغنى بمجد اورشليم والشعب اليهودي . ونظم
قصيدتين من ابداع ما جادت به القرائح . اوحى بهما سمو الهامه

فأخذ ينشد مترنماً

أي أورشليم . ألا أيتها المدينة المقدسة الساحرة الجذابة . أنت
بهجة العالم وغبطة افتتن بك كل من اجتلى محياك . كيف أسلوبك
ونفس الشجية تصبوا دائماً إلى لقياك . أهتف باسمك وأنا في مدائن الغرب
يدفعني الأسى والشجون إلى البكاء والنحيب على ربوعك التي اتت بها
البلى . وامتدت إليها أيدي البوار والدمار ثم نظم قصيدة متغزلاً
بأورشليم نقلها أحمد أبو بكر إبراهيم بدار العلوم العليا من العبرية إلى
العربية هي .

ياظية ملأت فؤادي لوعة

لا تصرمي جبل الهوى بجفائك

ان تقطي غني الرسائل لم أبت

الا كما بات السليم الشاكي

اني اقلب في خيالك ناظري

وابته شكواي بعد نواك

قلي : اباق لايزال مكانه

ام فارق الاضلاع كي يلقاك

فتذكرني بالحب ايام الهوى

وتعلمي اني اسير هواك

زئمت مرخيالها في خاطري
هلا رايت خياله وراآك
ان الدموع وقد تكاثر ماؤها
بحر خضم حال دون لقاءك
الكن اذا شئت العبور لقيته
فرقين فارتاحت له قدماك
أجريت دمعاً في الصبابة آنيًا
وأذبت قلباً لم يذبه سواك
ولقد أرتنى الليل منك غدائر
سود ومصباح الدجى خداك
يفتر ثغرك عن لآلي فوقها
شفتان كالياقوت مابهك
ولقد سموت على الحرير ملاسة
وقد ارتدت خلع البها عيناك
ان يبعد الترحال صوتك والنوى
فلقد أحس القلب همس خطاك
ان آن ان تهبي الحياة لهالك
اودى به برح الهوى التماك

فلترجعي روحى الى فانها

يوم الفراق تتبعت مسعاك

على اننا لسنا نعلم تماما المدة التى قضاه يهوداه هليلعى فى مصر
ولكن يلوح لنا أن هذا الشاعر لم يمكث أكثر من سنتين اضاع
فى خلالها الأمل بما كان يجنح اليه من زيارة هذه المدينة المطهرة
وابحر عقب ذلك من دمياط وغادر مصر على أن لا يؤوب اليها مطلقا
فبينما كانت السفينة تشق عباب اليم كان هذا الرجل مقتبط
النفس . ناعم البال . هادىء البال . يصغى الى صوت البحر الخضم
وتنفسه الطاهرة تطلب الصعود الى جوار خالقها العزيز الرحيم

حامى فارحى ودفاعه المجيد

ولكى ندرك ما لمشروع نابوليون من الالهمية فى فتح فلسطين كل الادراك . ينبغى لنا هنا أن نسرّد حادثة وهى إن لم تكن لها صلة مباشرة بموضوعنا هذا . فانها ذات شأن عظيم لانراع فيه من وجهتين لا يستهان بهما . الاولى تقدير درجه ثبات عزيمه اليهود على المكاره والشدائد . ووفائهم واخلاصهم لمن خطب ودهم واصطفاهم . والثانية كشف التناع عن العوامل الجوهرية التي كانت باعثا على حبوط مسعى نابوليون . وإخفاق مشروعه

كان بونابرت أعظم رجال الحرب دراية . وخبرة . ودهاء . وقد أدرك بثاقب فكره انه من المحال القبض على زمام فلسطين دون الاستيلاء على قلعة عكا الشامخة . تلك القلعة الهائلة المنيعة التي يرتد عنها الطرف حاسراً كليلا . تلك القلعة التي كان يزود عن حملها أحد اليهود السوريين . حامى فارحى . وكان هذا الرجل مع بسالته وحسن رويته . طاهر العقيدة . اشتهر بصفاء السريرة وطهارة الذمة . وما فتىء مدة حياته الى أن أدركه مماته . مواظباً على عمله . جاداً في ثباته لا يعتريه خور في الجأء والحزم . ولا وهن في الشدة والعزم يستمد وحيه من وطنية صادقة مضطربة حتى ضحى مثالا حياً في الشجاعة . والأمانة . والوفاء

مولده ونشأته

ولد هذا الرجل في مدينة دمشق في منتصف القرن الثامن عشر . من أسرة عريقة تفانت في خلال الأجيال في الدفاع عن أبناء جنسها مع شدة اخلاصها . ووفائها للحكومة العثمانية . وكان والده يتولى منصباً من اسمى مناصب الحكم في حكومة احمد الجزار هذا الرجل الذي كان من أشد باشاوات عكا وصهيون سطوة ونفوذاً كان احمد الجزار خليفاً بهذا اللقب . إذ كان عاتياً قاسياً . حاد الطبع . سريع الغضب جباراً لا يصطلي له بنار . ولا يقر له قرار . مجرداً من الشعور الادبي . لارادع يردعه . ولا شيمة تكبح جماح شهواته وأهوائه . نعم استفحل غدر هذا الرجل . وطنى طوفان عدوانه ولم يدع مكاناً خالياً من طغيانه . كان متلونا يزور من الحق ازوراراً لانه شب على الشر وامعن فيه إمعاناً شائناً مريعاً وشاب على الجور وأسرف فيه اسرافاً جامحاً شنيعاً . جمع ثروته الضخمة من أولئك الباشاوات الذين كانوا خاضعين لاحكامه . ولادراك ما كان عليه من العتو والتجبر في ادارة الشؤون العامة . نكتفي بالإشارة الى ان المصانع الفرنسية التي أنشئت في مدائن عكا

وصيدا . ويروت قد اقدم على تصنيفها في مدة ثلاثة ايام . وأرغم اصحابها على مغادرة البلاد في الحال . وإلا كان نصيبهم الموت الزؤام وفي الواقع ان احمد الجزار كان لا يخلو من بعض مزايا فيما أظهره من الاقدام والبطولة . ولكنه كان لا ينجح لشيء سوى اللهو والقصف . والانهماك في الرذائل . والالتغاس في اللذات ولم يبق فئة الباشوات المحوطة بهم إلا اربع سنوات فقط قبل عودته الى عكائنها

تورط هذا الرجل تورطاً شائناً في ارتكاب المعاصي واقتراف الموبقات . وترك من الضحايا اكداً ومن الشهداء اكواماً . وقد جعلهم مشوهي الوجوه مجدوعي الانوف . مبتوري الاذان وكان لكتاب سره سلطة مطلقة واسعة المدى . وله حق الاشراف على خزينة الدولة . يتصرف فيها كما شاء . ولما كانت وظيفة هذا الكاتب ثابتة . لا تقبل العزل . فكان بديهياً ان يكون قابضاً على أزمة الاحكام . إذ كان احمد الجزار يلجأ الى رأيه ومشورته . وكان من العادات المألوفة لدى الدولة ان الباشوات . وارباب المناصب الكبرى يذهبون كل سنة لتأدية فريضة الحج في مكة المكرمة هذه المدينة المطهرة . مدينة النور والسلام . ويسلمون زمام اعمالهم مدة غيابهم لكتاب السر هذا . ويمهدون في

تنظيم رحلاتهم السنوية وفي القيام بخدمتها غالباً الى طائفة من اليهود
وفي مقدمتهم شاؤول فارحي . لانه كان على جانب عظيم من الخنكة
والدربة والاختبار

رزق شاؤول اربعة اولاد وهم : حليم . وسليمان . وروفايل .
وموسى . وابنة وحيدة . فاختار من بين اولاده اكبرهم سنا
وأسداهم رأيا . واسماهم ذكاء وادمغهم حجة . فمرنه على اعمال الدولة
وأطلعه على دخايل أمورها فدبت الغيرة والحسد في قلوب طائفة
من الوشاة والنمامين . فاصبح عرضة لشتى دسائسهم . وهدفاً لسهام
اضغانهم . فكادوا له في الخفاء . وواقعوه في حبائل شرهم . فأقيد
بعد ذلك الى الاستانة لاستجوابه عن تهمة وجهت اليه . واسفر
التحقيق عن الحكم عليه بغرامة فادحة . ولما تعذر عليه القيام بدفعها
زج في غيابات السجون . ولكن عز على اخته ان ترى هذا البريء
مكبلاً بأصفاد الذل الهوان فأسرعت بالذهاب الى الاستانة . وهناك
وثبت وثبة الاسد الغضنفر . واثارت عواصف المناقشات فارتفعت
صيحة البريء . وقام ضجيج من السخط . فظهرت الحقيقة سافرة
الوجه . وقبت المحكمة اعادة النظر في القضية . واصدرت حكمها
بالاجماع بان التهمة الموجهة اليه ليست إلا تهمة باطالة لحنها الانتقام
وسداها الحقد والتشفي . وهكذا قضت ببراءة الشاب الشريف .

فغفت بذلك رسوم تلك المأساة الممقوتة التي كانت النتيجة بعد تحقيقها مضرب الامثال في شرف عواطف تركيا . وسمو نراها ونبل مبادئها . وقد طوى التاريخ تلك القضية التي ما برحت ان بعثت في الوالد روحا جديدة من الامل ساعدت على مضاعفة جهوده ونشاطه

ومن العبث القول ان نראה حليم فارحي . واستقامته الادبية كانتا بما من من ان يحوم حولهما ريب . وقد اكسبته مدة اقامته في الاستانة خبرة واسعة النطاق لم يتردد في استثمارها لتعزيز علاقاته مع الباب العالي الذي كان حريصا على اخلاصه له دائما ابدا . ولما ادرك احمد الجزار ما وصل اليه هذا الرجل من النفوذ . وسمو مكانة لدى وزراء الدولة . قربه اليه . وخطب وده . وجعله كاتباً اي وزيراً مهيمنا على كل شؤون اعماله

وليس بعجيب إذا راينا اليهود في مدينة عكا قلبي العدد في ذاك العهد . ولا يربي مجموع تمدادهم فيها على ست وثلاثين أسرة يهودية . والى نسمة في اورشليم . في حين ان تعداد الاهالي الوطنيين بلغ زهاء عشرة آلاف . اما يافا . وطبريا . وحبرون فكانت حافلة بالجماعات اليهودية وغاصة بها

ولا مشاحة ان الدور الذي لعبه اليهود القاطنون في فلسطين

تحت سلطة احمد الجزار ووزيره حليم فارحي . كان دوراً عظيماً الاثر رغم ضآلة عددهم فيها نظراً لارتباطهم بالجماعات اليهودية التي تألفت في أكبر المدن كدمشق وبغداد والاستانة . الامر الذي جذب قوادنا بوليون اليهم وجعله يناشدهم معاونة في تحقيق غاياته ومراميه شمر حليم فارحي عن ساعدا الجدد . وألقى تلك المسئولية المزدوجة على عاتقه . لا سيما وقد عهد اليه في رقابة خطوط المواصلات بين الشام والحجاز . وبين النمط المركزية النائية . ووكّل اليه أيضا الحرص في معاملاته مع الاستانة على كل ما تمتضيه مبادئ المجاملات . والنوق السليم وكانت تكتنف هذا العمل شتى المنصاع . وضروب العقبات . ويهيمن عليها شبح الخطر الذي يهدد بين آونة واخرى بقطع العلاقات مع بلدان سوريا . فضلا عن انه ليس من الهنات الهيئات استمالة عواطف انسان مذبذب كهذا الباشا تحوطه طائفة من أولئك المتهاككين على الدس في الخفاء ومن وراء الستار للايقاع بخصومهم والنيل منهم . ولكن حليم فارحي الذي ترعرع في تلك البيئات وشابت ذوائبه في اوساطها عرف من ابن تؤكل الكتف . ولم يفته واردة . ولا شاردة من اعمالهم . فكان الهام غرائزه الشخصية النابية وحرصه على تراث أجداده ومخلفاتهم من التقاليد اكبر عون له في ان يقوده هذا المركب

بكل حذق ومهارة ويمخر به عباب بحر عجاج . ثم يفوز بالنجاة
بعد تخلصه من اشد الصخور خطراً

وقد ضاعف مشاغل فكر هذا الرجل الخطر المحقق به من
جانب نابوليون فاخذ يتأهب . وبعد العدة لتذليل العقبات التي
لامندوحة من قيامها في أثناء النضال العنيف الهائل الذي ستثيره
مطامح نابوليون ومطامعه . ولم يغرب عن ذهنه ان نابوليون بابتكاره
فكرة إنشاء امبراطورية في الشرق . وشروعه في غزو بلاد
فلسطين لا بد أن يتفوجها لوجه أمام آل عثمان . وهي أول مرحلة
لازمة ليس إلى اجتبابها من سبيل

وكانت الجيوش الفرنسية قد اكتسحت معظم تلك البلاد
واصبحت على قاب قوسين أو أدنى من باب اورشليم . بيد أن القائد
العظيم اصر اصراراً شديداً على الاستيلاء على قلعة عكا . مهما كانت
مناعتها . ولو سالت على حد الظلمات نفوس جنوده وقواده وذلك
لأشرافها على البحر . وتسليطها على كل ما يحيط بها . ولكن فاته أن .
دون سقوطها شق الأنفس وخرط القتاد . ذلك أن هذه القلعة
زادت عن ذمارها ببسالة لا يضارعها بسالة وهي بسالة أذهلت العالم
فاقت حدود الشجاعة البشرية . ولم تكن روح هذه الشجاعة والمقاومة
التي كانتا سداً منيعاً في سبيل تقدم هذا الجيش المتحمس سوى

هذا الشهم الباسل حاتم فارحي الذي دافع عن ارض الوطن المسلوبة
من شعبه منذ ثمانية عشر قرناً دفاع الاسد عن عرينه

فيا السخرية القدر . وبالشدة غدره الفاجع فقد قطع هذا القدر
العاني علي نفسه عهداً ان يشيد فارحي بيده مجد احمد باشا الجزائر
مجد هذا الرجل القاسي الذي لم يرو ظمأه الا بدم الا برياء والشهداء
وان يكون جزاؤه منه اشنع الجزاء وافضع النعم . ذلك ان هذا
الطاغية كان يلذ له ان يرى تشويه اجسام رعاياه . وبتراعضائهم .
حتى ان نخبة المقرين له لم يسعدهم الحظ بالافلات من برائته .
وقد رأى ما لحاتم فارحي من المواهب العظيمة . والذكاء المفرط .
فضلا عما خصه الله من جمال الطلعة . وجلال الحياء . وحسن القوام
وشعربان جذوة الغيرة والحسد تضطرم بين جوانحه . وترداد كل
يوم لظى وسعيراً . فهب يوماً مذعوراً من سباته . تساوره الاحلام
المرعبة . ونهض من مضجعه باعين تلهب بنار الغدر والخيانة .
فسولت له نفسه الامارة بالسوء ان يؤذيه . ويشوه وجهه البديع
فأمر جلاده بأن يسمل احدي عينيه ليكون موضعاً للازدراء .
والهزاء والسخرية

فهذه القسوة الهمجية لم تثبط غريزة فارحي ولا اوهنت جلده
بل ضاعفت نشاطه. ودفعته حكمته الى أن يكون اعظم عناية بخدمة
ذلك السفاح وكان يستر عاهته ببعض عمامته. ولكن هذا التشويه
لم يكن كافيا لشفاء غليل الجزار فتوعده بأن يمثل به تمثيلا شنيعا



اقتراحات البرنس دي لينيه

في مذكرته عن اليهود

ومما هو جدير بالذكر أن نابوليون كان له في فرنسا متكهنون
بل اننا نرى في سنة ١٧٩٧ ما قدمه البرنس دي لينيه من الاقتراحات
الجدية في مذكرته عن اليهود حيث أشار الى وجوب اصلاح شأن
الاسرائيلين واعادتهم الى مملكة يهودا
وقد كتب هذا البرنس في بعض ما ذكره في هذه المذكرة
التي عرضها على امبراطور النمسا جوزيف الثاني هذه العبارة:
«أنا بعد مارسمنا للممالك المسيحية الخطة التي يجب اتباعها للقيام
بواجبها ومصالحها وذلك في سبيل تحسين أحوال اليهود في اوروبا
واعلاء شأنهم . نستطيع التكهن بما سيطرأ في المستقبل اذا كان
مجلسنا يجمل ذلك

ففي استطاعة الاتراك اجتذاب عواطف الاسرائيلين نحوهم
وتوليهم مناصب سامية كمستشارين . وسياسيين . وتجار للوصول
الى اقتباس معارفهم وما اكتسبوه من الدربه والاختبار في كل نواحي

الحياة . لاسيما فيما يتعلق بمزايا الدول المسيحية . ووجوه الضعف فيها فمن المحتمل والحالة هذه ان يبيع السلطان فلسطين لليهود . وهم لا يحجبون عن ان يجعلوها بلاداً عامرة مزدهرة كما كانت في عهدها الماضي . ومتى عادت بلاد اليهود الى يدهم . فانهم لا يتوانون لحظة في ادخال الزراعة . والصناعة . والفنون والتجارة اليها على الاساليب الغربية . ثم انهم يجددون هيكل سليمان ويستخدمون هطول الامطار ومجاري المياه لري حقولهم ومزارعهم : وينشئون القنوات والترع للملاحة

وقد ادرك نابوليون بفرط ذكائه . ما يمكن ان تنتجه اذهان اليهود . وكان يعلم ان انقاذهم . واعادة نشاطهم . في ميدان السياسة ومناحي الثقافة في وطن اجدادهم . وفي جزء من الاقاليم المصرية لا يقتصر امرها على ان يكون حادثاً تاريخياً وانسانياً فحسب . بل يمكن ان يكون من الوسائل الفعالة لتحقيق ماله من المقاصد الكبيرة والمرامي البعيدة في الشرق

وقد تأهب نابوليون لهذا الامر بأن ضم اليه اليهود الذين كان يجب ان يفعلوا ما يطاق بالحالة الجديدة التي سيشرع في ايجادها ولكي يتمكن من احتلال فلسطين من اقصاها الى اقصىها . ولا حاطة جيوشه بسياج من الامن . والطمانينة جعل نصب عينيه في طليعة

مشروعاته القبض على ناصية مدينة عكا والاستيلاء على قلعتها الهائلة
وكان ذلك القائد المجيد يعلم ان شعب البطل حليم فارحي كان
جانما من وراء تلك القلعة . وربما كانت راسخا في ذهنه ان هذا
الرجل سيمد له يد المساعدة . ويمهد له طريق احتلالها بالنظر الى
مشروعه الخاص باعادة وطن اليهود اليهم لا سيما وان فارحي كان
قد تحمل من احمد الجزار شتى الاهانات . وصنوف العذاب .
فاذن ليس هذا الرجل جديراً بأي عطف أو مراعاة . وكانت
تأجج في قواد نابوليون شعلة الانتقام منه لما الحقه بالفرنسيين
من الاذلال وسوء المعاملة في سنة ١٧٩١ عند ما طرد المقيمين منهم
في عكا طرداً قاصداً . وهكذا كانت جميع العوامل الناطقة في تلك
الظروف تبدو مؤيدة لفتح فلسطين

ففي يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٧٩٩ سقطت غزة في ايدي
المهاجرين . ولم يمر بضعة ايام حتى استولت جنود نابوليون على
مدينة الرملة . وهي مدينة قائمة بين يافا واورشليم اذ كان نابوليون
يقصد بذلك اقامة الحصار امام اورشليم . ولكن سرعان ما حور
خطته . وصوب فوهات المدافع نحو عكا

وكان نابوليون قد وضع خطته الحربية مرتكنا الى ما عنده
من الآمال في معاونة فارحي له . ولكن تداعي ركن هذا الامل

عندما وجدان روح المقاومة الشديدة. ونظامها البديع اللذين كانا العامل الوحيد في اندحار جيوشه مبعثهما البطل المقدم حليم فارحي نفسه . فذهل نابوليون من هذا الامر ورأى من العبث انفاذ ما شرع فيه . اذ ان الموقف الغريب الذي وقفه فارحي من امرا هذا الحصار قضى على أمانيه في اسيا قضاء مبرما . وكان سببا في النكبة التي المت بجيشه . وفشل حملة فلسطين فشلا تاما

نال فرحي حظوة في أعين الشعب فتسامى مقامه . وتعالى مركزه . وظل خادما امينا . وفيما لهذا الجبار العاني . حريصا على مصالحه وكان الفضل لفارحي في بقاء فلسطين وسوريه تحت حكم تركيا حتى حرب سنة ١٩١٤

قضى احمد باشا الجزار نحبه . وانشبت المنية فيه أظفارها في سنة ١٨٠٨ . ولكن يا لهكم القدر وسخريته . فان حليم فارحي الذي كان فريسة له وأصبح مشوه الوجه . فاقد العين بايعاز من من ذلك السفاح . عز عليه ان تتوارى رفاتة في مضجعه الابدي دون ان يقيم له جنازة من أنخم الجنازات . جديرة بسلاطين الشرق وكان تفاني هذا الرجل في الاخلاص والوفاء ميزة عظيمة من مميزات صفاته الغريزية وقد قال سوكولو انه بحسب شهادة جميع المؤرخين المعاصرين قد نفذ هذا اليهود المباديء المسيحية

الحقيقية باظهاره مثل هذه العواطف نحو الرجال الذي ازدراه
واضطهده اضطهاداً شائناً . وأسرف في التنكيل به . والاساءة اليه
وقد أبقى سليمان باشا الذي خلف الجزار في الحكم حاييم فارحي
في منصبه السامي وبسط حكمه في هذه المقاطعة بمماوتته ومؤازرته
له في احكامه مدة ست عشرة سنة متوالية كانت فلسطين في
غضونها ترفل في مروط الخير . وحال الرفاهية إذ تدفقت عايتها في
خلالها غيوث الخيرات ومزن البركات



اغتيال حليم فارحي

وفي سنة ١٨٢٤ توفي سليمان باشا خلفه نجله عبد الله في ولاية عكا . وفي عهد هذا الوالي قتل حليم فارحي غيلة . قتل هذا الرجل الذي كان شعاراً للبرصاة ومثالا للشرف . قتله عبد الله وأورده مناهل الخوف . قتله هذا السفاح غدراً وخيانة . وذهب ضحية وفائه . ومواهبه العظيمة

كان عبد الله خليفاً بأن يخلف أحمد الجزار بماله من الغزائر الوحشية الشائرة والوسائل المموية الجامحة . وكانت نار الكمد والضغينة تتأجج بين حنايا ضلوعه . فتعروه بين آونة وأخرى هزة من الكمد . ولوثة من الجنون لما كان يراه من عطف الشعب على فارحي . واجتذاب قلبه إليه . وتنبعث من صدره تأوهات سامة كفحيح الحية الرقطاء . ولما لم ير وسيلة للنكاية به وتشويه وجهه فوق تشويهه السابق طفق يفرغ جعبة تصوراته الجهنمية ليتسنى له اقتناصه . ثم عمد إلى حيلة شنعاء . أوقعه في شراكها . فأوعز إلى رئيس الشرطة أن يقتله في مكان منزل . فصدع هذا بالامر وظل يراقب حركاته وسكناته حتى غم فرصة انفراده فانقض

عليه بقتة هو وأعوانه انقضاض الباشق على الحمام . وذبحوه ذبح
الاغنام لا سند له ولا معين . ضن بعد ذلك على جثمانه بان ينزل
في الرمس . بل يلقى في اعماق البحر ليكون اليم مرقده الابدی
وسكناه وبطون الحيتان والاسماك مضجعه ومثواه لا لاثم اقترفه
ولا لذنب جناه . سوى بروز هذه الشخصية بروزاً بينا سحر لب
الشعب ونال احترامه

روعت هذه المأساة عكا بأسرها . وصدعت فؤادها وقلبا
وفطرت هذه الفاجعة الاقعدة . وجففت المآقي . وقرحت الجفون
فاخذ اهلها ينتحبون ويسكبون العبرات على هذه النكبة التي كانت
من أشد النكبات . وطفق الخلان يكونه بكاء الثوا كل . ويذرفون
عقيق الدمع لهذه الآفة التي هي من أشد الآفات . ألا في سبيل
الله ما حل بهذا الرجل من هذين السفاحين اللذين تفتنا في سبيل
تعذيبه ولم يرعويا عن غي ولا ضلال . سحقا لهذه الحياة . وتعسا لها
حياة كلها خطوب واضغات احلام . تساق الابرياء فيها للقناء سوق
اغنام . هلا درى هذان الظالمان ان الحسنات والسيئات كفتاهما
متساويتان في الحياة . وأن الدهر قلب . وأن الايام في غصاتها
مضض . أما كانا يعلمان أن عتاب الله شديد . وأنه سيكون يوم
العرض وقفة مشتركة لهذا الشهيد . وأن الله حسيديهما ورقبيهما . يوم

الحساب . يوم عطش الأكباد . يوم يكون هو الحاكم على العباد
نعم إن في السماء لحسابا وإن في يوم الحشر اعتابا وما كان ربك
ليترك الظالمين في ظلمهم . وأن ربك لعزير ذو انتقام
تباً لهذا الدهر الغشوم . وبئساً لعسفه وأحكامه . فتدذهبت كل
التوسلات التي بذاتها أسرة هذا الرجل . والمساعي التي قام اصدقائه بها
لدفنه باحتفال يليق بكرامته . بدون جدوى . أي صرخة في واد .
تفانت روح هذا الرجل في خدمة هذين الظالمين فكان جزاؤه
المخامرة . والمخاتلة ونقض الزمام . ولقد اغتيل هذا الرجل حسب ما روى
لنا الأستاذ شولز الذي كان متيماً في ضاحية من ضواحي هذه المدينة
في اليوم الرابع من شهر أغسطس سنة ١٨٢٤ وصادرت عقب هذا
الأغتيال جميع ممتلكاته . وأمواله وأعيانه المنقولة . وعقاراته . وترك
أسرته عكا صفر اليدين . وفي جنح الليل البهيم . نادية سوء حظها على
ما آل بها إليه الحال . من ضيق ذات اليد وسوء المآل . وقد ساورت
أرملته الوجوم والهموم . فصارعتها وقضت على ما بقي بها من رفق
ماتت هذه المرأة المنكودة الحظ . بعد ما رأت برائن الفاقة
تقطع أوصالها . ومخالب الجوع تنهش أحشاءها . ولم يكن لها إذ
ذاك مندوحة عن البكاء والعويل بحرقة ومرارة . عساها أن تجد
من يصفي لشكواها . ويرثي أبلواها . تطلب الرحمة . فلا تجدها

وتستجديا فلا تلقاها . ولقد تخذ صبر اليهود من هذه الكارثة
الدهاء . وهذه الخيانة البشعاء . وأرادوا أن يضعوا حداً لهذه
الموبقات . وشكيمة لكبح جماح هذه الاعتداآت . فأخذ شقيقا
فرحي . سليمان وروفايل اللذان كانا في دمشق . ينظمان حملة من
نخبة الشبان . فانتخبا منهم اشدهم بأساً . وأقواهم مراساً . واصلبهم
عوداً لمقاتلة عبد الله باشا . والانتقام منه . فكانت هذه هي المرة
الاولى من قرون لقيام فريق من اليهود بتنظيم حملة حربية . قوية
لمحاربة من غدر بهم . واعتدى عليهم



ما أظهره اليهود من البسالة

للاخذ بثار حاييم فارحي

ومن العجب العجيب أن الباشوات الحاكمين على دمشق
وحط بآدروا هم أيضاً الى الانضمام الى هذا الجيش المقعم بالحماسة
والبسالة للتكيد بعبد الله والنيل منه . واربموا مع هذين القائدين
مخالفة ودية لتعزير قوته . واشتركوا جميعاً في إقامة الحصار حول
مدينة عكا . فهجموا هجوماً صادقاً . وثار عجاج الخيل . وعلا صهيل
الصفافات . ولم يسمع في الهيجاء إلا وقوع الصارم البتار . واشتباك
التنا العسال . ففرقوا الكتائب . وءلوا من خمرة النصر . ولم يبق
لهم سوى فترة وجيزة من الزمن حتى يحرزوا الظفر المبين . ولكن
عند مارأى العدو قرب سقوط القلعة في يد اليهود وحلفائهم عمد
إلى الخداع والمكر . ودس بين ظهرانيهم أحد الجواسيس فتغلغل في
وسط جموعهم وتمكن من دس السم الزعاف لسليمان رأس الحملة وقائدها
غدر به . أيضاً هذا الخائن وأورده مناهل المنون . فتفككت أجزاء
الحملة وتقطعت أوصالها . وذهبت تلك الحماسة المضطربة هباء منثوراً
على أن آخر من بقي على قيد الحياة من هذه الاسرة العظيمة
هو روفائيل . وكان يشغل منصب وزير في دمشق سنة ١٨٢٠ م .

انتخب عضواً في المجلس البلدي لهذه المدينة
وقد روى الأب جون ويلسن زيارته لعائلة فارحي. فأطنب
في مدح هذه العائلة. واثني على أعضائها ثناء جميلاً. لاسيما وانها
كانت من اعظم اصحاب المصارف والتجارة في دمشق شأنًا.
واسماهم مكانة وثقوذاً وبلغت ثروتها. وقيمة تجارتها ملايين من
الجنيهات. والأمر الذي استماله اليه. وأثار إعجابه هو الكتبخانة
القيمة التي كانت غاصة بكتب أداب اليهود. ثم ما امتازت به نساء
هذه الأسرة وأوانسها من نبال السجاياء وحسن الشيم والطهارة والعفاف
وسمو الأخلاق والآداب وقد أصبح ذلك مثلاً من الأمثال الثائرة في
مدائن الشام برمتها

أفرغ القدر القاسي كنانة غدره في أفئدة هذه العائلة المنكودة
الحظ: وأبى ألا أن يموت روفائيل فارحي هو الآخر ويذهب
ضحية التمصب المقوت

مات هذا الرجل في سنة ١٨٤٠ أثر اضطرابات أثارتها تهمة
باطالة من تهمة القتل لغرض ديني وجهت اليه تجرع من جراء هذا
الأمر هو وأبنته كأس المرحى حتى حالته. وهكذا ختمت مأساة هذه
العائلة المحيدة التي كانت علاقاتها التاريخية وثيقة العرى بمحوادث
فلسطين: وبحملة نابوليون الشهيرة



السیر موسی موفیوری

السير موسى موتوفوري

فلنرجع الآن الى السير موسى موتوفوري الذي كان شهاباً
ثاقباً في القرن التاسع عشر وما قام به من الاعمال الجليلة :
كان السير موسى موتوفوري في طليعة المبشرين والمتكهنين
بزوغ شمس الصهيونية: وكان أعظم رجل وقف حياته على خدمة انكلترا
واليهودية . وقد كان ذكي الفؤاد . متوقد الذهن . ورعاً تقياً
معتصماً بأهداب إيمانه وعقيدته . بصيراً في العواقب . مخلصاً كل
الاخلاص للأسرة المالكة . مدافعاً عن شرف اسرائيل . مستتبلاً
في الذود عن حياض أبناء جنسه الذين رزحوا تحت أعباء الاضطهاد
انتقل هذا الرجل الكبير إلى جوار خالقه وهو يناهز مئة سنة
بعد ما مضى بستين سنة من حياته في سبيل مصالح اليهود .
وإعلاء شأنهم

زار هذا الرجل فلسطين . وطافها سبع مرات . ثم عرج على
مصر وأقام فيها مراراً عديدة . وكان جواب افاق . مولعاً بالسياحة
جانحاً اليها . ساح في كثير من البلدان الاوربية وخصوصاً روسيا
حيث تمادى به السخاء . وتمشى به الجود . فاسبغ الاءه ونعمه على

اليهود . ووزع عليهم أموالاً طائلة . جاد وامعن في الجود والعطاء
امعانا حاتمياً دون ان يحرم العناصر المتتمية الى العقائد الأخرى او
يضمن عليها بشيء . فجذبت هذه الارباحية الصادقة عطف العالم
عليه واعجابه

نعم لقد اكتسب هذا السخي من هذه السياحات . ومن
التبحر الواسع في سير العمل . وجس نبض الأمم علماً زائراً راسخاً
واستبطن غوامض خفية . فاعانه ذلك على الاضطلاع بجلائل
الاعمال . وكان يعامل سجيته ومشاعره النبيلة داعياً صهيونياً كبيراً
فكأنه على وفور استعدادة ومواهبه إنما خلقه الله في اليهود لنشر
الدعوة فحسب . فانقادت له نفوسهم . وطافت متعاقدة من حوله
قلوبهم . فليس هناك بقعة من البقاع اليهودية . وطئت ارضها قدماه
إلا وكانت فيها ثورة فكرية اجتماعية . لا تخبو نارها . ولا يخذ
أوارها وأخذ يفني حياته في سبيل تقويم أود اليهود . واصلاح
اعوجاجهم ويدعوهم الى اعداد ذرائع الدفاع لساعة يصيح فيها النفير
وما برح على هذه الحالة حتى يوم احتضاره

ولقد يحدو بنا الامر لاثارة الازهان في هذا المقام الى ان
نذكر نبذاً في بحث قيم ممتع . جليل القدر . كبير القيمة لبنحاس

بن زيني جارجوسكي نشرته جريدة «دوار هايوم» في سنة ٢٨ ١٩
اشف لنا هذا البحث عن وجه الحقيقة التي لامرية فيها . وأظهر
ما كان موت توفيري مطبوعا عليه من دماءة الاخلاق . وحسن
السجاياء وسمو الادراك



مونتوفوري وعلاقاته

بالبلاط البريطاني

قفي سنة ١٨١٦ اشتدت وطأة المرض على جورج الثالث ملك انكلترا . وكان الدوق اف كنوت قد غادر البلاد بعد تبديده ثروة طائلة . وحرمانه من الإقامة في القصر الملكي فأقام البرنس في مدينة بروكسيل . وفي سنة ١٨١٨ عقد زواجه على البرنيس فان لينجن وهو في الحادية والاربعين من عمره . فعقد عزمته على اتخاذ قصر أمرباخ الذي هو من ممتلكات زوجته مسكناً له . قفي هذا القصر زار مونتوفوري البرنس أوف كنوت . وتحدث اليه في موضوع مرض والده ملك انكلترا واستفحاله مشيراً في خلال كلامه الى أن مسألة تولي العرش يمكن أن توضع على بساط البحث في وقت قريب . وأسدى اليه النصيح بان يعود الى لندن . فأبى البرنس العمل بهذه النصيحة زاعماً ان صحته منحرفة وان السفر قد يضر بها . ولكن ذلك لم يثبط عزيمة مونتوفوري ولم يثنه عما كان يتوخاه ويرمي اليه . فزار البرنيس وباحثها في الامر مظهرآ لها ان القوانين الدستورية ثابتة في احكامها لا تسمح

مطلقاً لاي برنس مولود قي خارج البلاد البريطانية بأن يتبوا
العرش البريطاني . وان الملك ينتظر موته بين لحظة وأخرى . وان
نجله جورج مريض ايضاً . وليس له ولد يخلفه وان البرنس ويليام
لن يكون له ولد . فلا بد من عودة العرش في نهاية الامر الى
قرينها الدوق ادوار الثالث وأولاده

ولما كانت هذه البرنيس حاملاً وقتئذ ادركت مالهذه
النصيحة من القيمة والاهمية فبذات كل مالهيا من وسائل لاقتناع
زوجها بالعودة الى لندن قهازت بأمنيتها . وأقلمت في سراي
بوكنجهام حيث رزقت في اليوم التاسع عشر من شهر مايو سنة
١٨١٩ بنتاً وبعبارة اسمى فانها تمخضت عن هلال وضاء ما لبث
ان استكمل وأصبح بدراً منيراً ساطعاً بهر انكلترا بسحر سنائه
وحسن ضيائه ولم يكن هذا البدر سوى فيكتوريا الملكة العظيمة التي
بلغت سعادة بريطانيا العظمى في عهدها الفرقدين وعظمتها السما كين
شاء الطالع أن يتم ما كان قد تكهن به موتو فيوري وتوقعه :

ففي سنة سنة ١٨٢٠ توفي جورج الثالث . وبعد انقضاء سبع
سنين توفي جورج الرابع ثم لم يمض زمن قصير حتى توفي ويليام
الرابع فاصبحت البرنيس فيكتوريا كريمة الدوق أوف كنوت
الويثة الوحيدة للتاج البريطاني بدون منافس ولا معارض

عطف الملكة فكتوريا

على موتو فيوري

لم يرح من ذهن الملكة فكتوريا ذكر العمل الجليل الذي قام به موتو فيوري . فأعربت عما كان يخالج شعورها من الامتنان له والعطف عليه . وسرعان ما غمرته بنعمائها . وشملتته بالرعاية والاكرام ولمناسبة بلوغ موتو فيوري السنة التاسعة والتسعين من عمره وجه اليه السير الفريد مار كوس من مدينة بوستون في الولايات المتحدة الاميريكية تسعة وتسعين خطاباً صادرة من تسعة وتسعين رجلاً من أعظم رجالات اميريكا وكبرائها وفي مقدمتهم الجنرال ارتور رئيس الجمهورية وقد أثنوا فيها عليه أحسن الثناء وأعربوا له عما تكنه عواطفهم نحوه من الأمانى . وحدث أن أعيان اليهود في لندن عقدوا اجتماعاً تناول مبحثهم فيه تلك المفتريات والاكاذيب والهم الباطلة التي توجه إلى اليهود عن قتل أطفال لأغراض دينية فأخذ موتو فيوري يقص عليهم ما حدث له في فلسطين أثناء سياحته فيها فيبداً كان ذات ليلة مضطجعاً في خيمته هب مذكوراً من رواده

بين ضجيج وصخب . ودوي اطلاق عيارات نارية وقد أثار هذا الهياج صياح امرأة عريية - وعويلها زاعمة أن موتوفوري قتل ولداً من أولادها وأخفاه تحت سريره . فثارت بذلك نائرة جماعة من الأهلين . وقد أوغر التعصب صدورهم . فتألبوا حوله يرومون اغتياله . ولكن الرجال المسلمين القائمين بخدمته تصدوا لأولئك المشاغين وتمكنوا من تبديد شملهم بعد عناء شديد . وقد عمد بعد ذلك إلى ابلاغ خبر الحادث للوالي الذي اتخذ التدابير اللازمة لحمايته . وقد صد الله غائلة هؤلاء التتلة ورد كيدهم في نحرهم لان الصبي الذي اتهم موتوفوري بقتله وجد في اليوم التالي حياً سليماً وكان موتوفوري يلذله في شيخوخته أن يقص كل ما حدث له في عنفوان شبابه وريمان عمره من المشقات والمصاعب التي كان يقوم بتذليلها بفضل ما خصه الله به من الرزانة والحزم والصبر . وقد تذرع في ذلك الحين بالاعتصام بالقناعة . فكانت تلك المزايا الحميدة سبباً في حصوله بعد بضع سنين على مركز صراف التاج البريطاني . ولم يمر عليه زمن وجيز حتى ساعده الحظ وأثرى ثراء عظيماً جداً به الى الانسحاب من ميدان الأعمال وهو في الأربعين من عمره ليقف بقية حياته وثروته على فلسطين اذ آل ايلاء ثابتاً أن يضيحي بثروته الهائلة التي اجتناها . والمدة الباقية من حياته في

سبيل اقامة مأوى عظيم في فلسطين يلجأ اليه كل من يحل بهم عذاب
الاضطهاد من اليهود

ولما بلغ موتوفوري السنة المئة من العمر أرسلت اليه الملكة
فكتوريا برقية جاء فيها « ان الملكة تمرب له عن أدعيتها الصداقة
وتباركه من صميم قلبها في مناسبة ذكرى مولده السعيدة. وحياته
الحافلة بالخدم الجليلة والأعمال المفيدة. وأضاف البرنس أورنسبورج
الى نص هذه البرقية مايلي « اسمح لي يا جناب السير أن أضم دعائي
الى الأدعية الكثيرة التي تتلقاها اليوم من انحاء العالم بأسره

ليس من شك في أنه مامن لذة تعادل لذة الافاضه بتلك
الذكريات التاريخية الخاصة بهذا الرجل العظيم . ولكن الاسهاب
قد يبعدنا عن موضوعنا فالخلاصة أن موتوفوري . كان محسنا
كيرا . وكان صهيونيا عظيما نبيل العواطف ومحبا للإنسانية توات
رحلاته في فلسطين جاعلا نصب عينيه ضرورة انقاذ اليهود
المضطهدين والذين جار عليهم الزمان وتمكينهم من استثمار بلاد
أجدادهم وتجديدها مع احاطتهم بسياج من الضمانات السياسية
اللازمة لمركزهم وحقوقهم

والحقيقة التي لا مريه فيها اتنا لو جلونا الامر من الوجهة
العملية لوجدنا أن موتوفوري كان بدون جدال حجر الزاوية أو

القمط الذي تدور حوله أماني اليهود في ذاك العهد ولا سيما أولئك الذين كان عملهم نواة للحركة اليهودية التي تفجرت فيها روح هزل فما زالت تتوى وتعظم على توالي الدهور وتعاقب العصور

لو أجلات نظرك في جريدة كانت تظهر في مدينة صنف في عددها المؤرخ في ٢٤ مايو سنة ١٨٣٩ لوجدت بين أعمدتها حديثاً فاه به موتو فيوري . حديثاً ينساب رقة وظرفاً حديثاً كان ينبعث منه وميض ساطع من التفاؤل الذي يشر بتطور عظيم في حياة اليهود وهذه خلاصته : بادرت جماعات يهودية من البورتغال والمانيا إلى زيارتنا . وقد أدلى اثنان من هؤلاء الزائرين بآرائهما وهما الخاخم ابراهام شوشنة وصموئيل عبو وعرضا علينا اقتراحات في شأن الزراعة في اراضي فلسطين . فلاح لي من المعلومات التي استقيتها أن هذه الاقاليم وما يكتنفها من الارباح الواسعة الارجاء . ومن الرياض الزاهية الغناء . قابلة بنوع خاص للزراعة . وصالحة تماماً لها وح بنا دليلاً ناهضاً على ذلك ما نراه في تلك المزارع من اشجار الزيتون الغاصة تلك الاراضي بها . وهي اشجار قدم بها العهد . وطال عليها الزمان . وقد هرمت وأصبحت تناهز الخمسية من السنين . ومن الكروم الوافر انتاجها . ومن المراعي الكثير عديدها

ومن الينابيع الغزيرة مياهها الصافي زلالها . اللذيذ مذاقها . ومن أشجار التين والجوز واللوز والتوت . ومن المساحات الواسع فضاءها . الشاسع مداها التي ليس من اليسير على النظر الحاد اكتنافها . والاحداق بها . وهي مساحات حافلة بمزارع الغلال والقمح والشعير .

أجل لم نبدأ من الانعكاف على العمل والدأب فيه والتشهير عن ساعد الجد لولوج هذا السبيل . أى سبيل الهدى والسعادة . ولا أتردد في القول انه إذا تسنى لي أن أزف بشرى نجاح مشروعى . وأصبت الهدف الذى أتوخاه . فليس من شك في أن ذلك سيكون الوسيلة المثلى التى أستطيع بها تمهيد طريق الاستعمار . وادخال جماعات عديدة في دائرة فلسطين من اخواننا المنكودين الذين غدر بهم الزمان . وهصرتهم كوارث الحداث .

نعم إذا ظنرت بتحقيق هذا المشروع . فالأمر الذى أتمناه . والذي سيكون في طبيعة ما أبتغيه من المرامي هو أن أقترح على محمد على باشا الكبير وأتوسل اليه أن يؤجر لنا مئة أو مائتي قرية لمدة خمسين سنة في مقابل عشرة أو عشرين في المئة تدفع في الاسكندرية من قيمة الايجار تدريجياً . ويجب أن تكون هذه القرى حرة مجردة من كل مانع ومحدور . أى طليقة من قيود

الضرائب والاتاوة كل مدة الايجار . وللزارعين الحق في بيع تلك الحاصلات في أي بلد من بلدان العالم . وليس من حرج عليهم في ذلك .

وليس ثمة ريب في أنني عندما أفوز بنيل هذا الامتياز . أعود — بعون الله ومشيبته — إلى انكترا . وهناك لن أتردد في العمل على انشاء شركة غرضها تحسين تلك الأراضي ورائدها إنماء زراعتها . وحض إخواننا المقيمين في أوروبا . وتشجيعهم على الأوبة إلى فلسطين .

وكان موتوفوري يوالي تدليله ويبنى قياسه ومنطقه على ما كان يراه من مغادرة البلاد ومن تيار الهجرة . وسيلها الجارف الذي كان لا يزال يقذف بجماعات عديدة من أولئك المهاجرين إلى الولايات المتحدة وكندا التي لا مزدوحة من اتخاذها متراً لهم ووطناً .

وكان هذا الرجل راسخ الإيمان . ثابت العقيدة . بأن هؤلاء المهاجرين ينهلون على الاقامة في أرض أجدادهم . ويؤثرونها على كل إقامة أخرى كما انه كان عاقد الأمل على أن يدخل فيها تدريجياً الوفا وجموعاً من أولئك الذين سيستمرئون بلا مرء هذه الحياة السعيدة . ويستعذبون وجودها . لأنهم سيعيشون أحراراً .

طليقين من كل رابطة أوقيد ليتسنى لهم والحالة هذه ملاحظة شرائعنا المقدسة وتطبيقها . إذ لا يستطيعون إلى إنفاذها والتمشي بها في البلاد الأجنبية سبيلا .

لذلك ما لبث السير مونتوفوري أن اختبر هذا المشروع في ذهنه حتى بذل أقصى الجهد في سبيل تحقيقه . لا سيما لدى من هو أحب الناس إليه أي اللورد بالرسون الذي كان وقتئذ متقلداً منصب رئيس الوزراء . وقد قطع هذا الرئيس على نفسه عهداً ثابتاً بمعاونته . وشد أزره للوصول إلى تمكين اليهود من الاستعمار في فلسطين .



عطف محمد علي باشا الكبير

على موتو فيوري وقبول مشروعه

ففي شهر يونيو سنة ١٨٣٨ أبحر موتو فيوري على باخرته
مولياً وجهه شطر فلسطين مرة أخرى وقد رافقه في هذه الرحلة
الدكتور ليفي . عاقداً عزيمته على أن يعرج على القطر المصري
ليحظى بشرف المثل لدى محمد علي باشا الكبير والي مصر .
ويعرض مشروعه عليه . فألقت الباخرة مرساها في بوغاز
الاسكندرية الضاحك في اليوم الثالث عشر من شهر يوليو حيث
أجاز له محمد علي باشا مقابله في اليوم التالي .

على أنك ترى تفاصيل هذا الأمر في الجريدة المشار اليها .
وقد نشرها الدكتور ليفي في لندن سنة ١٨٩٠ بحذافيرها .

ذهب السير موتو فيوري لمقابلة الكولونيل كامبل الذي
كان وقتئذ قائماً بخدمة الباشا . فخرج هذا لمقابله . فأعرب له
موتو فيوري عن رغبته في مقابلة محمد علي باشا والتحدث اليه .
فلم ير وسيلة إلا الذهاب به الى بوغوص بك . والد بوغوص باشا
نوبار الذي كان في سنة ١٩١٩ رئيساً للمجلس الوطني الأرمني في
باريس أثناء المفاوضات التي كانت جارية لابرام عقد الصلح .

فصرب بوغوص بك موعداً لمقابلاته في منزل نجله .
وهناك عرض موتوفوري عليه طلباته كتابياً ورجاه ابلاغها
الى الباشا مع ايضاحاته الشفهيه .

كان بوغوص بك في ذاك العهد يشغل منصب ناظر التجارة .
وما عثم أن أصغى الى حديث موتوفوري حتى أبرقت أسرته .
وظهرت على فمه ابتسامة الرضا . فوعده بأن يتقدمه لمحمد علي باشا .
وكان قد سبق أن خاطبه في هذا الصدد . ولما حظي بمقابلة محمد علي
باشا العظيم رأس الأسرة المالكة الجليلة العلوية استشف من خلال
الحديث أن الباشا كان ملماً بكل تفاصيل المسألة . وعلى بينة تامة
منها . وانه على استعداد لمجاراته في كل أفكاره . وتحبيذ غاياته
ومراميه .

لا تردد في الجزم بأن النتيجة العملية لهذا اللقاء أسفرت عن
تعهد محمد علي باشا بصفته حاكماً عاماً على سورية التي كانت ولاية
فلسطين تابعة لها بالترخيص لليهود في شراء أية مساحة يستطيعون
أن يجدوها في ربوع سورية . ويرغب السلطان في أن يمنحها لهم
بمجرد طلبهم . وقال يمكنكم والحالة هذه أن تنتخبوا حكماً يقع
اختياركم عليهم للاشراف على مقاطعات فلسطين بأسرها . واني
لا أدخر وسعاً في سبيل معاوتكم . وشد أزركم في انجاز هذا

المشروع الحميد المفيد .

لله در تلك المكارم الجليلة ويا حبذا ذلك المطن السني . فقد أظهر محمد علي باشا نحو موتوفوري عطاءً عالياً . تسامى هذا الشعور النبيل . وتجلت رفعة . فقد أصدر الى بوغوص بك أمراً بتأييد هذه التأكيدات والوعود كتابياً . فهذه الحتمية مع مالها من عظيم الأهمية والأثر . لم تخت مغزاها على أحد . لأنها أظهرت — باديء ذي بدء — بوضوح وجللاء ، فكرة موتوفوري المنطوية على حل المسألة اليهودية بواسطة استثمار فلسطين . ووثوقه بموازرة الحكومة البريطانية من جهة . ثم الضمان المخول له بمقتضى القرامانات الصادرة من الحكومة المصرية من جهة أخرى . وإبانت في النهاية ما لهذا الأمير الجليل الذي أنشأ مصر . وكساها ثوباً قشيباً من الحضارة والعرفان — من الذكاء المفرط . وبعد النظر في الأمور . فأدرك مرمى هذه الاقتراحات . ووقف بازائها هذا الموقف الحميد .

أدرك محمد علي باشا — لأول وهلة — بثاقب فكره ما يجثم من وراء هذا الاستثمار في فلسطين وسورية من التطور العملي . والتأثير المعنوي والنتائج العظيمة الفوائد التي لا تلبث بلاده أن ينعمرها فيها غيث من الخيرات وتجتني منها ثمرة غزيرة البركات .

آب موتوفوري الى لندن وقلبه منعم بالآمال والأمانى
وتتمسه حائمة في عالم التصورات مما أحس من غبطة وحبور . ومن
فأتمحة عصر جديد يضيئه وميض وهاج من التفاؤل الذي سيهر
اليهود بإشرافه في فلسطين . فانعكف في الحال على عمله . وطفق
يجمع اشتات ما لديه من العناصر . وما ينال عليه من المعلومات
لكي يساهل عليه الحصول على الاستثمار الجدي المنشود .

كان موتوفوري غارقا في لجج أحلامه . منصرفا بكل
ما أوتي من عزيمة إلى تحقيق انشاء تلك الربوع التي ستكون
محط رحال اليهودية . وقطب مراميها فينما هو كذلك إذ دعي
للذهاب إلى الشرق ولكن هذه الدعوة كان رائدها في هذه المرة
الدفاع عن شرف شعبه والذود عن حياض كرامته . ذاك الشعب
الذي صوبت نحوه سهام القدر والافك مؤامرة من أقذع
المؤامرات شكلا وأخطأ شأنًا . عديمة النظير في شناعتها . حيكت
أطرافها بأيد أئيمة كانت تلب في الخفاء . ومن وراء الستار . رامية
إلى اذلاله وسحقه . والقضاء عليه فاضطرته إلى السفر على جناح
السرعة واهمال مشروعاته العظيمة إلى حين . فلذأت هنا بالايجاز على
ذكر هذه الوقائع التي كان لها دوي عظيم في الآفاق .

في اليوم السابع من شهر فبراير سنة ١٨٤٠ اختفى قس

كاثوليكي فجأة من دمشق يدعي الأب توما . غاب هذا الرجل عن الوجود ولم يعلم أحده أثرًا . وكان قبل ذلك شوهد واقفًا بجوار حلاق يهودي . فحامت الشكوك حول هذا الحلاق . وسرعان ما زج في غيابات السجن لاتهامه بجرمة القتل والاختفاء . فأذيق من العذاب ألوانا . لحمله على الاعتراف بالحقيقة . فعمد هذا التعيس إلى وسيلة اللافلات من شبح الموت الذي كان يحوم حوله . ويهدد حياته . فوجه هذه التهمة الشنعاء إلى أعيان الطائفة اليهودية وزعمائها في سورية . مشيرًا إلى أن هؤلاء الأشخاص . هم الذين جنوا هذا الجرم وارتكبوا هذه الموبقة فاعتقل الشرطة عددًا ليس بتليل منهم . وساموهم صنوف الخسف . وأنواع العذاب . وأسأوا إليهم اساءة تم عن قسوة هذا العصر وعمليته . قاصدين من تعذيبهم دفعهم إلى الاعتراف بجرمة كانوا بريئين منها كل البراءة .

وجه النداء إلى محمد علي باشا . وارتفعت صرخات الطائفة . متوسلة إليه أن يتدخل في الأمر لوقف تيار تلك الفظائع التي تعيد إلى الذهن ذكريات مجالس التفتيش أوديو ان التحقيق وكبائر . والمآسي المفزعة التي كانت تقترف في القرون الوسطى في وضع

الضحى وعلى رؤوس الاشهاد . فأصدر محمد على باشا رجل العدل
والانصاف أمره الكريم بإقامة محكمة تؤلف من قناصل الدول
الأوربية لمباشرة تحقيق نزيه عادل يميّط القناع عن وجه الحقيقة
في هذه القضية المشؤومة .



الاعتداء على اليهود

وفي نفس هذه السنة جرى مثل هذه الفواجع المؤسية بل
أشدّها استفحالا وبشاعة في جزيرة رودس حيث سرت عدوى
الاضطهاد . واخذت تلك الشرارات الكامنة في الرماد تستطير
وطفق الأهليون يشددون النكير على اليهود ويسلقونهم بالسنة
حداد . ويحملون عليهم حملات شعواء . ويرمونهم بتهم شوهاء .
واذاع المرجفون ان هؤلاء اليهود قاموا بتدمير آتم مجرم . وذبحوا
في سكون الليل احد الشبان اليونانيين . واستنزفوا دماء عملا
بالسنن والتقاليد التي جروا عليها . ووفقاً لشعائر دينهم في الاحتفال
الذي يقيمونه في عيد الفصح .

طغى طوفان البطش والاعتداء على احياء اليهود فكان
طغيانه مريعاً مرعباً . وانفجر بركان الحقد والتعصب عليهم . فكان
انتجاره هائلا مفرعا . وطفقت نفوس اهل هذه الجزيرة تبحش
وتضطرب . واعصابهم تهتاج وتنبعث . وقواهم تثور ثوراناً مروعاً
بلغ اقصى حد . فأوغلوا في تعذيب اليهود إغلا بعيداً فاحشاً .
وساموهم خسفاً مؤلماً فاضحاً . فعلا صخب اليهود وارتفعت صيحاتهم

حتى بلغت آذان الباب العالي الذي فطن للأمر . وادرك انه لا بد من ان تكون هذه الاضطهادات تحمل في طياتها دسائس شائنة . رائدها التنكيل باليهود . والبطش بهم فأمر بعزل الباشا الحاكم على تلك الجزيرة واقصائه منها .

فهذا المد الزاخر . مد التعصب الجنسي الطامي قد غالى في اغراق اليهود مغالاة شديدة . واولئك لم يقفوا عند حد التعذيب فحسب . بل أمتعوا في السير . واستمروا في غلوائهم . وأطاعوا دواعي أغراضهم وأهولتهم . ودفعهم هذه العوامل الى ارواء ظمأهم من دماء اليهود اذ كانوا يظنونهم ألد أعدائهم . فتحركت حاسات بني اسرائيل . واخذ الرأي العام ولا سيما في انكلترا وفرنسا يهب هبوب العاصفة الزعزع لا يعرف مستقرها . وانبرى اساطين السياسة لوضع حد لهذه المسألة المفزعة ومحوها .

كان لهذه الوقائع صدى هائل . ودمدمة مزعجة مخيفة في سنة ١٨٤٠ . وقد سمع لها دوي كدوي الانفجار الذي غمر اليهود بحممه الملهية في المانيا الفاشمة سنة ١٩٣٣ . واكتسحهم اكتساحاً خجل منه جبين الانسانية التي كانت هاجعة ومستغرقة في هجعتها حتى استفاقت اليوم استفاقتها الكبرى مذعورة واجفلات من تلك القظائع ايما اجفال . ولكن لم يدر بنخلد اولئك المفترين على الحق

والعدل ان اليهود استخلصوا من هذه الاحن والملمات زواجر
وعظمت دفعتهم الى تعزيز تضافرهم . وجمع كلمتهم للقيام باظهار
الحقائق ساطعة كالشمس في رابعة النهار . سواء أكان ذلك في
جزيرة رودس . او في دمشق . ودحض ما بقي على رؤوسهم من
وشايات . وما نسب اليهم من اوزار وموبقات .

نعم قد ابى الله إلا ان يرد كيد اولئك العتاة في صدورهم
وينصر الحق على القوة الغاشمة . فلقد حصحص الحق وزهق
الباطل . ان الباطل كان زهوقاً . واسفر حكم القضاة في هاتين
القضيتين اللتين روعتا القضاء بتشعب فروعهما . وارتباك وقائعهما .
عن الافراج عن اولئك الشهداء . واطلاق سراحهم . وبطلان
تلك المزاعم المنحطة التي نمت جراثيمها الفتاكة في اذهان ذوي
الأحقاد . ومثيري غبارها . مع اتخاذ التدابير الفعالة للحيلة . ودرء
المساويء والشرور . والعمل على درس اطلالها . وطمس معالمها
لكي لا يكون لها اوبة بعد ذلك نحو اليهودية البريئة .

فأمام هذا العدل . وتجاه هذا الانصاف لم ير الشعب اليهودي
بداً من ان يرفع صوته عالياً لئلا العالم المتحضر . وامام مختلف
الحكومات . طالباً منها التدود عن ذمار اليهود الذين اضر بهم
اضطهاد اولئك الجبناء وغدرهم .

يجب ان لا يغربن عن البال ان اليهود الاوريين وان كانت قد بلغت منهم مؤثرات الحضارة الغربية مبالغاً عظيماً . وتوغل تيارها فيهم توغلاً كبيراً . واقبلوا على كل شيء غربي غثاً او سميناً . ونشأوا نشأة الغريين اطواراً وتهذيباً إلا انهم لم تتلاش في نفوسهم روحهم الدينية . ولم تذهب منهم عصية الايمان . ولا الحرارة اليهودية .

فهم من هذا النحو ما اتفكوا مقتضمين باهداب تقاليدهم وشعائرهم . ومستمسكين جهدهم واستطاعتهم بالمبادئ اليهودية القويمة . فهي عندهم من المجتمع روحه وغذاؤه . ومن العمران مادته الحيوية ومنهاله العذب

يبد ان الالمان سلكوا مسلكاً وعراً وفاتهم ان العالم اليهودي الذي لا يزال محور سياستهم قهره واعناته . وتجريده من كل شيء بكل وسيلة . والحيلولة بينه وبين سؤدده ونعيمه بكل حيلة . قد جاز عقبات جياداً . واجتاز ازमत شدادا وهو ماض في سيره الى الامام لاسبيل الى اعاقته بدسائس تلقى . واشراك تبث . واسياف تسال ولا حاجز يقدر على كفاهه ليسترد مجدا سالفا وعزاً آنفا فهم يريدون ازدراده فلا بد من ان يقرض ازدرادهم شجى ويسوء هضمهم فثلهم مثل الباحث عن حقه بظلفه . ولم يعلمون ان اليهود

جميعاً يتشاركون ميولا . ويتباثون عواطف . ويتعارفون على
اختلاف السنهم وجنسياتهم . وانهم يتألبون جموعاً متراسة متماسكة
لرد البلاء الشامل . ودرء الخطر الداهم وان الشرارة التي تستطير
من اي مجمع من مجامع اليهود او ناد من انديتهم فما تزال في استطارتها
ومسبحها في الفضاء حتى تجوب اقاصي العالم اليهودي . فتقع وقوع
الرعد القاصف . لتحشم على الالهة . واعداد العدة

وهنا تتساءل النفوس . وتوجه سؤالها مرة أخرى الى اولي
الحجى . وذوي الهى . واستجوابهم عما يجب ان نعمله لقاء هذه
التعسفات وماذا ينبغي لنا ان نفعله لرد كوارثها وصيانة هذا الشعب
من غوائلها وما هو السياج المنيع الذي نستطيع اقامته لوقايتنا من فتك
بعض الشعوب الاخرى بنا . وافتئاتها علينا

فهنا فكرة الاعانة العتيقة من جانب المحسنين . ومحيي البشر .
والنزعة الحديثة التي ترمي الى التبصر في وجوه التدابير السياسية
جرباً على قواعد العمل الانساني . هما فكرتان متعارضتان متنافيتان
بطبيعة حالهما . ولا نجد الى التوفيق بينهما سبيلاً

وقد ادلى انصار هذين المذهبين يبراهينهم وحججهم فالمحبذون
للنظرية الاولى الذين ظلوا لسوء الحظ متمسكين بتلاييبها حتى
الآن يقولون ان الاضطهادات والمساوىء التي تنتاب اليهودية

مثلها مثل الظواهر الزمنية التي نستخلص منها بطريق الاستنتاج المنطقي ان الدفاع ينبغي ان يكون له أيضا بصيغة وقتية . وأما انصار النظرية الأخرى الذين بحثوا الحالة التي آلت اليها اليهودية وامنعوا في تمحيص حقائقها امعانا عميقاً فهم يتساءلون الآن عما اذا كانت هذه الازمات والضائقات التي تكتف هذا الشعب هي في الواقع زمنية او هي سحابة صيف لا تلبث ان تنمشع . ام ان هذه الفتكات والحملات العنيفة الموجهة اليه ليست إلا اعراضاً ظاهرة تنم عن مركز اليهود العالمي المززعج الاركان . المضطرب الدعائم . باعتبارهم شعباً لا أرض له ولا وطن

عقد موتو فيوري العزيمة على الذهاب الى الشرق . وتأهب للسفر لقضاء المأمورية التي كان يتوخاها ولكن بين شية وضحاها ثارت زوبعة من الاعتراض ارتجت لها اركان انكلترا وفرنسا وتعالن الاصوات بطلب الحصول على ترضيات اديية ومادية من محمد علي باشا وضمائن وثيقة تكفل حفظ حياة اليهود الاجتماعية والاقتصادية لقاء ما عانوه من ضروب الاذلال والخسف اللذين الحقا بهم . والولايات التي حلت بهم في بعض البلدان التي كانت خاضعة لسلطة

قضائه

ادولف كروميو

وفي وسط هذه الانواء العاصفة . وخلال هذه النوائب .
ذهب ادولف كروميو أحد دعاة اليهود الفرنسيين الاماجد الذي
كان عهدئذ نائب رئيس المجمع الديني اليهودي في فرنسا الى انكلترا
وذلك في سنة ١٨٤٠ للاشتراك في الاجتماع الذي عقده موتوفوري
والمباحثات التي دارت فيه للبت في شأن المذابح التي أهرقت فيها دماء
اليهود في دمشق وروودش . وقد رافق كروميو موتوفوري في تجواله
في الشرق فكان له أكبر عون . وأشد ساعد بما أبداه من الحنكة
والدربة السياسية . وما اظهره من البراعة . وبعد النظر في نصائحه
وارشاداته التي مهدت له سبيل المصاعب وذلت اشد العقبات .

فبعد ما ولجا باب مصر . وحظيا بمقابلة مليكها ظهر لهما محمد
علي باشا الكبير تحيط به المهابة والوقار وتلوح على محياه الكريم سياء
العدل والانصاف والنزاهة فقابلهما بالحفاوة والمجاملة وأعار حدithهما
اذنا صاغية واقتنع بصحة دعواهما وسرعان ما غمرهما بعنايته وشملهما
بعطفه فكان من نتائج هذا العطف العظيم أن اصدر السلطان عبد الحميد

في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان في تلك السنة فرماناً قضى قضاء مبرماً على كل هذه الترهات والباطيل التي كان يروجها ذوو الاغراض . ودعاة السوء والتفريق . وأمر بالمحافظة على أرواح اليهود ومصالحهم في ربوع الشام وفلسطين .

كان كروميو يهودياً بارعاً . وهو وان لم يكن صهيونياً بالمعنى الذي نفهمه نحن الآن . فانا يحدو بنا الانصاف الى القول بان هذا الرجل كان له ادراك واسع دقيق بعظمة بني اسرائيل . ووله سام رقيق بجمال فلسطين . وقد كانت رحلته مع السيرمو توفيري من أشد البواعث على تعزيز مشاعره نحو الصهيونية القومية . ومضاعفة اهتمامه بها وأرجح دليل على ما قدمناه هذا النداء الذي وجهه الى يهود الغرب نقتضب منه هنا بعض عبارات يستشف منها القارئ ما انطوى عليه من علو المبني وسمو المغزى

« في مدة اقامتي في مصر وفي أثناء اضطلاعي بتلك المهمة التي كانت تحمل في حواشيها انعطافاً حاراً من جانب الفرنسيين نحو اخوانهم الشرقيين . هاجتني عاطفة الشفقة وعرتني هزة من الرحمة لرؤية أولئك التمساء الذين استمالوا نظري هنالك . وهم القلول الباقية من هذا الشعب الذي تقلص ظل مجده وجعلته الاقدار تحت رحمة الامم الاخرى وموطئاً لها . وبعد ما كان ذا

سطوة شديدة وشوكة عظيمة في هذه الاقطار . فتقوض صرح
حماسه وانهار ركن نشاطه . هذا النشاط الذي يضاعف في قلب
المرء قوة الايمان بالله عز وجل ويذكره بأنه من صنعه العجيب .
فالعلوم والثقافة التي هي المواد الحيوية . والاثداء التي ترضع
منها قوانا العقلية والادبية قد نضبت نضوباً تاماً في الاسكندرية .
ووات غرر أيامها . وطمست معالم معاهدها . وأصبحت أراً بعد
عين في تلك المدينة الزاهية التي اخرج قضاة اليهود وأطبائهم منها
نهدياً سامياً . أضاءوا به العقول . فازدهرت ازدهاراً عظيماً كان
نحر المدينة . ودرة تاجها . وغدت معتلاً تشتعل فيه نار العلوم
والمعارف . ومنبثق نور تلمث منه أشعة الحكمة الوهاجة الى كل
ناحية من نواحي الارض . وكان لواء الحضارة فيها خفاقاً يحمله
رواد الاصلاح وزعماءه فظلت ردتاً من الزمان مشرقة الشمس
بانة الثمار . وارقة الظلال . فسادت الحرية العقلية . ووضعت
القواعد واستنبطت الاحكام

فالشرق هو مهبط الوحي . ومهد الدين الذي يربطنا بروابط
زئقة العرى متينة الاواصر . ولم تتردد في الجزم بانه عما قريب
ستضطرم نار العقيدة والايمان في مصر والاسكندرية . وتمتد الى
سوريا واورشليم . فيتملأ الشرق في هجته الطويلة ويستيقظ من

سباته العميق . ويخرج من الحلك الداجي الذي تقادم به العهد .
وطالت عليه الاحقاب والدهور

لا جدال في ان كروميو اصبغ من ذاك العهد ملازماً للسير
موتوفوري . تابعا له كظله ومعاوناً وفيآله في كل أعماله . وقد
آبا الى بلادهما مقتبطين النفس . سعيدي الحظ . فرحين بما وصلا
اليه من تحطيم اغلال الاسر التي ناء باثقالها شهداء رودس ودمشق
هؤلاء الذين كادوا يذهبون فريسة التحامل الجنسي وضحية التعصب
الديني . جذلين بما قطعه محمد علي باشا الاكبر والسلطان عبد الحميد
على أنفسهم من العهود الصريحة بالمحافظة على كيان اليهود في الشرق
طرا . وضمان سلامة ارواحهم وممتلكاتهم فيه

فعند إياب هذين المصلحين الى وطنهما هرع الاهلون من
اليهود الى لقائهما . وقابلوها وسط أعاصير من الهتاف والتصفيق
بحماسة لم يعهد لها مثيل . فكانت عودة ما اسعدها من عودة . نعم
كان لهذه العودة الميمونة يومها الخالد الباهي فارتدت المدينة ثوبها
اللامع الزاهي بما أقيم من الزينات . ونشر من أعلام الترحيب . وقد
اولمت الولاة وأدبت المآدب وامست الالسنه لا تلهج إلا بذكر
موتوفوري . وأصبحت مفاخره حديث منتديات القوم واسمارها
ورسمه زينة دورهم وبهجتها وسمته أبعد منالا من السماك الاعزل

وقد رأى مونتوفوري انه بعد اصلاح ذات البين بالتى هي أحسن . والقضاء على هذه الفجائع المحزنة قضاء لا تقوم لها بعده قائمة . يستطيع أن يوالى عمله توصلا لانجاز خطته التى ترمى الى استعمار اليهود بعض أنحاء سوريا . وربوع فلسطين . وفاقاً لنص القواعد الاساسية التى دونها محمد علي باشا الكبير في صميم الترخيص الذى منحه اياه ووعد بانفاذه ولكن لحدثان ما اكفهر جو السياسة واكتنفه غسق قائم من انشا كل المعقدة الخطرة على السلام فكان ذلك باعثاً حمل مونتوفوري على التريث في الامر . وتمحين الفرص الملائمة التى ضنت بسنوحها في المدة الباقية من حياته . وكان اخلاف الذي شجر في سنة ١٨٣٩ اثر منازعات طال عهدها بين تركيا ومصر من أقوى البواعث على جمود حركة النشاط الذي كان يديه مونتوفوري حتى هجع هجمته الاخيرة .



فتوحات البطل المغوار ابراهيم

في سوريا ووقف مشروع موتو فيوري

ولقد كللت هامة محمد علي باشا بالظفر وكان النصر المين
حليفه وطوع بنانه في الحرب التي اضطربت لظاها بينه وبين تركيا .
وهو الذي سير جيشه من مصر وكان بقيادة ابنه البطل المقدم ابراهيم
باشا . وكان هذا المقدم من مشاهير الابطال . وواقفاً حق
الوقوف على قدرة أوربا وشدة بأسها . وقوة مراسها فنظم
جيشاً قوياً . ودربه تدريباً على الطراز الغربي وجيزه بمعدات
الاسلحة الفتاكة فدخل فلسطين غازياً ظافراً . وحصر قلعة عكا
المشهورة التي كانت من أمنع القلاع وأقواها فأحرق بها براً .
وحصرها الاسطول المصري بحراً . وما برح جنود البطل ابراهيم
يوالون هجماتهم حتى استولوا عليها عنوة وواصل فتوحاته في البلاد
السورية حتى دخل دمشق . وكان الجيش التركي قد احتشد في
جهات حمص وحماه . وكثر عدده وأعد عدته للقتال فزحف اليه
البطل ابراهيم من دمشق . ودارت هناك رحى معركة هائلة

أسفرت عن انتصار الجيش المصري . وتبديد شمل الجيش التركي
ثم تقدم ابراهيم باشا بجيشه الى منطقة حلب . فقاتل الجيش التركي
الذي كان قد احتشد هناك . وضربه ضربة غزينة قطعت أوصاله
ومزقت شمله تمزيقا

وتلا ذلك توغل جيش محمد علي باشا بتميادة البطل المغوار
ابراهيم في بلاد الأناضول فسار فيها والنصر معقود بالوَيْتة يفتح
البلد تاو البلد حتى أصبح على أبواب الأستانة حيث جرت معركة
قونية المشهورة التي فتك فيها بالتموات التركية فتكا ذريعا وأسر
كثيرا من كبار قوادها ومن بينهم الصدر الأعظم
وبعد تلك المعركة أصبحت أبواب الأستانة مفتوحة أمامه
لولا تمرض السياسة الدولية له وقدم الجيش الروسي لسد تلك
الأبواب



معركة نصيبين الكبرى

كان من نتائج فعل السياسة الدولية أن الجيش المصري الظافر انسحب من الاناضول الى الاقطار السورية التي وطد مركزه فيها ولكن السياسة الدولية بقيت تعمل عملها فدفعت سلطان تركيا الى حشد قوات جديدة وتسييرها لمقاتلة الجيش المصري ومحاولة إخراجها من تلك الاقطار. وقد تقدمت تلك القوات نحو الحدود السورية. وتقدم الجيش المصري بقيادة البطل ابراهيم باشا لمقابلتها فوقت معركة « نصيبين » التي كانت من أشد المارك هولا. وقد أظهر فيها ابراهيم باشا وأركان حربه من براعة القيادة. وحسن التدبير ما مكثهم في بضع ساعات من القضاء على جيش عرهم. عبثوا بخطط قواده ومزقوا صفوفه شر ممزق

هكذا انتهت تلك الحرب الطاحنة التي لعبت فيها السياسة دوراً من أغرب الأدوار في التاريخ. فعدت الغالب مغلوباً. والمغلوب غالباً. وبعد ما بقيت الاقطار السورية بضع سنوات في قبضة محمد علي باشا الكبير الذي اضطر الى تركها بفعل السياسة الدولية بعد ما استقر له عرش مصر له ولا عقابة

راع النصر الذي أحرزه محمد علي باشا الكبير انكلترا وباقي الدول الاوربية روعا كبيرا وهالت ارباب النظر عتياه هو لا عظميا فرأت انه لا مندوحة من التدخل الدولي لتدارك الامر قبل استفحاله تفاديا من تفكيك اجزاء السلطنة العثمانية . وانحلال عراها انحلالا لا مشاحة في أن يؤدي حتما الى تمقيد العلاقات الدولية وارباكها وربما يكون ايضا حجرا عثرة في سبيل السلام بينما كانت فرنسا ظهيرة جزلة لهذا الظفر . نازعة الى تمضيده مصالح محمد علي باشا . ومتحفزة للأخذ بناصره .

وقد ثار الرأي العام ثائره الكبرى في بريطانيا العظمى . واستصرخ الحكومة . واستحثها على ترك هذا الجلود . وبسط كل مالمديها من قوة وتفوذ وشوكة للتأثير في المسألة الشرقية . صونا للمصالح الجمة التي للانكليز والاوربيين في اسيا الصغرى . ولا سيما أنها مصالح تتطلب تعزيز سطوة السلطان . وتوطيد دعائم عرشه ليظل حاكما آمرا ذامهابة عظيمة . ومشرفا اشرافا كلياً على سوريا . والمقاطعات الاخرى التي هي المحور الذي يدور حوله حركات الامبراطورية الحربية

ثم أعقب هذا الحادث حادث آخر لا يقل عنه شأنًا . وهو اضطراب الحالة الداخلية في سورية ولبنان واقدام الدروز . وفريق

من السوريين والبنانيين على شق عصا الطاعة . فاجتمعت الدول
الاربعة انكلترا وروسيا والنمسا وبروسيا الفرصة السانحة وارسلت
الى محمد علي باشا انذاراً نهائياً طلبت فيه
أولاً المبادرة الى الاعتراف بسيادة السلطان عبد المجيد
اعترافاً صريحاً

ثانياً رد الاسطول العثماني الى الباب العالي
ثالثاً جلاء الجنود المصرية عن الارضي السورية وبلاد
العرب وربوع فلسطين بدون تريث ولا توان وقد اعدت هذه
الدول العدة وحصرت سفنها الحربية الموانئ السورية وأحاطت الجنود
بها احاطة الاكام بالتمر أو الهالة بالقمر وهاجم الاميرال البريطاني
السير روبرت ستوفور قلعة عكا مهاجمة صادقة . تلك القلعة التي
فعل البطل الكبير حليم فارحي افعالا هائلة في الدفاع عنها والذيادة
عن دمارها . تلك القلعة العظيمة التي كانت عقبة في سبيل غزوات
نابوليون ومطامحه الكبرى . واستولى عليها هذا القائد البحري .
بدون عناء ولا مشقة . وسلمها بعدئذ الى السلطنة العثمانية . ولم تمر
برهة وجيزة من الزمان حتى أرغمت حامية يافا على التسليم . وفي
اليوم التاسع من شهر نوفمبر سنة ١٨٤٠ . كانت كل القوات
الفلسطينية وأهالي البلاد جميعهم مطأطأي الرؤوس . ومنصاعين

لأوامر الباب العالي بعد ما أقسموا له يمين الطاعة والوفاء
فقد محمد علي باشا الكبير سيادته وإشرافه وسيطرته في
سوريا وفلسطين وتقصّصت أركان سلطته في تلك الأرجاء تقويضاً
وحل محلها حكام أوفدهم السلطان من الاستانة . ومنحهم سلطة
الحكم بعد أن ولاهم ثقته . ولكن ما لبث هؤلاء الحكام أن وثبوا
حاملين معاول الهدم والتخريب . فطفقوا يهدمون ويخربون
ويدمرون كل ما شيده محمد علي باشا من الأعمال الجليلة فككوا
أجزاءها . وثرّوا حلقاتها . وتركوها شذر مذر
سحقاً لهذا الزمن العاشم فقد أصابت هذه الضربة كبداية
المشروعات التي كان يكدر موتو فيوري في إنجازها . فصارتها .
وقطعت أوصالها تقطيعاً

على أنه من الخطأ أن يتوهم القاريء أن هذا الانقلاب
أوهن جلد موتو فيوري . أو أضعف شيئاً من روحه الجوابية .
وآماله المتقدة بذور الأمان بإرجاع اليهود إلى حظيرتهم . فما بعد
هذا عن الواقع . فلا وأيم الله فلا جلائل الأمور ولا أهوال
الخطوب كانت قادرة على إنهاك قواه . وتثييط عزائمه إنما الأمر
الذي حار فيه أولو النهى هو : هل كان هؤلاء اليهود متأهيناً تأهباً
مبائناً جدياً ؟ أم كانوا واقفين حقيقة على الحالة التي تحيط بهم وقوفاً بيناً

صحيحاً . وهل هم يفتنون الى ما في دخائل هذه الحالة من مزايا وخرج . وفوائد وعقبات ؟ وهل اجمعوا اجماعاً صادقاً على ولوج هذا الباب بدون احجام ولا تردد حتى يبلغوا منهاهم . وبنالوا مبتغاهم وهل لديهم نظام ثابت تقوم عليه أعمالهم ويمكنهم من الاضطلاع بمشروع خطير كهذا . واسع المدى . مترامي الأطراف ؟ وهل كان في مقدور الشرق والغرب القيام بالمعاونة الأدبية والمادية اللازمة . واعطاء كل ما يطلب اليهم في سبيل تحقيق العمل العظيم الذي يتناول هذا الاستعمار

فهذه الاسئلة التي يسائل المرء نفسه بها ليست من المسائل السطحية البسيطة التي يمكن الاجابة عنها على الفور من غير روية . بل هي من المسائل الاجتماعية المعضلة البعيدة الفور التي ليس من السهل تقرير أمرها . وتقدير سيرها ومصيرها بالدقة من حيث خطورتها ومداهها . وقد بحث الباحثون الملمون بطبائع اليهود ونزعاتهم حق الامام في هذه المسائل واستقصوها من جميع وجوها وانبرى من بينهم اللورد شافسبوري وأدلى برأيه في هذا الموضوع ونشر كلماته الخالدة في جريدة التيمس التي هي صحيفة من اكبر الصحف الانكليزية في اليوم السابع عشر من شهر أغسطس سنة ١٨٤٠ . ومفادها :

« ان الاقتراح الذي يتناول اعادة الشعب اليهودي الى وطن
« آبائه وأجداده وحمايته في كنف خمس من الدول ليس اقتراحا
« يشتف من خلاله عبارات نظرية . بل هو موضوع جدي
« خطير جدير بالاعتبار

وقد ظهرت وثيقة وزارية مؤرخة في ٢١ يوليو سنة ١٨٤٠
تتضمن ما يأتي

أولا ما هو مبلغ اختلاج عواطف اليهود ومداه نحو العودة
المحتملة الى فلسطين

ثانيا هل هم يمتلكون رؤوس اموال كافية ؟ وهل لديهم
الوسائل المثل . والدرائع الفضلى لانهاض هذا المشروع والاخذ
بناصره ؟ وهل يجنحون اليه بمحض ارائهم والهامهم ؟ وهل هم
مسوقون بسليقتهم الى الانضواء تحت نظام يهودي عام : أفلا
يتبرمون اذا طلب اليهم ان يصبحوا أموالهم لتوظيفها هنالك .
واتفاقها في سبيل اصلاح الاراضي واستثمارها في فلسطين على ان
تكون حياتهم مأمونة الجوانب . وبمنجاة من عوامل الاغتصاب
والارهاق وكم يقتضي لتلك الالهبة من الوقت لكي يتسنى لهم
الذهاب اليها ؟ أ يستطيعون المعيشة تحت سيطرة فلسطين الحالية
(أي حكم ذاك العهد) ويتخذون لهم منها كنفاً ومتق ؟ او يرومون

حمايتهم في كنف الحكومات الاوربية

لا نستطيع التمكن بالشئ ولا الرجم بالغيب فكل الذي نعلمه من هذا الأمر هو أن جريدة من أمهات الجرائد اليهودية نشرت بتاريخ ١٠ سبتمبر سنة ١٨٤٠ بين أعمدها مقالا وجهت فيه انتقاداً شديداً لهذا المشروع وحذرت النشء اليهودي من الوقوع في شرك تلك النداءات الوهمية . ولكن بالرغم من تلك الاعتراضات لم يتردد شباننا في التهافت والاقبال على هذا المشروع إقبالا شديداً حتى ان قراء من ساسة الاسرائيليين وغير الاسرائيليين أعاروا هذه الفكرة أذنا صاغية وغدت موضوع أحاديثهم واهتمامهم عرضت شروط الصلح على محمد علي باشا الكبير فأبت نفسه الإتيه أن يمهرها بامضائه وردّها في اليوم الخامس من شهر سبتمبر سنة ١٨٤٠ ولكن تألبت الدول عليه فاضطر الى قبولها . وما رحت أن أبرمت معاهدة أخرى تنزل فيها عماله من السيادة والسلطة في سوريا على شرط أن يكون الحكم في مصر حقاً متوارثاً لثريته وأعقابيه وكان في مقدور اليهود عهدئذ أن يصلوا الى الغاية التي كانوا ينشدونها ولا سيما ان جو السياسة كان يعزز تفاؤلهم بالنجاح كما ان هذا المشروع قد صادف هوى وعطفاً في أقدّة بعض عظماء الرجال ومعظمهم من الانكليز غير انه كان يعوذهم النظام الكفيل

بتحقيق ما يعهد اليهم فيه . وقد نشر الاورد -السيوري أيضا في
جريدته يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٨٤٠ ما كان يخالج فؤاده وشعوره
من هذا النحو . ونوه به قائلا :

« من ذا الذي كان يجول بخلدك ان هذه المسألة ستكون يوما »
« من الايام مثار البحث في جريدة من أعظم الجرائد شأننا وأغزرها »
« مادة واكثرها انتشارا . وترينا أمرا واقعا . وهو أن عين »
« الخالق ترميها . وعنايته تحيط بها » .

إذا لا يغرب عن الاذهان أن الحملات القاذفة . والوشايات
الاثيمة الذميمة التي كان السئلة يمتطرون اليهود بها في وضع المضحى
وعلى مرأى من الناس في دمشق ورودرس كانت باعثا قويا على
اعادة طرح هذه المسألة على بساط البحث . وتعاقد الايدي على
التعاون وتعارض شد الأرض في سبيل تقويم اودهم وإصلاح
شأنهم

ولا يرحن عن الذهن ان الجهد الجيد الذي كان يبذله
موتوفوري لصاحبة أبناء جنسه في كل فج من الانفاج التي
كانت أعناق اليهود مزوقة فيها باطواق من الجور لتمد الأنفاس
والخفاوة الكريمة . واطرحيب العظيم الذين قابله بهما محمد على باشا
والباب العالي ووافيتهما على الاستثمار الزراعي الذي ستقوم اليهودية

به في فلسطين . كل هذا أثار وجدان بعض الطوائف والجمعيات
غربية كانت أم شرقية . وجعل اليهود يحتلون من خلال هذه
الحركة الميمونة وميضاً فياضاً بالأمل . وتناؤلاً سعيداً يشرهم
بدنوسؤددهم . ورفاهيتهم

ومن الحق الذي لا يماري فيه أن دم موتوفوري كان
يتدفق قوة ونشاطاً . وكان لا يخطو خطوة إلا وهو يحمل على
منكبيه أعظم لواء عرفته اليهودية سائراً به سيراً حثيثاً نحو معقل
الغاية العليا . وطمعت مؤثراته النياضة . تنبث انبثاثاً سريعاً . بل
تتدفق على الصهيونية . وتطمو على كل رقعة من رقاعها . فاذن
لا غرابة في ذلك ان قام بذاك أسوار جمود العالم اليهودي دكاو بتحطيم
سلاسل خموله تحطيماً . وهكذا ساقه في طريق العمل . وبددغياهب
ضلالته الكبرى . ومزاعمه الباطلة . واخذ يهدله مهيماً مفضياً
الى التجديد الصحيح . والارتقاء السليم . وأراه في اليقظة غير
ما كان يراه من أضغاث الاحلام في الهجمة . فهب من رقدته تواقاً
متعطشاً لاستعادة ماضي شأنه . وغرر سالف أيامه فتحركت
مشاعر الغرب . واقام وزناً سياسياً لهضته . واعتبر الفرق بين
بارحته ويومه . وكراه ويطمته . بخلاف مافعلت بعض الأمم
المتعصبة التي أخذت تنجهم في وجه العالم اليهودي الناهض المستبطن

تستريح لنفسها مناهضته وتسميم عواطفه . وقد أحاطت به إحاطة
السوار بالمعصم وسدت عليه المذاهب . وأخذت تثخن فيه وهي
شاكية السلاح . وهو ضعيف أعزل . وطفقت تنفث في زهرة
الحضارة اليانعة سما زعافاً . هذه الزهرة التي أخذت تنفتح عن
أكمائها . ويتضوع اريجها في اقطاب العالم قاطبة فزارت اليهودية
زارق مادتها جوانب اوربا من اقصاها الي اقصاها محتمدة حنقاً
ومشتعلة غضباً . وانقلبت هجعة البترون استيقاظاً . فاستيقظت
وهبت كالريح الهوجاء تكافح الاهوال في سبيل بقائها

ومتى أخذنا نعتبر ما قد استطاعه هذا الشعب من تشييد المعالي
وبلوغ ذروات المجد فيما مضى . امنا الخطا بقولنا اننا نستين خلال
هذا الغايان الهائل فيه . تجدداً حثيثاً صحيحاً رائعاً . ولا غرابة في
ذلك ان عاد يستفيد من عزه الغابر . ومجدة السالف . وهذا تاريخه
المجيد شاهد . وحضارته البديعة خالدة . من حقب بعيدة العهد .
وعصور مترامية في القدم

ظل مو توفيري حتى المات حريصاً علي شعاره . ومبدئه .
وايمانه . وقد جاب أفاق فلسطين سبع مرات . وطاف أركانها
القدسة ركناً ركناً . كاد في خلالها يشرف على الهلاك . وبرشف
كأس الحمام .

كانت أرض اجداده قطب افكاره حتى ان احد المؤرخين الذين قاموا بتدوين تفاصيل حياته قل في سياق كلامه : فاه موتوفورى وهو في حشرجة النزع بعبارات خالدة مأثورة لا يحوها تعاقب الجديدين ولا كروور المولين وهي :

ولئن كان امل هذا الرجل ضئيلا بمغادرة يهود العالم بلادهم التي يعيشون فيها . وعودتهم الي حضيرة اجدادهم . الا ان ذلك لا يمنعهم ان تكون فلساين في حوزتهم في مستقبل الايام وبذلك تعود فلساين اليهودية كما كانت في غابر الازمان . ودو أمر لا يحتمل الجدل نلابد من اتاذه . ولا حيدة عنه

كأن هذا الرجل يريد أن تكون نزعات فلساين قئمة على قواعد انتبعر والملكمة من حيث الاعتبار الديني . والسياسي . والاقتصادي . والأدبي . ومن حيث اعتبار ماهية حركاتها التوموية و لأطوار اتي اجتازتها . وانغاريات اتي اتخذتها أهدافا لها . وكن يريد أن تكون صحيحة سليمة . منزدة عن الشائبة والنقص . وأن تكون منبتا من منابت الحضارة الحديثة . ومنشأ من مناشي العمران التويم . ولا تكون درضة لا وائي الاجتياح . ولا مستقرا لبني . والحيف حتى تأمن نخبها في الاجنات والمائرا تي كنت تكتننها من قبل . وكن يريد إنقاذها من برائن الذين يروون ازدرادها .

وينيرها بمصاييح العلم والعرفان وتعميم اساليب فوائدها . ويذل
كل صعب لتوالي صعودها بمعراج الارتقاء . هذا هو حجر الزاوية
في توجيه جهوده إلى إعادة اليهود إلى فلسطين

تواترت تلك النوازل التي لم تبرح الجروح منها دامية . ولم
تقتصر عند ذاك الحد فحسب . بل أخذت تجر وراءها رزايا أشد
وحشية وفضاعة . منها حادثة مورتيهه المؤسية التي وقعت في مدينة
بولونيا وسنأتي على ذكرها بعد . وهي حادثة خطيرة استفزت
أقطاب الغرب وساستهم من فرنسيين وانكليز واستحثتهم على
السعي وراء الاصلاح متذرعين بحير الذرائع للوصول اليه . فأخذوا
يطيرون إلى أنحاء العالم قاطبة خطبهم المعربة عن تحرير هذا الشعب
المضطهد . وينشرون دعاياتهم . ولم يكن أمرهم مقصوداً على
الاصلاح الديني فحسب . بل تناول الاصلاح السياسي إذ كان
مرادهم حقاً انتشال اليهودية من وهدة انحطاطها . وانقاذها من مهاوي
المهالك المفتوحة أمامها . ففي انكلترا انبرى للدفاع اللورد بالمرستون
واللورد ابردين واللورد سنداي . واللورد شافسبوري . واللورد
جلادستون . واللورد بيكونسفيلد (دزرائيلي) وغيرهم . وفي فرنسا
خاض هذا المععان لازار لينفي الذي أخرج كتاباً . فذاً . فيما موسوماً
(باصلاح اليهود) وموريس هيس واضع كتاب (مهمة إسرائيل

في التاريخ) وارنست لاهاران السكرتير الخاص لنابليون الثالث الذي وجه إلى اليهود نداءه المشهور . والبير كوهين عضو المجمع العلمي المركزي في فرنسا . وشارل تتر مؤسس جمعية (ميكفيه اسرائيل) وبرنار لازار وغيرهم أما في مصر فما برحت تلك الحماسة الملهية تفور فوراً بركانياً هائلاً . وذلك أثر الجهود التي بذلها موتوفوري وكروميولدي محمد علي باشا الكبير والساطان عبدالمجيد حقاً قد اقتبس اليهود من هذه الرزايا والبلايا طاقة من أبلغ الدروس والعظات . وبقي معظم ذكريات المساويء والمآثم التي اقترفها أولئك العسفة الظالمة الذين جمعوا بين ضروب الفساد والحطة . حياً في زوايا أدمغتهم . والواح ذاكرتهم وتغلغل في أفاق أنفسهم . وانتعشت في أذهانهم حتى غدا مرئي الآثار المحسوسة في جميع ما يأتونه من الحركات والاعمال ونذكر على سبيل المثال من تلك المساويء حادثة واحدة . فاجعة . يتبرأ منها العدل . وتعافها السياسة الرشيدة . وهي حادثة مورتيره التي وقعت في سنة ١٨٦٠ وجاءت ضغناً على إبلالة . فطغى بها الكيل وبلغ السيل الربى . كانت جوارفها غاشية ماحقة ومن أقوى البواعث على نشوء حافة يهودية عامة . متياسكة الوحدة المعنوية . وثيقة العرى الأدبية . الفريدة مثال . وإيقاظ الصهيونية من رقدتها . وكان لها دوي قاصف تجاوبت اصداؤه في الشرق والغرب فتعذب منها جوهر الموضوع

اختفاء غلام يهودي

كانت في مدينة بولونيا اسرة يهودية من الأسر العريقة .
الوديعة . المتحصنة بأهداب التنوير ومبادي الاستقامة . مؤلفة
من زوجين . رزقا غلاماً لطيفاً خفيف الروح . ذكي الفؤاد . تبدو
على جبهته مخائل النجابه والنفطنة . افرغ والداه في تربيته مالهيهما من
الموارد الأدبية والتهذيبية الى ان قرب السنوات الست فأخذت اعضاؤه
تشتد . وقراه العقلية تنمو وترعرع وكانت تعني بخدمته خادمة من
تلك المدينة عنابة لم يعد لها مثيل . لشدة اقتنائها به ولغرض في
نفسها . وكان هذان الوالدان محبوبين كثيراً من اهل المدينة الذين
كانوا يحترمونها احتراماً عظيماً لما فطرا عليه من العواطف السامية
النبيلة لكل من لاذ بهما والاخلاص الطاهر الشريف لكل من
جاورها . وخطب ودهما . فكانا ناعمي البال . . هادىء الليل .
لا يحسبان لصروف الزمان حساباً . ولا الطوارئ الحدثن امرأ
وينماهما في بحبوحة الأمن ونعيمه . دهمتهما ليلة ليلاء . تكتنفها
سحب كثيفة دهماء . منذرة بهبوب عاصفة هوجاء . فدخلوا إلى
مضجعهما . يرتعدان فرقاً وهلعاً . وقد اخذ منهما الرعب كل مأخذ

ثم تغلب النعاس على جفونهما . وبينهما ابنتهما . وقلدة كبدهما .
سياجه عظمهما . وحصنه حنوها . فاستغرقا في النوم حتى نهاية
الهزيع الأول من الليل . وإذا زارة هزت دعائم الحجرة . زارتها
تلك الأم البائسة . زارة اللبوة الناقدة لشبلها فبحثت عن إبنتها فلم
يجده فاستدعت الخادمة فلم يجبها أحد فهب الأب مذعوراً من
رقاده . وأخذ كزوجته يسكب الدمع مدراراً . ويضرب أخماساً
لأسداس . كان ذلك نتيجة مؤامرة خفية . أثيمة . حاك أطرافها
نمر من موظفي الإدارة العامة اقتصدوا فرصة هذا الظلام الدامس
في تلك الليلة التي هي من أشد الليالي حلكاً . فأنسلوا إلى المنزل
أنسلال الأرقم تحت الأزاهر . بايعاز من الخادمة المجرمة واختطفوا
الغلام بمهارة غريبة . ذلك أنه منذ سنتين مضت مرض هذا الغلام
مرضاً شديداً حار نطس الأطباء في شفائه . وكاد يذهب بحياته
لولا أن تداركته خادمته على مايزءون . واغرته بالاقلاع عن
عقيدته . وتغيير دينه . فقبض الشرطة على تلك الخادمة . وادى
استجوابها . لم يثبت أن برح الخفاء . وأنجلي المستور . واسفر
التحقيق عن افضائها المسيحية . واعترافها الصريح بأنها عمدت
الصبي . ورشت ماء المعمودية على رأسه . فأصبح بذلك معتقداً
بالدين المسيحي اعتقاداً راسخاً . لا يعرف ديناً سواه . فاستعطف

هذان الوالدان ذوي السلطة . وتوسلا اليهم . ولكن لا حياة لمن
تنادي . فلا عولها . ولا انسكاب دمعها كانا بقادرين على تحريك
عواطف هؤلاء القوم حتى للسماح لهما بمشاهدة ولدهما .

ربما خالجتك الشك في تصديق هذا لأنه ليس مما تستسيغه
العقول بحيث لا يمكنك تصور أن يكون . ولكن من أشد
بواث الأسى ومثيرات الحزن والألم أنه قد كان

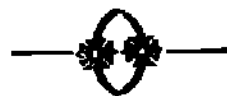
شاعت هذه الحادثة وذاعت . وهاج العالم اليهودي . وماج .
فاشتعل حنقا وبأساً . وغلت مراجل هياجه غلياناً هائلاً . متمللاً
من شدة الآمه وبرحائه . ورنّت أصدائه في كل رقعة من رقاعه
حتى وصلت إلى آذان نيافة البابا فتوسط قناصل الدول وطالبوا
شفاعة الفاتيكان . وتدخله في هذا الأمر . فكان ذلك جهداً باطلاً
وأثلاً ضائعاً . إذ قد سبق السيف العذل . فلقد قرعوا الباب تلو
الباب . ولكنهم وجدوها مغلقة دون النجح أيما إغلاق ولما أبى
الفاتيكان الاصاخة لأقوالهم . ناؤا بجانبهم . وضربوا بهذه المسألة
عرض الحائط . فقفلوا راجعين يتعشرون بأذيال الخجل

عزت على موتوفوري هذه الخيبة . وشق عليه حبوط
المسعى . فذهب مع عقياته إلى روما وطلب شفاعة البابا . فخطي
بشرف المثول . ولقي مجاملة سامية من قبل الفاتيكان . ولكنهما غير

مجدية . فقد اجابه البابا أن الحل الوحيد لهذه المسألة هو التريث والتجلد حتى يبلغ الغلام سن الثامنة عشرة . فيكون اذ ذاك راشداً طليقاً من كل قيد . ويستطيع أن يختار بمحض إرادته والهامة الدين الذي يصطفيه . ويريده فكانت النتيجة المحتمومة أن عاد هو الآخر أدراجه مخفى حنين

ومن الثابت أن سنن العالم وتقاليده إنما هي الآفة التي كانت وما برحت تنخر في عظمه . ولم ينفك التعصب من العصور والحقبة القديمة أغلب صفة . وأبرز صورة في الآفاق قاطبة . فلامم هذا الأمر الواقع لم تر اليهودية مندوحة من أن تتماسك . وتتعاصد وبدأت أصوات الشبان اليهود المتشبية فيهم روح الحرية والاباء تتعالى وتشتد قوة وبأساً . تجوب البلاد . وتحترق الآفاق وما كاد يصل النصف الأخير من القرن التاسع عشر حتى توغلت تلك العواطف في قرارات صدورهم . وأنشأوا شتى الجمعيات . كانت في طليعتها الحلقة الاسرائيلية العامة . المشرقة الوهاجة فنشأت نشوءاً وطيداً . ثم تلتها في سنة ١٨٨٢ الجمعية المعروفة (بجمعية عشاق صهيون) « هوفيفيه سيون » . ثم الحركة الدر يفوسية سنة ١٨٩٤ التي نبتت منها ومن الحوادث التي أورى البرنس بسمارك أوارها جذور الصهيونية . ثم أعقب ذلك ظهور رجال القطب الفرد

هرزل بسلطانه النفساني الهائل . وروحه الاجتماعية الكبرى التزاعة
الى الوحدة الخالدة . والتواتق المتين . وما برح يوقظ اليهود .
ويثيرهم بتعاليمه . حتى غدت نفوسهم متحمسة بنشوة الاتفعال .
متحزفة للوثوب على هؤلاء العسفة العتاة الذين أضمرُوا لليهودية
المناهضة ونصبوا لها مكاييد الغدر لخنقها وليدة في مهدها
وليس من المغالاة أن نقول ان هذا الرجل حقاً هو الذي
استفز النهضة القومية الصهيونية وهو أبو ما في اليهودية اليوم من
ثورة عصبية جنسية فأنشأ يعمل ويكد ثابت الجنان . رابط الجأس
متوخياً وسائل الترقية وذرائع التنشئة على سنن التدرج . رافعاً
لواءها الخفاق على رأسها فز أعماقها وحرك عروقها ودفعها الى
اجتياز هذا الدور الحاسم دور التمحض الذي لا بد . منه ولا منتدح
عنه . فازدادت رابطة الوحدة المعنوية وثوقاً . وعروة التضافر
الادبي احكاماً ومتانة



دزرائيلي أو اللورد بيكونسفلد

ما من أحد يجهل مسألة قناة السويس من الأهمية الكبرى والشأن العظيم . وتأثيرها في السياسة المصرية والانكليزية حيث قام النابغة فرديناند لاسبس بعمله العظيم ليقرّب طريق الهند والشرق ويظهر أن انكلترا خفي عليها لأول وهلة ادراك القيمة الجوهرية لهذا الطريق . والفوائد العظيمة التي تعود عليها منه وهو ما فتىء إلى الآن . ولن يرح قائماً بدوره الحيوي من الوجهتين التجارية والسياسية . فنجم من هذا الشطط ان انكلترا ضربت بهذا المشروع عرض الحائط تاركة مقاليد أموره في قبضة الحكومتين المصرية والفرنسية

وقد تأسست لتحقيق هذا المشروع واخراجه الى حيز العمل شركة عظيمة في سنة ١٨٥٨ وأصدرت أسهماً كثيرة العدد فتح لتوزيعها ! كتاب عام نالت منه فرنسا القسط الأكبر بيد انه لما تولى بيكونسفلد رئاسة الوزارة وقبض على دفة السياسة وأغنة الأحكام . أدرك بثاقب فكره ما لهذا المشروع من الثمرات الجمة . الدانية القطوف . والفوائد العظيمة التي ستجنيها انكلترا

إذا نالت قصب السبق في هذا المضمار . مضمار المباراة بينها وبين فرنسا . فأخذ يشحذ غرار أفكاره . حتى اهتدى الى الذريعة الفضلى والطريقة المثلى . وهى الاستيلاء على معظم الاسهم التى بها تتملن الامبراطورية بلا مشاحة من بسط سيادتها على هذه القناة واستعمال نفوذها فيها

صحيح ان هذه المسألة قد تلاشى بعض الشيء من قيمتها بعد احتلال بريطانيا العظمى أراضى فلسطين حيث تستطيع الآن مجابهة ما يعترض سبيلها من العقبات والطواريء . ودرء غوائلها بتمهيد الطريق من خليج العقبة في البحر الأحمر . غير أن هذا الطريق كان بعيد المنال . يتعذر اختراق سياجه . حينما كانت تلك الأرجاء في حوزة العثمانيين وتحت سيطرتهم

وقد ذكر السير هنري لبي في كتابه الموسوم (بستين سنة في فيافي الصحراء) انه في خريف عام ١٨٧٥ كان هنري أوبنهام من جهابذة الكتاب الافذاذ . وصاحب جريدة الديلي نيوز الكبرى متجولا في فرنسا ثم انتقل بعدها الى مصر . وبينما كان يحوب أتحاءها وصل الى علمه ما آلت اليه مآلة مصر من الضعف والانحطاط . وما عقده الخديوي اسماعيل باشا من العزيمة على بيع كل ما ملكت يده من الاسهم التى خص بها في مسألة القناة . فلم

يكبد هذا النبأ يتصل به حتى قفل راجعاً على أجنحة الطير . وقص هذا الأمر على أحد أصدقائه فريدريك جريتوود رئيس تحرير جريدة « بال مال غازيت » وهذا لم يتوان برهة في نقل الخبر الى اللورد دربي وزير خارجية انكلترا عهدئذ . وما لبث هذا الخبر أن قرع آذان ييكونسفلد (دزرائيلي) . فشرع عن ساعد الجدد وأسرع إلى فتح باب المفاوضات مع الحكومة المصرية في هذا الصدد لأنه أيقن كل الايقان بأن الخديوى عقد العزيمة على بيع نصيبه من الأسهم بيعاً كاملاً بمبلغ أربعة ملايين من الجنيهات على شرط دفع المبلغ كله نقداً فاغتتمت نقابة فرنسية الفرصة . وتمكنت في غضون ذلك من الدخول في المفاوضات . وكادت تعقد الصفقة وتقلت من بين يدي انكلترا لولا أن قام جريتوود وأثار عاصفة من الانتقاد والتأنيب في جريدته . واستحث الحكومة على مصارعة منافستها فرنسا . والقضاء على مساعيها . على أن تحقيق هذا المشروع في ظروف عصيبة كهذه لم يكن من الهنات الهينات . بل كان يعد من المغامرات الجريئة التي قلما يقدم أحد على التوغل فيها مهما تكن مهارته . ومقدرته العقلية ومواهبه الغريزية لاسيما وأن العقبات التي قامت في سبيله . كانت من أشق العقبات . واصعبها تذليلاً . إذ كان في طلائعها البرلمان المعارض ولذلك اجتنب القوم مجابهته تفادياً من إثارة مناقشات

عامّة ترعزع أركان هذا المشروع وتقضي عليه قضاء مبرماً. وفوق ذلك يقتضي على الذين يقومون بأمره أن يخطوا خطوات الجبارة للوصول بسرعة البرق الى انجازه . اذ أن جسامته المبلغ ودفعه نقداً دفعة واحدة مما يجعلهم يحنفون من تلك المغامرة أيما اجفال. ولكن هذه المصاعب التي أحاطت بكونسفلد واعترضت مساعيه لم تكن لتبسط عزيمته الصادقة . وكانما بعثت فيه روحاً جديدة من الحزم والنشاط لان هذا المشروع ليس في الواقع من المشاريع التي تحمل في ثناياها مصالح مادية فحسب . بل هو القطب الذي ستدور عليه الحركة الحيوية البريطانية . والعامل الاكبر الذي سيكون له تأثير عميق في عالمي التجارة والسياسة اللذين يلتقي عندهما اعظم مطامح انكسار ومرامها . فأوفد دزرائيلي اللورد روتن سكرتيره الخاص الى المثري العظيم الذائع الشهرة البارون دي روتشلد لعرض هذه المسألة عليه . ولكن اعترضت سبيله عقبات اخرى فقام بعصاته السحرية ودك اركانها دكا . ولم تمض ثمانية ايام حتى وكانت الصفقة قد عقدت . وامتلت تلك الاسهم إلى خزائن الحكومة البريطانية

وقد احتفلت الحكومة المصرية بافتتاح هذه القناة احتفالاً عديماً المثال في سنة ١٨٦٩ . وقد دعي ملوك الغرب لمشاهدة هذه

الدرة النفيسة . أو الخريدة الثمينة التي انارت بضوئها اقصى طرق
البحار . بل لاجتلاء جمال هذا المفرق الذي هو من أعظم مفارق
الكرة الارضية وفي طليعتهم الامبراطورة أوجيني امبراطورة
فرنسا . زوجة نابوليون الثالث وفرنسوا جوزيف الاول امبراطور
النمسا والمجر . وغلجوم الاول ملك بروسيا والامير عبد القادر
وغيره من الامراء ومنذ ذلك الحين لا تزال هذه القناة في تقدم
ونجاح وباتت السفن التجارية والحربية تخرج عباب البحار تحتاز
طريق هذه القناة وطفقت التجارة تمتد ناشرة وفر البضائع في كل
بقعة من بقاع الهند والبلدان النائية . وفي كل قطر من أقطار
المسكونة

لا مشاحة في ان هذا المد . اى مد النعم والخيرات الذي
اخذ يطمو على انكثارا من ذاك العهد ويفعدها غمراً جزيلاً . كان
هذا الرجل محر كاله . فهو الذي فتح لها كنوز سامان . والقي بين
يديها مفاتيح تلك القناة الساحرة . تلك القناة التي غيرت وجه
السياسة العالمية بأسرها ووضع على رأسها ذلك التاج الوهاج الذي
انحنى هام الهند له . فهذا العمل الذي جعل بريطانيا العظمى الحاكمة
الامرة مالياً . وعسكرياً عليها بلا منافس ولا معارض كان اول عامل
في توسيع دائرة سياستها التي امتدت جذورها خلال الحرب

الكبرى امتداداً هائلاً . وتفرعت منها فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين . وهي فكرة نمت بعد ذلك نمواً سريعاً حتى أصبحت الآن شجرة يانعة الثمار وارفة الظلال يتظلل فيها عدد عظيم من الاسرائيليين

كان غلاة الصهيونية . والدوائر المنتمية اليها ينحون على يكونسفلد بالآئمة : ويطعنون في سياسته مر الطعن . ويستنكرون موقفه ازائهم شديد الاستنكار . حيث كان في مقدوره . وفي يده كل طلسم السحر التي كانت تجعله قادراً على كل شيء . وتجعل الامبراطورية منقادة لأوامره . أن ينهض بالشعب اليهودي الى مستوى أعلى . ويصعد به الى ذروة الرقي . دون أن ينبس أحد . يات شفة . ويسوقه الى وطنه القومي قبل هذا الوقت بقرن من الزمان . بدلا من ابطائه واعاقه سيره الى الآن . واسكن كل من أراد تحليل منازع هذا الرجل المتشعبة وسجاياه تحليلا نفسانياً بسيكولوجياً لمعرفة اتجاهات أمياله ازاء المسيحية . لوجد ان دينه الجديد لم يثنه عن اظهار ما فطر عليه من الحناز والعطف الطبيعيين ولم يغير فيه غريزة الميل القطري المتحدر اليه ارثاً من آباءه واجداده . بل ما اتاك هذا الحب خالداً وظلت جذوره الى أن واقته منيته متصلة في أعماق قلبه تأصلاً قوياً . لا تستطيع تقلبات الدهر الى استئصالها سبيلاً

مولده ونشأته

ولد بنيامين دزرائيلي في اليوم الحادي والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٨٠٤ في مدينة لندن . واحتفل بختانه بعد سبعة أيام من ميلاده . أي في اليوم السادس والعشرين من شهر تبيط من السنة الموسوية . بحسب مذهب سيدنا ابراهيم عليه السلام . وقد أخرج والده اسحق دزوائيلي نقائس من الكتب الموشاة بدرر البلاغة وسحر البيان منها الكتاب الموسوم « بالعبرية اليهودية » أما أمه مريم فكان أبوها سليمان بازيفي من مدينة فرونه . من المقاطعات التابعة لإيطاليا . وقد اعتنق أبو دزرائيلي الديانة المسيحية في اليوم الحادي والثلاثين من شهر يوليو سنة ١٨١٧ لأسباب ما برحت منضوية تحت أجنحة الخفاء الى يومنا هذا

فقي ابان مثار الاضطهادات الدينية . وفي مهد اضطرابات مجالس التفتيش . أي في منتصف القرن الخامس عشر طردت الارومة المتحدرة منها اسرة دزرائيلي من اسبانيا فهامت على وجهها . ولما لم تجد بلداً تأوى اليه الا إيطاليا أتت اليها ولاذت بحمايتها . فمكنت فيها حقتين كامتين . ثم جمع بنيامين دزرائيلي جد

الوزير بكونسفلد حقاثة . ورحل الى انكلترا . واتخذها ملجأ
له . فاستقرت به النوى . وزرق أولاداً ومن عقبهم ولد بنيامين
الوزير . قتشربوا جميعاً بمبادئه وتغلغلوا في نفوسهم أصول تعاليمه .
وحب العودة الى أرضهم المقدسة . لذلك لم ندهش اذا رأينا هذا
الرجل جادا في ترقية الشعب الذي تسلسل من أجداده
وانتقل دمهم الطاهر في عروقه . وفي كل دقائق أعصابه وبالرغم
من اعتناق المسيحية التي كان يجلها ويحترمها كان باذلا روحه ومهجته
في سبيل تعزيز قوة انكلترا وترسيخ قدمها في تلك الأصقاع .
لتحقيق مطامع اليهود ومراميمهم عند ما تسنح له الفرصة بذلك .
ومن الغريب أن هذا الرجل كان جامعاً اشارات الانكليز المميزة
الى عادات اليهود . وتماييدهم جمعاً وثيقاً . وقد صرح الرئيس
سوكولو غير مرة أن دزرائيلي هو الرجل الذي يمثل حركة الصهيونية
تمثيلاً حقيقياً

قد وقعت غلطة مطبعية في فصل سابق وهي «يقول المرحوم
ناحوم سوكولو» ولكن صحتها الرئيس ناحوم سوكولو لأن
هذا الرجل هو على قيد الحياة وحي يزق حتى الآن
فاذا أراد الانسان سبر غور عواطف بكونسفلد وجس
نبض نزعاته وأمياله لمعرفة ما إذا كان هذا الرجل بقي يتغذى خفية

بليان عقيدته الاولى . واذا كان اتخذ المسيحية ذريعة توصلا
لا كتساب المعالي . وتسسم ذرى المجد . وتحقيق المطامح الكبرى
التي كان يصبو اليها وهو في ريعان شبابه فعليه بمطالعة تاريخ حياته
فهو المرجع الوحيد الذي لا يوارى . ولا يداجي . وهو بمأمن
من الروح الحزينة والاغراض الدينية . فالحوادث التي تخالفت
حياته . أبانت لنا أن روح هذا الرجل كانت تحوم دائماً حول
اليهود . وتفيض بالعطف عليهم . وكانت الاوتار الحساسة الكامنة
أبدأ في مزاجه وطبيعته تهتز لهم اهتزازا شديدا . وكان يرقب
حركاتهم . و- مكناتهم في غدوه . ورواحه الا أن ذلك ما كان ليمنعه
من تأدية فرائضه الدينية المسيحية التي كان يزاولها بكل خشوع
واخلاص

كان هذا الرجل نموذجاً من أبرز النماذج الخلقية الراقية للجنس
البشري . وكان أكبر مثال حي . شاهد على عظمة السلالة التي
هو متحدر منها . وعلى التفاني والمثابرة في العمل مهما تفاقم الخطب
واستفحلت النوازل وهاتان الصفتان المميزتان كانتا من الاسباب
التي ساعدته على أن ينال مركزا . أبعد منا لا من مرا كز سلفائه
وغدا قوة هائلة منبثة في جميع أنحاء انكلترا . لا يعرف مستقرها
يقيمها ويقعدها في لحظة . يدفعها الى الامام اذا رأى فتورا في عزمها .

ويحرك فيها النشاط والاقدام اذا لاحظ قصورا في حزمها .
ذلك تراث خالد تركه له ذلك الشعب المشتت في أفتاج العالم منذ
تسع عشرة حقبة من حقب الدهر الاليمية . لم يكن فيها امناً على
حياته . لا في يومه ولا في غده . وكانت مهاوي التهلكة مفتوحة
دائماً تحت أقدامه . والمولى ينقذه منها بأعاجيب مدهشة لم تأت
في الاحلام المضطربة الجريئة



كان دزرائيلي عصاميا . لم يرث شيئا بتاتا من والده . لا لقب من القاب الشرف . التي يتباهي بها النبلاء والاسر العريقة . ولا مال لتوسيع دائرة مطامحه الكبيرة . وكانت الصعاب التي اعترضت سبيله تزداد يوما فيوما . لا اوبقة اقترفها . ولا لذنوب جنياه . بل لكونه تحدى البشرية . وخالف أوضاع المجتمع بمجاهرته على رؤوس الاشهاد . بانه نازل من ارومة يهوديه .. بيد أنه بالرغم من استهدافه لهذه العواصف كان ثابتا لا يهزه هبوبها . ولا ينحني عنقه ابان اشتدادها وكان الاهلون على اختلاف طبقاتهم وشرعاتهم . والبلاط الملكي . وأرباب المناصب العليا على اختلاف مذاهبهم . يحيطونه بالاجلال ولا يلهجون الا بذكره . وحمده لما جلب على بلادهم من خير ونعماء . اذ من الثابت الذي لا يمارى فيه أنه لم يصل الى الزعامة العاليه في حزب المحافظين والبرلمان الا بشق الانفس . وبعد ما ذاق الامرين وكان مطبوعا على حب المصلحة العامه . بل على شعور أنبل وأشرف . الا وهو الشعور بالواجب الكبير في ابتغاء المعالي والمطامح لكي يتشي له وضع دفة السيادة العاليه بأسرها في قبضة الامبراطورية البريطانية

عقيدته وإيمانه

لا أحد ينكر أن هذا الرجل كان سياجا منيعاً لليهود . وكان يتذرع دوماً في دفاعه عنهم بذرائع وادلة دينية قوية دامغة حتي أنه صرح في إحدى خطبه الرنانة موجهاً عباراته الى المسيحيين لتبرير أواصر العصبية التي تربط اليهود بهم قائلاً : أين هي المسيحية الحقيقية التي تنتمون اليها . وأين مكانها اذا كنتم تنكرون اليهودية فاليهودي هو حتماً رجل مفعم بالايمان . ومعتصم بأهداب الدين . جانح بكل قواه الى تعزيز أسس الكنيسة المسيحية . لا الى العمل على دك أركانها وتقويض دعائمها . أليس حقيقياً أن الكنيسة المسيحية كانت أول من سعى في تنوير أذهان العامة واخراجهم من دياجي الغباوة بنشر تعاليم تاريخ اليهود . اليس في الواقع أن الكنيسة . رومانية كانت او بروتستانية هي التي أذاعت هذا التاريخ في كل رقة من رقاع الارض حتى جابت شهرته آفاق العالم بأسره ؟ أما كنتم في الايام المقدسة تلقون على الشعوب ما كان يفعله ابطال اليهود من الاعمال المحيطة . وما كانوا يبذلونه من التناهي في غرار أيام مجدهم التالذ . وعزم الاثيل ؟ فتي ايام الآحاد . وايام الاعياد

المقدسة التي تحتفلون بها وتتلون صلواتكم فيها حيث تفيض
عواطفكم الدينية شكراً وحداً للمولى عز وجل أما كنتم تجدون
تلك التعبيرات النياضة حاضرة في اذهانكم . هذه التعبيرات البليغة
الشعرية المستمدة من المناهل اليهودية العذبة التي كانت تساعدكم
على بسط ما يخالج حاساتكم ويكنه شعوركم . فعليكم اذن ايها
المسيحيون ان تقيموا وزناً لكل هذه الامور . وان تقسطوا
بينكم وبين اليهود . فاذا قمتم بذلك تكونون عملتم عملاً صالحاً
وسلكتم سواء السبيل

اقسم سو كولوفا اعظم الاقسام بأن آذانه لم تشنف مدى
حياته باستماع مثل هذا التمييز البليغ ولا بمثل هذه النبرات الرخيمة
التي تحترق القواد وتهز الوجدان

ظلت تلك المنازع اليهودية خالدة في قواد دزرائيلي .
ومرسومة على صفحات قلبه ، والواح ذاكرته شاخصة للعيان ،
وبارزة بروزاً محسوساً في كل مؤلفاته وفي كل احاديثه ، وفكاهاته
في مجلس النواب ولم تكن اشد العوامل ، واقوى المؤثرات بقادرة
على دفعه الى انكار الرابطة العصبية التي تربطه بالسلالات التي هو
متحدر منها

وقد قرأنا كتاباً قديماً في مجلة العالمين بتاريخ ١٥ يوليو سنة

١٨٧٠ مديجاً بقلم الكاتب النحرير « لاكور » قارن فيها بين
دزائيلي وهنري هين ، هذا الشاعر الذي هو من فحول الشعراء
ومصافح الخطباء

أراد هذا الكاتب أن يكون للمقارنة بين هذين العبثيين
سبيل . وأن تكون مقارنه شريفة . سامية . هما خطان متوازيان
لا يتعدى أحدهما الآخر . من حيث العقل وقياسه . والمرامي
ومداها . والفؤاد وذكاؤه والعارضة وشذتها . والذهن وحدته .
والخاطر وسرعته وكثيرا ما كانا يخوضان غمار بعض النظريات
الاجتماعية . ويتوغلان في أعماقها . ويخرجان حاملين ما كان في
أحشائها من شديد الزواجر . وبلغ العظمت . الا أن هوة سحيمة
كانت تفرق بين الحياة العملية المريرة المضطربة التي قضاها هذا
الشاعر المنكود . والآلام القاسية التي عاناها ، وبين حياة
دزرائيلي الباسمة التي وان كانت تكتفها في بعض الظروف سحب
حالكه ، فانها نهضت به في نهاية الامر الى أعلى ذروة من ذرى
المجد التي قلما اعتلاها أحد غيره في الامبراطورية البريطانية

أظهرت الحدة والنشاط الذين كان يديهما ما لليهودي
المهاجر من قوة الارادة ، والحزم ، والمقدرة على اقتحام أشد
الاهوال ، ومن رباطة الجأش ، في جهادة في سبيل رقي البلد الذي

يلوذ به ، واسعاده بقدر قوة ذكائه وأعماله ، واستطاعة مواهبه وقوة ، ولقد قال غلادستون في مقاله استنادا الى ما فاه به دزرائيلي :
« هنديًا للبلاد التي يعامل فيها اليهود باللين . فلا مندوحة »
« من أن يكون مصيرها آيلا الى السؤدد واليمن والاقبال »

استطاع دزرائيلي بدهائه وجنكته أن يضيء جين انكلترا ويضيف الى تاجها درة أخرى من الدراري الساطعة التي لا تقل قيمتها عن سابقتها . واستطاع أن يضع في قبضة يده جزيرة قبرص . تلك الجزيرة الباسمة المزدهرة . التي تتجلى كالروس في وسط البحار وترنح تجاه الشواطئ السورية تيهًا وتعجبًا . وذلك بلا قتال ولا نضال ودون أن يهرق في سبيل احتلالها قطرة من دماء الرجال ومن أطوار هذا الرجل أن وجدانياته . وكل عواطفه كانت تنزع دوامًا الى الشرق . وتصبو اليه . وكان في هجمته يتغنى بحسن جماله . ويشيد بذكر مجده . كان الشرق مثله الاعلى . وغرضه الأسمى . يريد رفع مستواه الأدبي . والاجتماعي . والسياسي . وذلك لتوفير أسباب العمران المادي . والاقتصادي . واستجلاب الرخاء والنعيم لليهود . وكل الجنس السامي بأسره . ولكن قسوة الظروف التي أحاطت بمشروعه لعدم نضوج النضوج الكافي . كانت باعثًا قويا على حبوطه حبوطًا وقتيًا

كان هذا الرجل على نقيض أقرانه الذين جحدوا عتيدتهم
وإيمانهم . كان على نقيض هؤلاء الملحدون الذين كانوا وصمة عار في
جبين الدين والمجتمع . كان يتحدى أولئك الذين كانوا يغشون
منشأهم وأصلهم بغشاء كثيف من الرياء الديني . والتناق الاجتماعي
حتى إذا فاجأه أحد بسؤاله عن أصل نشأته . كان يجيبه على الفور
بدون موارد . ولا مداجاة أنه منحدر من أرومة نبيلة طاهرة .
ومن عروق شريفة ندية على خلاف بعض الطبقات الارستقراطية
المعاصرة التي توارثت عصبيتها من بعض السلالات الهمجية التي
كانت في غابر الأزمان هائلة على وجهها لا تملك شروى نكير . ولا
حمل بعير

الفيلسوف الكبير ماكس نوردر

واهتمامه بالمسألة اليهودية

مات هذا الفيلسوف اليهودي صاحب الشهرة العالمية وصاحب الكتاب المشهور الموسوم بالأكاذيب المقررة ونحن لا نستطيع أن نضرب صفحاً عن أعماله التي لم تجب شهرتها آفاق أوروبا الوسطى وحدها فحسب بل جابت آفاق القارة الأوروبية جميعها فاغفال التعليق على هذا الحدث يستلزم اغفال التأثير البالغ الذي قدر لفلسفته أن تصادفه في طور من أعظم الأطوار التي شاهدها العالم بأسره

نشأ ماكس نوردر في امبراطورية « هابسبورج » التي صارت الآن في ذمة التاريخ. ونشر طلائع آرائه الجامحة في « فينا » حيث يقوم العرش الامبراطوري وأتيح له أن تتقبل هي وما بعدها من الطبقات المستتيرة بشيء من الموافقة والاستحسان اللذين يمكن أن تحظى بهما تعاليم جديدة جريئة . ولكن صراحة الفيلسوف وامعانه في تسفيه النظم الاجتماعية وأسس الاصطلاحات العمرانية السائدة في عصره بمخال صوابيتها النسبية أو بفضال

غفلة الناس عن عيوبها وكثرة اعتبارهم لها جعل مقامه في
الامبراطورية المزدوجة — أو المختلطة على التعبير الاصح — غير
مستحب بل غير ممكن اذا نظرنا الى المهمة التي أخذ على عاتقه
مختاراً أو غير مختار أن يقوم بها لان الحكومة النمساوية صادرت
مؤلفاته ووقفت تحول دون انتشار آرائه وتعاليمه بحجة أنها تضر
للمتنام الامبراطوري تمرضاً بنطوى على الجراحة الخارقة ثم بحجة
ما ينجم عنها من التأثيرات الغير المرغوب فيها من الهيئات المسيطرة
وفي الحق ان الممول الذي كانت تحمله أيدي هذا الجبار
كان معولاً خطراً على نظم المملكة الهابسبورجية التي كانت تقوم
على تماسك غير طبيعي . وتنهض على خليط من الشعوب المتنافرة
المتاجزة . تلك الشعوب التي اظهرت الحرب العظمى وهن
ارتباطها وأسفرت عن انحلال ما بينها من الاواصر المتعة ورجوعها
الى عناصرها الاصلية في بولونيا والنشيكوسلوفاك . ويوغوسلافيا
ورومانيا . وايطاليا

لقي ما كس نوردو هذه المعاملة في موطنه فلم يطق عليها
صبراً . وهاجر الى حيث يتمكن في أوروبا الغربية من اطلاق
الحرية لآرائه وكتاباته في أوساط تعجب به ويلقى منها كل حفاوة
وترحاب . وصادف طريد النمسا في فرنسا راحة تترب مما صادفه

الشاعر القنائي المتوكل « هيني » طريد المانيا من قبله . فتمضى شطراً
كبيراً من حياته في النشر والتأليف حتى وقعت الحرب العالمية
الآخيرة التي شاءت الاقدار أن تسفر فيما أسفرت عن موطن
قومي يهودي .

وانما خصصنا الوطن القومي لليهود بالذكر في معرض
الكلام عن نتائج الحرب العظمى لارتباط هذه النتيجة بحياة
الفيلسوف فقد شغله الوطن القومي اليهودي في آخريات أيامه
وأخذت القضية اليهودية حيزاً واسعاً من مشاغله الآخيرة ولقد
نذكر ان بعض الصحف الاوربية ذكرت بدهشة غريبة اهتمام
هذا الفيلسوف الكبير بالمسألة اليهودية لمجرد انه قد انحدر من
سلالة صهيونية . ونهوضه في هذا الجيل الى الذود عن حياض
فلسطين ونشاطه في سبيل الاكتاب للجموع اليهودية المتحدرة
من شرق أوروبا الى الاراضي المقدسة مستعيناً على ذلك بما اوتي
من بلاغة في الكتابة وفصاحة في اللسان

هكذا قضى ماكس نوردو عمره وهكذا عاش أيامه
الآخيرة ولا بد أن يكون قد انغمض جنينه الانغماضة الابدية على
رضي وسرور . اذ انه شاهد بنفسه كيف دالت دولة الهايسبورجين

وكيف اتحلت الامبراطورية المحتلة وكيف صرعت الجامعة
والوطنية الالمانية تحت ضربات العالم الذي اجمع تقريرا على مناوأتها
بل انه لا بد ان يكون قد سمع وهو طريق الفراش يعالج سكرات
الموت ما ابداه اليهود من النشاط البديع في سبيل استعمار
فلسطين



تل أبيب وموقعه الجغرافي

من العيث أن تطلق للقلم العنان هنا للافاضة في وصف تل أبيب فما من أحد يجهل موقع هذه المدينة البديعة وما وصلت اليه من التقدم العظيم . وحسن الرواء . فقد استحالت تلك المنطقة الجرداء الى جنات تجري من تحتها الأنهار . فكل من جاب آفاق هذه الأنحاء منذ ثلاثين عاما وعاد اليها في أيامنا هذه يقف مشاهداً وقد أخذته الدعشة وتولاه الدهول . فكان عصاة موسى السحرية قببها رأيا على عقب . وصيرتها جوهرة من الجواهر التي جعلت أنوار فلسطين أشد سطوعا . وأبهى بناء

نعم ان منظر هذه المدينة المطلة على البحر لهو من أبدع المناظر التي تسمو الألباب . وتأخذ بمجامع القلوب . وهي زاخرة باللبضائع على اختلاف أنواعها وأسواقها فياضة بالحركة . غاصة بالاهلين المتباينة أجناسهم . والمفعمة نفوسهم بالنشاط العملي . الذي لا يعتريه كلال . ولا ملال . ولقد قامت هذه المدينة على آكام من الرمال المتاخمة لميناء يافا . أنشأها عدد ضئيل من اولئك الرجال البواسل الذين لا ينيف عددهم على الستين رجلا . وكانوا لا يملكون



﴿ المجاهد الكبير حليم ويزمن ﴾

من رأس المال سوى اربعة آلاف من الجنيهات . وقد بنوها على
مسطح يبلغ ١٤٠٠٠٠ متر مربع

اعد نظراً اليها الزائر . ودع نفسك تتشبع من مهابتها .
واجتذاب سحرها . تجد امامك اجمل المناظر وأبهها . تجد تلك
المناظر الطبيعية التي تشير مكامن وجدان الشعراء والروائيين . تجد
تلك الاماكن الحسنة الفسيحة الارحاء . تحيط بها رياض غناء .
وغياض فيحاء . تحاكي العقود في تنسيقها وترصيعها تتجلي امامك
بكسائها الزهردي الباهر التي تستهوي الخواطر . وتسترعي النواظر
وفي سنة ١٩١٠ كان الذين يقيمون فيها لا يزيد عددهم على
الخمسة والخمسين نفساً . وفي نهاية سنة ١٩١٣ وصل عددهم الى ٩٨٠
وفي سنة ١٩١٩ الى ٢٨٦٢ وفي اول سنة ١٩٢٢ الى ٥٥٠٠ وفي نهاية السنة
نفسها الى ١٢٨٠٠ وفي سنة ١٩٢٣ الى ١٦٥٠٠ وفي ديسمبر سنة
١٩٢٤ الى ٢٧٠٠٠

اما عدد المنازل فيها فقد بلغ في ١٩١٠ نحو مائة منزل . وفي
سنة ١٩١٤ نحو ٢٠٠ وزاد في سنة ١٩٢٠ الى ٣٠٠ وفي سنة ١٩٢١
الى ٦٠٠ وفي سنة ١٩٢٢ الى ١٥٠٠ وفي سنة ١٩٢٤ الى ٢٠٠٠
هذا عدا الكواخ الخشبية والخيام العديدة التي يأوي اليها الذين
لم يجدوا مساكن معدة لسكنهم . فالمساحة التي يشغلها هؤلاء

الأهلون جميعهم ما برحت تمتد وتتسع حتى بلغ مسطحها في سنة ١٩٢٤ نحو ٦٠٠ هكتار فاذا أدرجنا في هذا العدد المهاجرين الذين نزلوا في هذه الأنحاء في سنة ١٩٢٥ وجدنا مجموعاً يربى على ٣٥٠٠٠ نسمة تغلغل في أحشاء هذه المدينة . واستقر في جسمها . بيد أنا لو تجولنا في أنحائها في هذه الأيام لرأينا بونا شاسعاً بين سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٣٣ اذ نجد عدداً لا يتل عن ثمانين ألف نسمة عدا المباني التي أقيمت فيها على اكمل طراز هندسي حديث

وهنا ترى الزيادة من الأرقام التالية ففي سنة ١٩١٩ أي في أوائل الهجرة كان عدد اليهود في فلسطين ٥٥٠٠٠ أي ٩ في المئة من مجموع السكان . ثم تكاثر عددهم . ففي سنة ١٩٢٢ بلغ ٨٤٠٠٠ وفي أول يناير سنة ١٩٢٥ بلغ ١٠٤٤٦٨ وكان مجموع السكان على اختلاف اجناسهم . وعقائدهم ٨٠٨٤٦٦ فكان عدد اليهود فيه بنسبة ١٣ في المئة . وفي شهر يوليو سنة ١٩٢٥ بلغ عددهم ١٢٠٤٦٦ ومجموع السكان ٨٢٨٥٢٠ ولما تولى السر هربرت صموئيل السلطة وجد بعد الإحصاء الدقيق ان كل واحد من اليهود يقابله عشرة من العرب وعند ما خلفه بلومر كان كل واحد من اليهود يقابله ٦ من العرب .

ولكن اذا أمعن أحد المدققين النظر في هذا الإحصاء رأى



السير د ربرت صموئيل المندوب السامي في فلسطين سابقاً

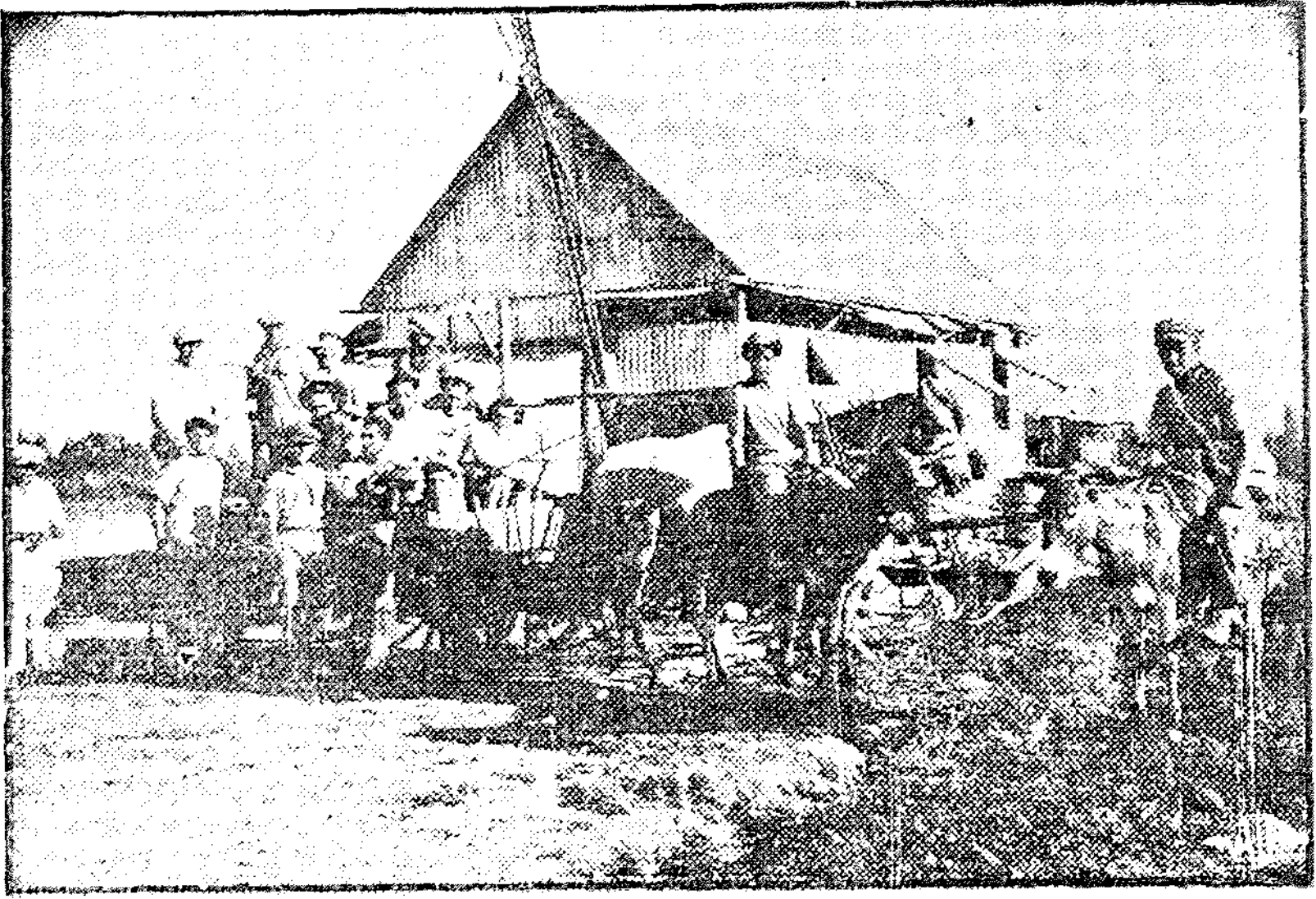
أن توالي هذه الهجرة يتضاءل أمام مواليد العرب . فقد بلغ المواليد عند العرب ١٣٠٠ مولود في الشهر الواحد وعند اليهود ١٩٠ فاذا راعينا هذه النسبة السحيقة رأينا ان المواليد عند العرب يزيد عددها على الهجرة اليهودية زيادة محسوسة . وقد ابان « اميرى » انه في غضون ثلاث سنوات أي في سني ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٢ حجب طوفان المواليد العربية الهجرة اليهودية وغمرها تماماً هذا فضلا عن الهجرة العربية التي تؤم البلاد من كل حذب وصوب

على ان ثلث المهاجرين الذين ولجوا فلسطين هم من بولونيا والثلث الآخر من اوكرانيا وروسيا والباقيون من الاروم التي تسلسل منها اليهود من بلاد مختلفة

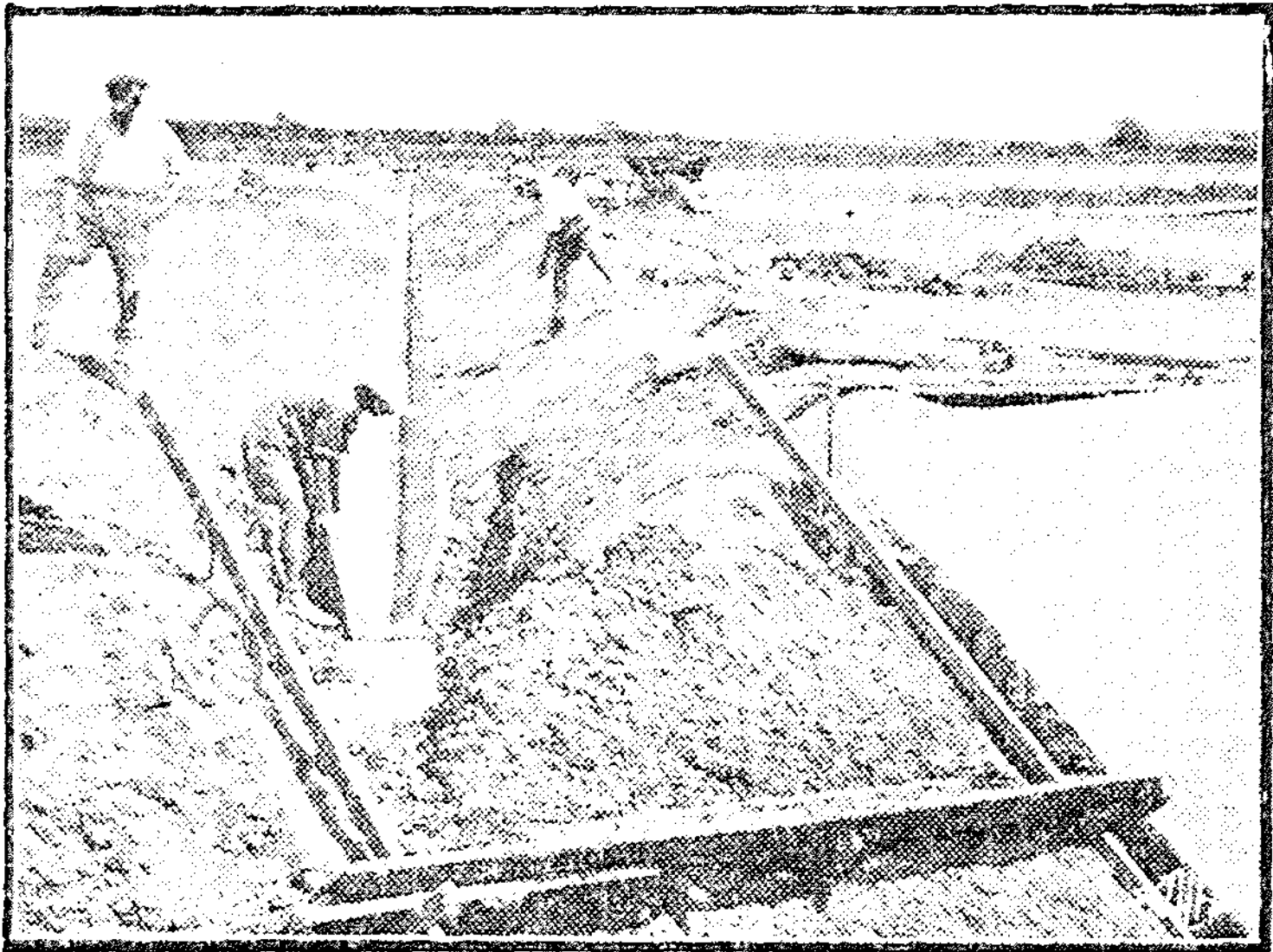
والحقيقة التي لا مرية فيها هي ان المهاجرين الذين نرحوا من آسيا وافريقيا . اي من ايران والفرات ومراكش وافغانستان قد تفوقوا على غيرهم لأنهم ألفوا امزجة العرب . ودرجوا على طبائعهم . وعرفوا لغتهم . ولكنهم لم يكونوا على خبرة بالحياة اليهودية في فلسطين ولا سيما نظام التعاون المتعارف لديهم ولذلك وقفوا واجمين لدى مشاهدتهم وجه الحقيقة القاسية

وهذا جدول يدل على منشأ المهاجرين الذين اموا فلسطين

من ابريل سنة ١٩٢٢ الى ١٩٢٥ وهو : من النمسا ١٢٣ مهاجراً .
ومن الولايات المتحدة ٨٩٨ ومن انكلترا ٧٨ ومن الأرجنتين ٣١
ومن العراق ١٠٨٠ ومن ايطاليا ٩٧ ومن أفريقيا (عدا مصر
ومراكش) ٣٨ ومن أفغانستان ٥١ ومن المجر ١٠٥٣ ومن بلغاريا
١٠٥٣ ومن البرازيل ٦ ومن يبخاري ٩٠ ومن جورجيا ٥٧ ومن
المانيا ٥٢٧ ومن ولسنج ٥ ومن هولانده ١٢٩ ومن الهند ٨٠ ومن
يوغوسلافيا ٨٤ ومن اليونان ٧٤ . ومن ليتوانيا ١٦٥٧ ومن ليتوانيا
٢٧٥ ومن مصر ٢٧٥ ومن مراكش ١٩٤ ومن المكسيك ٥٦
ومن سوريا ولبنان ١٣٨ ومن بولونيا ١٣٩٤٠ ومن ايران ٦٠٣
ومن تشيكوسلوفاكيا ١١٦ ومن فرنسا ٦٥ ومن كندا ٧ ومن
کردستان ٦٣٩ ومن القوقاز ٧٦ ومن روسيا ١٤٨٤ ومن رومانيا
٦٨١٤ ومن سويسرا ١٢ ومن اليمن ٩٤٨ ومن تركيا ٩٤٦ . وذلك مع
عودة ١٦٤ مهاجراً من بلدان مختمة سنة ١٩٢٣ الى ابريل سنة ١٩٢٥
ولا يغربن عن الاذهان أن ٢٦٠٨٥ هم من الاشكنازيم
المتسلسلين من أصل الماني . وبولوني وروسي . وأكراني و٣٠٧٢
سفارديم متحدرين من أرومة يهودية اسبانية



شبان من اليهود المهاجرين



نخفيف المستنقعات

الجامعة العبرية

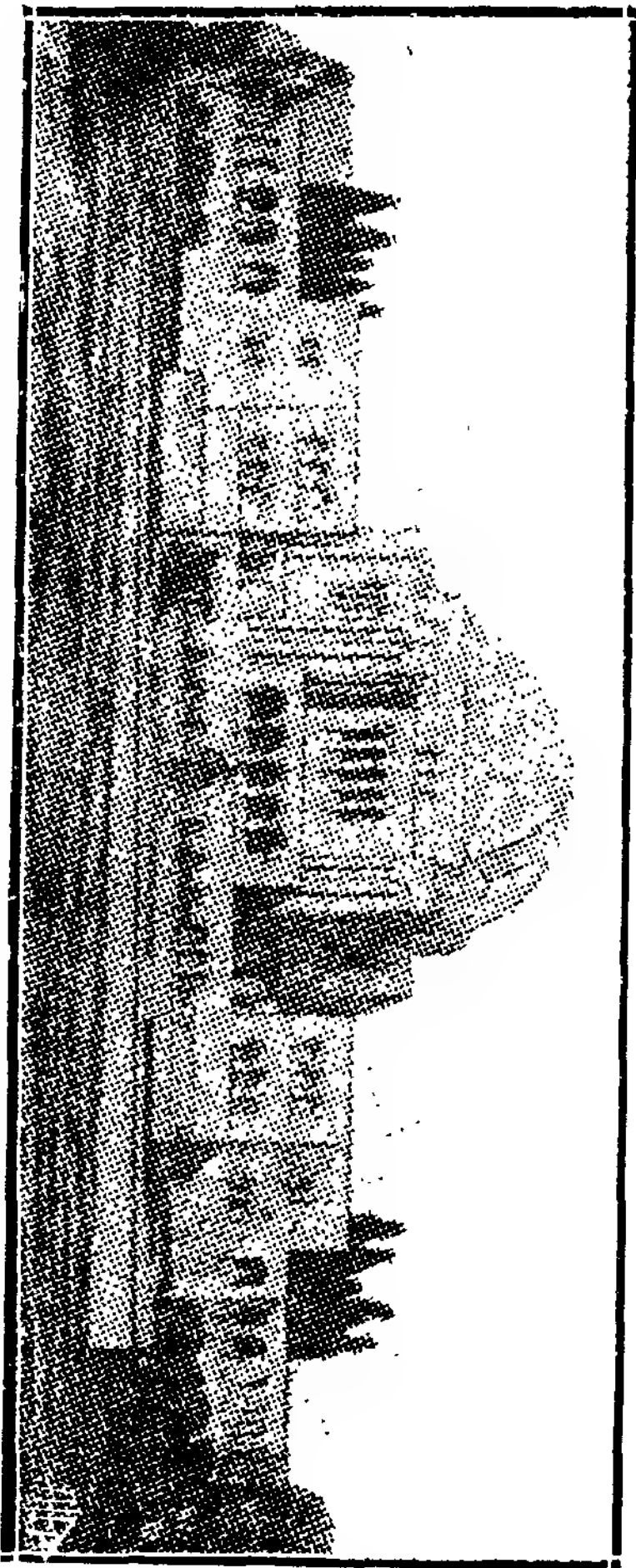
قد احتفل بافتتاح الجامعة العبرية في غزة ابريل سنة ١٩٢٥ وتولى رئاسة هذه الحفلة اللورد بنفور نفسه . فكان لها مظهر من المهابة والعظمة . والوقار . ولسنا نغالي اذا قلنا أن هذه الحفلة لم تكن حادثاً فلسطينياً فحسب بل حادثاً عالمياً جمع عظماء الرجال الافذاذ . ومندوبين من جميع الجامعات . وبعض الفلاسفة والعلماء والاعلام وفطاحل الكتاب . وأقطاب المحررين . وممثلي معظم حكومات اوروبا . والولايات المتحدة . وهذه الحفلة لا يزال ذكرها ماثلاً في أذهانهم فلا ريب أن شهرة هذه الجامعة . ومانات من الاعجاب كانا من البوئات على تقدير ما أنجبه الهام الصهيونية من التقدم الادبي والرقى المعنوي للذين وصل اليهما الوطن القومي اليهودي حق قدره



حاميم ويزمن والبير انشتين وعهدهما

ففي سنة ١٩٢١ أنشأ ويزمن الذي هو من أكبر غلاة الصيونييين ودعاتهم وانشتين العالم الطيبي ذو الشهرة الجوابه في امريكا معهداً يضم لفيفاً من الاطباء . وهي فكرة ترمي الى التعاون على انشاء قسم طبي في اورشليم . وقد افتتح اكتاب لهذا الغرض ثم عقدا بعد ذلك العزيمة ووطنا النفس على اقامة معهد كبير في فلسطين خاص بدرس جراثيم الامراض . وقد عهد الى الاستاذ « فيدور » في ادارة القسم الخاص بعلم الكيمياء . فسار هذا المعهد سيراً حثيثاً نحو معقل الغاية العليا وأصدر عدة نشرات فنية فالتحق عدد عظيم بهذين المعهدين وانهاال الطلبة عليهما زرافات ووحداً من كل حذب وصوب

وفي سنة ١٩٢٥ ألقت لجان عديدة في اورشليم واندن وباريس الغرض منها التعاون على انشاء قسم خاص بالنبون والصحف وأخذت الصحف من ذلك العهد تنشر مقالات انشائية أدبية وتثير دعايات حماسية باللغة العبرية . كما أخذت تنفيض في الابحاث الخاصة بالعاديات والتاريخ . وعلم التربية . مدبجة بأقلام



الجامع الكبير

بعض فطاحل الكتاب الذين أصغوا الى صوت ضميرهم. وحضروا الى فلسطين لتفريغ كنوز معارفهم. وفي ٢ أبريل سنة ١٩٢٥ وضع الحجر الاول في أساس معهد « بلقور - انشتين ». وهو معهد خاص بالرياضيات والطبيعات

على أن فكرة انشاء هذه الجامعة ظلت تتمخض في ذهن هرزل العالم العظيم والفيلسوف الجليل « مكس نوردو » والمجاهد الكبير . والجواب الشهير . « حاييم ويزمن » الذي هو قطب الحركة القائمة الآن في فلسطين ردتاً من الزمان . وبدأ اختارها في سنة ١٩٠٢ ومنذ ذلك العهد أخذت تنمو وتشتد . وظلوا متمسكين بها عاملين لها حتى دخلت في حيز العمل . وغدت شكلاً بارزاً ملموساً

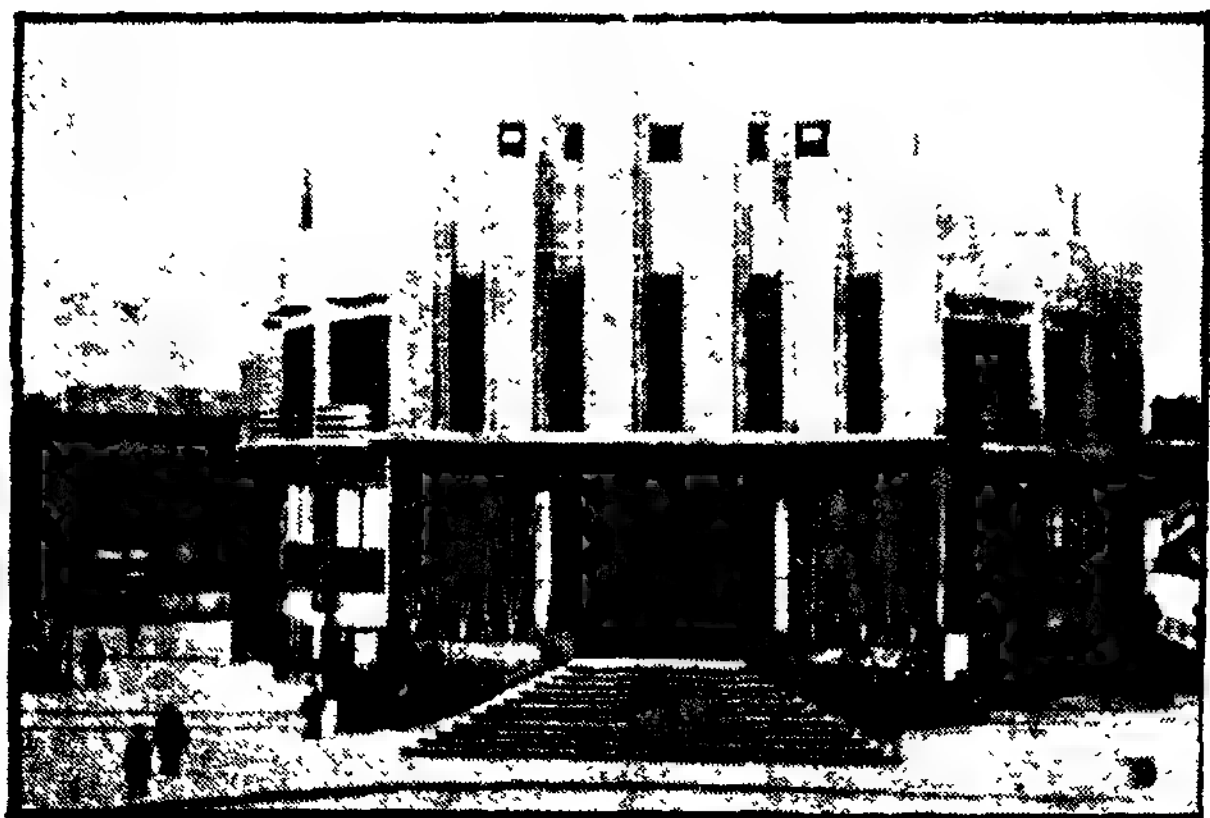
ففي سنة ١٩٠٢ كان هذا المعهد عقبة كأداء في سبيل الطلبة اليهود المتخرجين من مختلف الجامعات الاوروبية . وفي سنة ١٩٠٣ وفد عليه ٧٠٠٠ طالب من الروسيين الاجانب . وقد احس الطلبة باحتياجهم الى جامعة تضمهم بين جوانحها . وكان ويزمن في هذه الآونة قابضاً على أزمة الحزب الصهيوني الديموقراطي وقائماً بتنظيمه فأطلع هرزل على هذا المشروع اى انشاء جامعة يهودية تتناول أقسام العلوم كلها فأخذ ويزمن يعد المدة لذلك ويؤهب

الأهبة ويكافح كمناح الأبطال في سبيل تحقيق هذه الغاية . ولم يترك الفرصة تفلت من يده فأسرع الى نشر كتابه الموسوم « ب الجامعة العبرية » وطيره الى أفق اوروبا باقتناوله جميع الاساتذة واقطاب العلوم والمعارف من اسرائيليين وغير اسرائيليين . وعشرة الاف من الطلبة اليهود . ثم جاب وير من بعد ذلك ارجاء اميركا وجال في كل فج من افجاجها وطاق يستحث اليهود على الجهاد في هذا السبيل ويد تنهض همهم . ويشعم قلوبهم حماسة ونشاطاً ويحضهم على الانهاض بهذه الحركة الميمونة . فأصدرت المؤتمرات التي عتدت خمسين عاماً لباوع هذا المأرب قراراتها ووافقت في سنة ١٩١٤ على تأليف لجنة دوائية للبت في شؤون تلك الجامعة برئاسة البارون جيمس دي روتشيد . ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن اذ لم يكد هذا المشروع يبرز من مكانه حتى دارت رحى الحرب العظمى . وداجت الدنيا وماجت وزلزلات الارض زلزالاً عنيفاً فتصنت الرعود . ودوت المدافع وسقطت الصواعق . ودكت ما شيدته الحضارة من الوف السنين دكا

ولكن عندما وضعت الحرب اوزارها . ولم يكد فجر يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩١٨ ينبثق حتى وضع أول حجر اساسي للجامعة العبرية . وفي سنة ١٩٢٥ كان العالم العلامة والقبس الوضاء البير



المجلس البلدي



دار التمثيل (الاوبرا)

انشتين الذي ظهر في العالم حاملاً نظريته النسبية الهائلة قد القى أول محاضرة في أورشلين هزت أركان القاعة التي أمها أساطين العلم، ونوابغ الخطباء.

«وفي أول إبريل أذاع رسالة اشار فيها الى ان الجامعة هي المكان الذي تتجلى فيها النفس البشرية بأجلى مظاهرها. وتبرعما تكنه تعبيراً بليغاً صحيحاً. ولما كان العلم والبحث يعترفان بأن معقل الغاية الكبرى هو الوصول الى الحقيقة كان بديهياً ان المعاهد التي تنهض للسير في سبيل خدمة العلم ستكون عاملاً من العوامل التي تربط الامم والافراد ربطاً محكماً وثيقاً ولكن يا للأسف الشديد فان جامعات اوربا ليست في الحقيقة سوى مراجل تغلي فيها الوطنية المتطرفة غلياناً آكلاً. ويسود التعصب الاعمى فيها كل الاشياء الخارجة عن دائرة الامة والسلالة وكل الاشياء التي تكون مبسوطة بطابع فردي مختلف

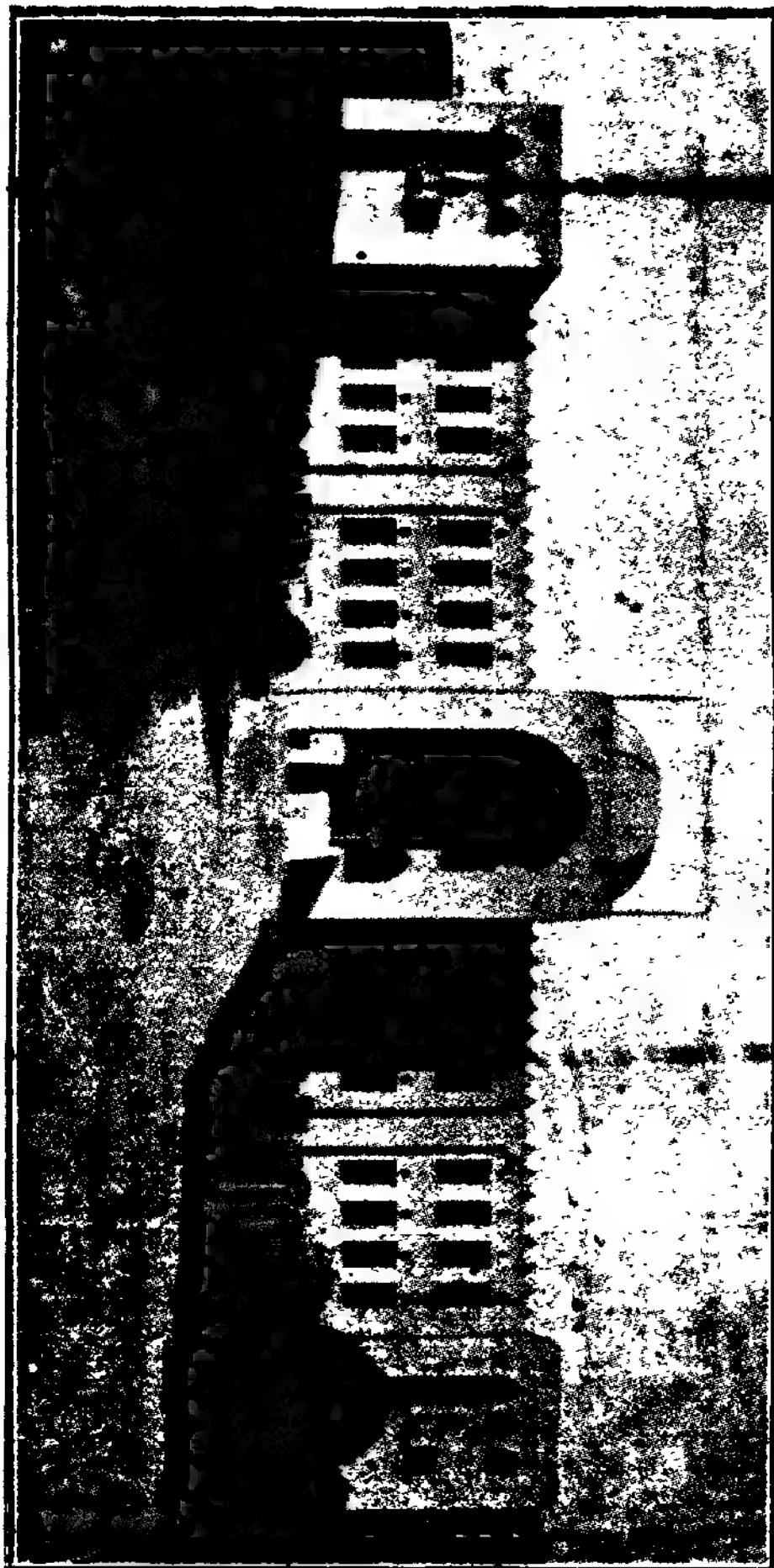
«على ان اول من تألم من هذه الاحكام الجائرة هم اليهود لا لكونها مجحفة بما ينزعون اليه من حرية الاشتراك في الدراسة أو في اقتباس العلم والمعرفة فحسب. بل لسبب تملأهم. وعدم تحركهم في دائرة محصورة من القومية. واني لمناسبة جامعتنا الوليدة أود ان اعرب عما يخالج قوايدي من الاماني واضرع الى

الله ان تكون جامعتنا حرة طليقة من كل قيود التعصب والمفاسد
وأن يحرص المعلمون والطلبة على صوت الضمير مع الاضطلاع
بما يلي عليهم واجب شعبهم . وتوثيق عرى اتحادهم بروابط
الانسانية السامية .

فالمعاهد القائمة بالأعمال المنيعة الآن هي :

اولا . معهد المباحث الطبية المعروف بالمعهد الميكروبيولوجي
المختص بعلم معرفة جراثيم الامراض . والحملى الصنفاء وهو آخذ
الآن بالقاء محاضرات عامة تتعلق بالوسائل الصحية
ثانياً . معهد الدروس العبرية والشرقية

ثالثاً . المعهد الخاص باللغة العبرية وعلم الادب والانشاء .
والبيان . وقد القيت فيه سلسلة من المحاضرات العلمية المنيعة .
من نخبة العلماء الذين جاءوا من الخارج ومن مصايح العلم المقيمين
باورشليم ثم اكتاب لمعهد الخاص بدراسة اللغود واللغات



المهندسة خاتمة

دار الكتب أو المكتبة العبرية

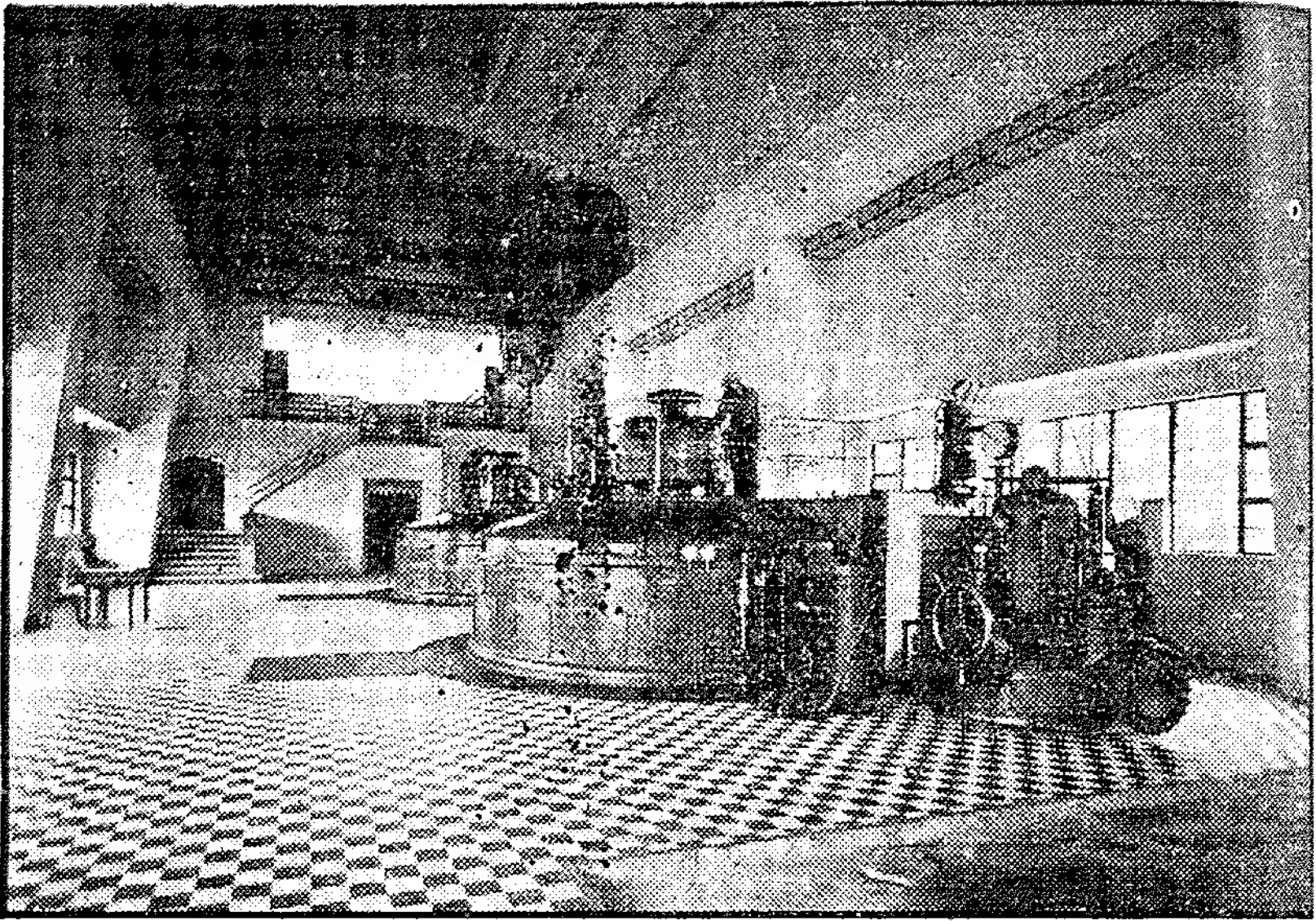
اما المكتبة او دار الكتب الخاصة بالجامعة فحدث عنها ولا حرج لانها اخذت تخطو خطوات الجسارة اثر دعايات نشطة متوالية اثارها دعاة هذه النهضة في الاوساط الراقية والطبقات المتنورة لحض العالم اليهودى على مد يد السخاء لها واتحافها بالكتب العلمية الغالية

ففى سنة ١٩٢٠ كان عدد المجلدات فيها يباغ زهاء الثلاثين الف مجلد . وفى سنة ١٩٢٣ ٦٦٠٠٠ وفى سنة ١٩٢٥ تدفق عليها سيل من الكتب اربى عددها على مئة الف مجلد . ولها الآن وقد مضت ثمانى سنوات فليس من شك فى أن المكتبة أصبحت تضارع وتتقارع أكبر كتبة فى العالم ان لم يكن تفوقت عليها . على أن كثيرا من المجموعات هي من المخططات التى أوصى بها أصحابها من قبل مفارقتهم الحياة . عدا ما قدمته الحكومات المختلفة . من المؤلفات العزيرة النادرة الوجود

فاللغة العامة المنتشرة فى فلسطين هي اللغة العبرية . وكان يخيّل فى بدء انتشار هذه اللغة وإحيائها أن هذا أمر عسير . ومن

المستحيل تحقيقه يد أن الشيء الذي كان يبدو وهما وخيالا أصبح
أمراً شاخصاً فعالاً والعلوم الخاصة بالادب العبري والانشاء العالي
والبيان أصبحت في فلسطين مناهل عذبة فياضة يستقي منها العلماء
لارواء أوامهم . وأما الصحافة العبرية فقد رفعت هامتها بالاقلام
السيالة والمقالات الرنانة والفصول التي يكتبها محررون من أقطاب
الثقافة . وقد تطور علما البيان والعروض أما تطور . وأخذ يسيران
جنباً الى جنب مع النهضة العبرية الحديثة

ولو نظرنا الى تلك المدن من الوجهة الصحية قبل الهجرة
لوجدناها في حالة تعافها النفوس الالية ويمجها الذوق السليم من
حيث المستنقعات ورزاياها . ولسعات البعوض وبلاياها . هذا
البعوض القاتل الحامل في أجوافه جراثيم شتى الامراض . والضارب
أطنابه في تلك البلاد . أما اذا افضنا في ذكر الامراض الاخرى
القتالة . والحميات المختلفة الفتاكة . كالحمى الصفراء والملاريا . والسل
والحمى المتقطعة والرمم الصديدي وغيرها من الحميات والامراض
التي كانت تفتك بالسكان فتكا ذريعاً . وتحصد هم بمنجل الموت
حصداً مريعاً . فيقف القلم واجماً واجفلاً يتحرك لهول تلك الوفيات
والوفيات الاخرى الناجمة من الحمى النفاسية التي كانت نساء فلسطين
يستهدفن لها أثر أليم المخاض . تلك الحمى الخبيثة التي كانت تقصف



مشروع روتنبرج لتوليد الكهرباء المائية



حرت الأرض واصلاحها بالطرق النمية الحديثة

غصروهن اليانعة في ريعان الشباب . دون مسعف ولا معين . واني
يأتيهن الاسعاف والوسائل الصحية كانت في ذاك العهد معدومة
الآثر . والاطباء والحواضر والمرضات المتعلمات كانوا اندر من
الدبان الازرق

نعم قد اسبغ الله على فلسطين نعمة من اكبر النعم التي عرفها
الاهلون . نعمة لا ينكرها الا كل مكابر . ومداج . وموار . ونا كر
للمعروف . أوسىء النية . نعم اغدق الله عليها نعمة الهجرة التي
أحيت تلك الارعاء وأنقضتها . بعد ما كانت عليلة سقيمة يسمع
الناس انينها . ولكن أبت الارادة الآلهية أن تتركها تقاسي
عذاب الموت . نارسل اليها الطبيب المداوي الذي أخذ يعالجها
بالوسائل التي تعد من أعاجيب العصر والزمان . ويلقحها بمصل
الحياة ويغذيها بما ينعشها . ويقومها . وينهضها حتي أبنت من دلها
القتال ابلاؤا . فعمد بعد ذلك اليهود . المهاجرون الى انشاء
المدارس . والمعاهد والمستشفيات واستقدام الاساتذة والمعلمين .
والاطباء والمرضات والقوابل وارباب الفنون والصنائع والمهندسين
والرياضيين والكيميائيين . والادباء والصحافيين وتعميم الوسائل
الصحية والمناهج العلمية ونشر الآراء الاجتماعية . فارتفع بذلك

مركزها الادبي والاقتصادي ارتفاعاً شاهقاً وزاد غناها وكثر
عدد حسادها

فما من أحد يجهل أنه لم يكن لليهود في وقت ابتداء الحرب
غير ٤٤ مستعمرة تبلغ مساحتها ٨٧٨٠٠ فدان فأصبح لهم اليوم ١٢٠
مستعمرة تبلغ مساحتها ٢٥٠ ألف فدان أو أكبر من عشر الأراضي
المنزوعة

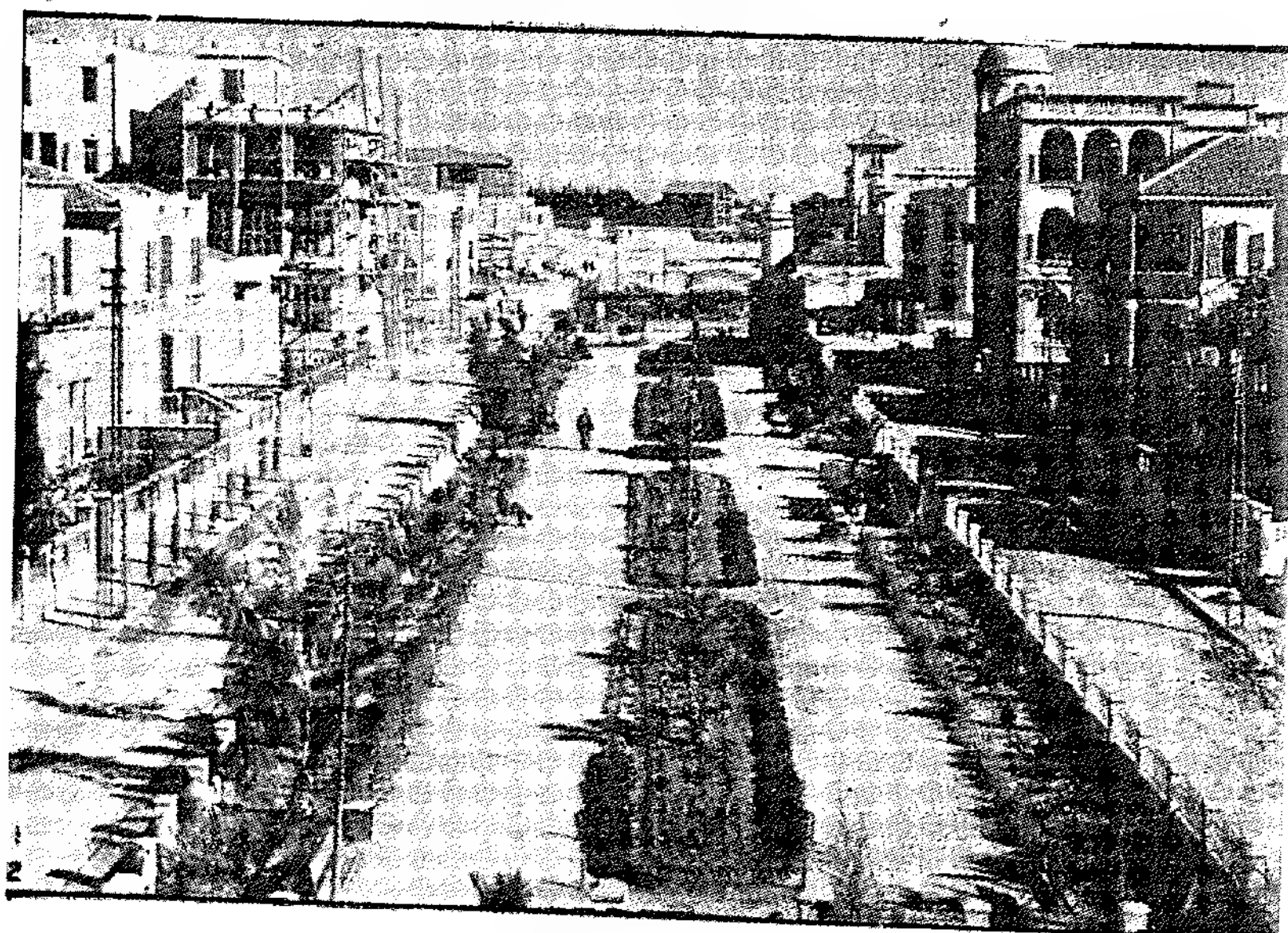
أما المستعمرات القديمة فقامت بأموال البارون دي روتشلد
أو الهيئات اليهودية الاستعمارية . أما المستعمرات الحديثة فتقوم
على اموال الصهيونيين

وكانت الصناعة قبل الحرب تكاد تكون منعدمة فقدت
اليوم في فلسطين مئات المصانع للطوب . والزيت والدقيق .
والصابون . والاسمنت . والآثاث . والكبريت . والاقمشة .
والأحذية وغيرها من الحاجيات . وقد جففوا مساحات واسعة
كانت يوماً ما مستنقعات تتصاعد منها الجراثيم التي كانت تشتك
بالعباد فتكا ذريعاً . وغرسوا خمسة ملايين شجرة . وزرعوا الوف
من أشجار البوكايتس . والصنوبر . والكروم . والبرتقال

ونجح مشروع روتنبرج نجاحاً عظيماً ودو مشروع توليد الكهرباء
المائية من أعالي نهر الاردن والبرموك . ووصلت الكهرباء لعمان وتل



حديقة مدرسة الأولاد الشرقيين



شارع روتشله بتل أبيب

أيب . وحيفا . وطبريا

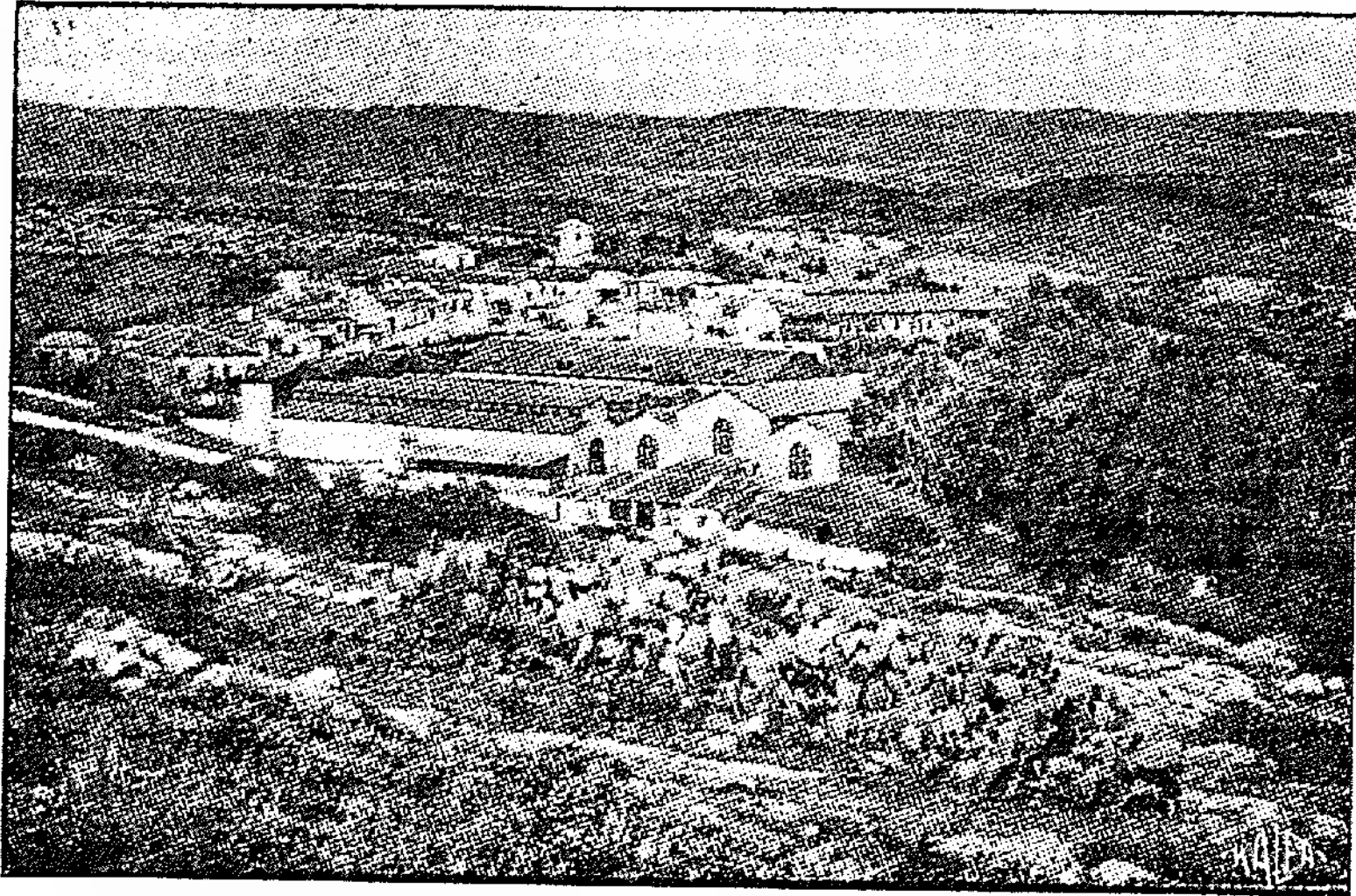
وهكذا أثرت تلك البلاد أثراء عظيما بعد ما كانت تكتنفها
الفاقة المريعة . وأيسرت بعد العسرايسارا . فارتفعت قيمة أراضيها
بعد ما كانت قمرء ماحلة جرداء . ينشق فيها البوم . واستحالت
بعد ذلك الى حدائق فيحاء . تزيل ما في القلوب من محن ووجوم .
يسمع من فوق أدواحيها تغاريدها بالبلايل ونغمات الطيور . وحبذا لو كان
المنكرون . والمكابرون يعودون الى الحق . ويقدرّون تلك الأعمال
البديعة التي قام بها اليهود والجهود التي بذلوا من قراهم . والدماء التي
استنزفوها من أجسامهم والاموال التي أنفقوها من اقتصادهم .
والابتكارات التي أخرجوها من أذهانهم حق قدرها . وهي أعمال
خليقة . وأيم الحق بأن توضع في مصاف المعجزات . وجديرة بأن
تعد من أعظم المفاخر التي تترنح لها الانسانية اعجابا واقتخارا في
هذا العصر . عصر الغرائب والعجائب

واننا نأتي فيما يلي على بعض الارقام التي تبين عبادرات فلسطين
ووارداتها في بعض السنوات والتقدير بالجنيه

الصادرات والواردات

في مدى ست سنوات

السنة	الصادرات	الواردات
١٩٢٢	١٠٧٠١٧١	٥٤٧١٦٦٧
١٩٢٣	١١٤٢٢٤٣	٤٨٢٥١٨٥
١٩٢٤	١٢٠٠٨١٢	٥٢٦٦٣٩٤
١٩٢٥	١٢٩٧٥٥٩	٧٣٣٨٤٩١
١٩٢٦	١٣٠٨٣٤٣	٦٥٩٤٠٩٨
١٩٢٧	١٨٩٩٧٥٩	٦١٨٤٤٥٤



حقل الكروم
والأفنية لحفظ عصير العنب

ميناء حيفا . وموقعها الجغرافي

افتتحت الحكومة الفلسطينية هذا المرفأ في يوم ٣١ أكتوبر سنة ١٩٣٣ وقد تمخضت هذه الفكرة في ذهن بريطانيا من عهد احتلالها تلك البلاد . ففي سنة ١٩٢٢ عهدت الى السير فريدريك بالمر في درس المشروع الخاص ببنائها . فقبل بما وكل اليه . وشرع في القيام به . فأخذ يجوب شواطئ فلسطين من أقصاها الى أقصاها حتى وقف على دقائقها وأوصافها . وفي شهر يونيو سنة ١٩٢٣ قدم تقريراً مستفيضاً تناول جميع مباحثه وتنقيته . ولكنه ظل هاجعاً في مرقده سبع سنوات كاملة . وما لبث أن استيقظ من تلك الهجعة الطويلة حتى هبت حيفا . وكلها حماسة ونشاط فباشرت أعمالها الجدية التي كانت في طليعتها عمليات المساحة . ثم أعقبها بالتصميمات البنائية . وكان البدء بها في شهر ابريل سنة ١٩٢٩ والانهاء منها في شهر أغسطس سنة ١٩٣٣ وقد بلغ ما أنفق على تلك المباني وملحقاتها ١٢٥٠٠٠٠ جنيه انكليزي

عرفنا الآن فكرة انشائها . فلا بأس من أن نسرد بعض تفاصيل تناول أوصافها . وموقعها الجغرافي . والتمرة التي تجنيها

فلسطين من حركة نشاطها

لا يفوتكم أن مدينة حيفا قائمة في المنطقة الجنوبية من خليج عكا . وكان جبل الكرمل . قبل مخاضها بهذا الوليد . قائماً بحراسة الحوض الذي كانت ترسو السفن فيه . باسطاً حمايته من المنطقة الجنوبية . الى المنطقة الجنوبية الغربية . بحيث أنه إذا امتد النظر الى الطرف الغربي من هذا الجبل . يراه مرتفعاً ارتفاعاً سريعاً . يناهز الف قدم . ويرى المدينة . والسكة الحديدية . والرصيف كلها واقعة في السطح الشمالي من الجبل الذي يميل نحو المرفأ ميلاً طائفاً . ثم يرى الصخور الواقعة ممتدة في الصف الأول على طول ميل ونصف ميل . ثم تعقبها صخور أخرى وضعت خصيصاً لمد طول الرصيف القديم . ووقاية ممروره . فالجزء الأكبر من الحوض يبلغ عمقه ٣٧ قدماً والجزء الأصغر ٣١ قدماً . وقد وضع بهذا الترتيب الهندسي الدقيق لكي يتسنى للسفن التي تبلغ حمولتها ٣٠.٠٠٠ طن أن تأوي اليه بدون مشقة ولا عناء

وأما مخازن البترول فانها تستطيع توزيعه بواسطة الانابيب الممتدة من بلاد العراق . وقد قدر كفاءة نشاط هذه الانابيب باثنين مليون طن

أبان المنسوب السامي الذي رأس تلك الحفلة أن انكلترا

أخذت على عهدتها الانتداب في فلسطين من خمس عشرة سنة .
وما اتفكت قائمة به بروح النزاهة والعدل . تقسط بين العرب
واليهود والمسيحيين لا تفضل فريقاً منهم على الآخر . ولا تغبن
أحداً منهم لمصلحة الآخر . ولا سيما بين العرب واليهود فإنها
جعلتهما متعادلتين في كفتي ميزان . والانتداب يحتم عليها المساعدة
على إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين كما يحتم عليها احترام
حقوق الأهلين غير الاسرائيليين . فأمامها الآن اصلاحات عظيمة
لا مندوحة من إدخالها . ولكن سلطة القانون واستتباب الأمن
يجب أن يسودا كل شيء ويهمننا على كل شيء

لهذا ليس من الغرابة في شيء أن نرى هذا الرفعاً سيكون له
شأن عظيم في الملاحة الدولية . وقد استنفدت الصحف اليهودية
في فلسطين مداد الحبار في الاقافة . في وصف مميزاته وفوائده .
والحركة التجارية . والاقتصادية التي هو قطبها ومحورها . وفيما
سيعود على فلسطين من المزايا التي تعمها والخيرات التي تنعمها
دارت الحتب دورتها القاسية . وقضى الله سبحانه وتعالى أن
يحقق في النهاية آماني النبي موسى . وذررائلي . وموتوفوري .
وهرزل وغيرهم فلعمر الحق أن هؤلاء الأقطاب قد أوجدوا
الخالق ليكونوا نبراساً ساطعاً تهدي اليهودية بنوره . ولكن تباً

للزمان العاتي وسحقآله . فقد أفرغ في أعناقهم جعبة خيآته نساء
لهذا الدهر الذي أخنى عليهم . وأذرى بهم قبل أن ينالوا بغيثهم .
وهم في الحياة يقظون فشاء الله أن تتحقق أمنيتهم وهم في دار الخلود
وفي أعماق الأبدية هاجمون

هنيئآ لتلك القبور التي ضمت في أحشآها تلك العظام الخالدة
التي ترفرف أرواحها حول مضاجعها . وظلت تلك الأرواح وفيه
دآبة في السهر عليها ترقب أنها ضآها من كراها الطويل وسباتها العميق
وكأنما يخيل إلى أن كل من زار تلك القباب ولحودها .
واخترق بصره أعماقها وبطونها . وسمع ما ينطق في أجوافها لرآى
تلك العظام قد اشتبكت بعروقها فتحركت . وسمع كل ذرة من
ذراتها التحمت مع بعضها فتكلمت . ونطقت باسم الواحد الصمد
ترتل صلواة الشكر ترتيلا . وتصبح خالقها تسبيحآ . وتبتهل إليه
أن يمهّد لهذا الشعب سبيل التوفيق والوائام والتصافي بينه وبين
العرب والمسيحيين ليتعاطفوا ويتآزروا . ويسيروا جنبآ إلى جنب
حتى يلجوا محجة الهدى والصواب . أجل أن هذا التآلف وهذا
التساند يكونان بلا ريب من الوسائل الرشيدة والمناهج القويمة .
للسير إلى الأمام سيرا مضطردآ . والاشتراك في العمل اشتراكا
نزيها رشيدا صالحآ يكون بآمن من الوقوع في فخاخ الدسائس

وشراك المكاييد . ويقرن بتبادل حسن الثقة وتماقد الأيدي على
التعاون . وتعارض شد الأزر . وطرح المزاعم الباطلة . تلك المزاعم
التي يعافها الدين . وتمجها الحضارة . تلك المزاعم التي يزكونها
دولاء المخاتلون النمامون المنطوية جوائنهم على الحنائط والاضغان
الذين دأبهم دواماً القضاء على نشاط اليهود . والتشهير بهم والطن
عليهم . ونشوب الاضطرابات وشبوب الفتن . وإيقاد نار الثورات
وتوجد أسباب وجيهة تحمل على الاعتقاد أن التشاحن
والتطاحن كانا السبب الأكبر في إبطاء تقدم فلسطين . ولا يلقى
القوم إلا حظاً مشؤوماً وجداً عاتراً إذا ظلت الفتنة قائمة . والبلاد
هدفاً لويلاتها وأضرارها

واني لأقسم لئن تمسك المسلمون واليهود والمسيحيون بهذه
الباديء السامية . ووعوا مغزاها وفقهوا مرماها ليكونوا في الحياة
من أسعد الناس حظاً وفي المجتمع من أسمى القوم مكاناً

لم يعد خافياً أن الاضطرابات التي يضررها أولو الأغراض
ويورون أوارها ليس من شأنها أن تجدي أهل فلسطين على اختلاف
نحلهم نقماً . وأن تعود عليهم بطائل . فالشرق مثل الغرب له فضائل
وحسنات . وشرور . وسيئات بيد أن الغرب حجب أفق الشرق
طيلة ألف سنة . فأمست فلسطين متخبطة معه في مهاوي الانحطاط

أما اليوم وقد انضوى، ذلك الحجاب . وتغلغات فيها المؤثرات العلمية . والاجتماعية الواردة من كل صوب أبعد متغلغل . وهبت ريح الحياة ثانية بوفود هؤلاء الأتقوام . وأخذت تستيقظ وتنهض فلا مندوحة لهذه الأمزجة من التطور تطوراً لا يتنافى وروح العصر والبيئة . وذلك بالضرورة لما هو حادث من الطواريء . ذات الفواعل والعوامل والمؤثرات .

ولما كانت الطبقات الراقية المتتورة من المسلمين والمسيحيين على اعتقاد حسن في الأعمال والغايات . وكانوا يتقدرون ما لذلك من الشأن والقيمة حق قدره . . يرغبون في التصافي . والتصافح موجّهين ارادتهم نحو غاية الاصلاح الاجتماعي والاقتصادي فلا شك في أنهم ينهجون مناهج الارتقاء والتقدم ويعملون على تكوين عصبة واحدة تكون متماسكة الاطراف . مشدودة الأركان لكي تتمتع البلاد بمزايا النظم السياسية الحديثة . كالمجالس النيابية والاستزادة من السلطة التنفيذية . والاشتراك في وضع قوانين البلاد . وتوسيع مجال الأعمال حتى يتسنى لهم القيام بالخدم المدنية وغيرها . وبالأجمال ليسهل لهم الاضطلاع بالاصلاح اللازم في أفق الحياة الفلسطينية على المبادئ القويمة ليكون من وراء ذلك . جميع النعيم والخير للبلاد . والعز والسعادة للبلاد

العرب واليهود

وضرورة تبادل حسن الثقة

اختلفت آراء المفكرين وتضاربت. وأفاضت قرائح الاجتماعيين والاقتصاديين وتناقضت. وحرار ذوو الحجبى في إيجاد ما يرشدهم الى كشف الغوامض التي تكتنف مسألة فلسطين. وإظهار مكنوناتها والوصول الى معرفة ما اذا كانت الهجرة اليهودية جلبت الرخاء والسؤدد الى تلك البلاد. أم هي على نقيض ذلك فإذا كان الجواب إيجابياً. فهل يظل هذا الرخاء سائداً اذا استمرت تلك الهجرة في سيرها سيرا متواصلاً

هذان مذهبان اختلف الخبراء في تأويل أحاسيهما اختلافًا ظاهراً. وذهبوا في تفسيرهما لمذاهب شتى. فمنهم من نبذ هذا وأنكره. ودعم نظريته بأن البلاد قد أثبتت أيما اثبات. وغصت بالعرب والمهاجرين. فطفحت وامتلات أحشاؤها فتخمت. ومنهم من جذب ذلك وأقره. وقال ان فلسطين لا تزال واسعة الارحاء شاسعة الفضاء. فيها أراض قاحلة جرداء. فإذا أتيح للعامل اصلاحها

وحرثها وزرعها . أصبحت وافرة الزرع . عظيمة الانتاج
فكل ناقد خير . وممحص قدير . نزيه عن الغرض . بعيد
عن المحاباة . أقام في فلسطين ردحا من الزمن . لا ينتسب الى اليهود
ولا ينتمي الى العرب . لا يسعه الا أن يؤيد نظرية هؤلاء الاخيرين
تأييداً منطقياً ثابتاً - لاسيما وأن أراضي فلسطين لم يمن لها ما تقول
كلمتها الاخيرة التي ستكون فصل الخطاب . فاذا نظرنا الى ما قام
به اليهود من الاعمال التي تكاد تعد من أعمال السحر والاعاجيب
وما بذلوه من الجهود الجبارة التي فاقت حدود ادراك البشر في
تلك الصحارى العاتية القاحلة حكمنا بأن الهجرة اليهودية كانت
سبباً لا بلال فلسطين من تلك الادواء المزمنة الاليمة التي كانت
تنخر عظمها . وكادت تقضي عليها . وأنه كلما تدفقت الهجرة على
فلسطين . كلما زادت الايدي العاملة النشيطة فيها . وارتفع مستواها
الادبي والاقتصادي والاجتماعي الذي سيجعلها من أرقى البلدان
ترتع في مجبوحة العز والرفاهية

ولكي يستجلي الانسان تلك الحقائق ويقيم لها وزناً يستسيغه
العقل ويقبله المنطق والصواب فما عليه إلا ان يعبر نهر الاردن .
ويسرح الطرف في تلك الصحارى الجرداء التي ضربت الفاقة فيها
اطنابها ثم يطوي فيا فيها . ويجوب قسارها حتى يصل الى حاضرتها

مدينة عمان . فهناك يقف أمام حجة دامغة مفحمة وهي جهود العمل
الناجم من عدم النشاط . وضآلة اليد العاملة . ونضوب موارد
الثروات في حين أنه إذا زادت تلك الأيدي . وتزودت بالمال اللازم
وتسلحت بالآلات الزراعية الحديثة . وقام أصحاب الأرض
بالعمل الصالح الذي تسوده قوة الإرادة والمثابرة . والسير به على
مناهج زراعية فنية . فلا غرو إذ ذاك إذا تدفقت خيراتها تدفقاً
غزيراً . واتسعت مرافق الحياة اتساعاً عظيماً . ولا بدع أيضاً إذا
أضحى أهلوها في رغد من العيش رافلين في حلل العز والسعادة
لا جدال في أن أراضي فلسطين كانت أسوأ حالا . وأشد
بؤساً . وأكثر انحطاطاً . وأعظم عمقاً وأشد إجداباً قبل أن تغمرها
تلك الهجرة . فقد بذل هؤلاء اللاجئين إليها دماؤهم . وأنفقوا
أموالهم . وكل عزيز لديهم في مضاعفة خصبتها . وتحسين معدنها .
وانماء أثمارها حتى وصلت إلى هذا الازدهار البديع الباهر الذي
يضارع أعظم مزارع الغرب وبساتينه

هنا سؤال يصعب الإجابة عليه . هل تنوى الحكومة
الفلسطينية أن تضع حداً لهذه الهجرة لا تتخطاه . فإذا كان الجواب
في هذا الصدد سلبياً فما هو الحد الأقصى الذي تخطه لها . فالحكم
هنا سيكون مبتسراً . ومبنياً على الحدث والتخمين . ولا سيما إن

هذا الأمر موقوف على ظروف الأحوال . ومجرى الحوادث .
وتطورات الزمان . غير ان العتيدة النابتة الراسخة في اذهان
العرب هي سيادة الحكم . فانهم ليسوا بمشتكين من الهجرة .
وليسوا بجازعين من اختلاف أشكالها وضروبها . فهم لا يحفلون
بشيء من هذا ولا يكثرثون له بل هم مشفقون من قوة نشاط
الحركة التي تبديها تلك الهجرة . قلقون من ان يتغلب هذا النشاط
على السيادة التي يتمتعون بها من سالف العصور تمتع الأسياذ من
اصحاب الاقطاعات في الزمن التالد . بيد ان هذه المخاوف خيالية
وقيه . وهو اجس وهمية قامت في مخيلتهم . إذ بين المخاوف وبين
الحقيقة هوة سحيقة لا يدرك مداها . او ليس ادل على صحة ما
قدمناه من الرجوع الى الاحصاءات الرسمية . فنحن اذا رويناه
قليلا وجدنا ان عدد اليهود يكاد يبلغ مائتي الف نسمة اما العرب
فقد بلغ عددهم ثمانمائة الف نسمة ان لم يكن اكثر . فاذن مهما
تدفق سيل الهجرة على فلسطين فمن المحال ان هذا السيل يحرف
الأغلبية . ويؤدي الى جعل الأقلية اغلبية . ولا سيما اذا نظرنا
الى كثرة النسل لدى العرب . وهذا الاخلاف الهائل الذي ليس
له مثيل في العالم برمته

فهذا التقدم السريع . والنشاط العملي العظيم في الشؤون

التجارية . والوجوه الاقتصادية . والاعمال الزراعية . والابتكارات
الفكرية . وفي كل مناحي الأعمال . جعل هؤلاء الاقوام يخشون
عقابه ويشفقون من نتائجهم ولم يدركوا في خلدكم انه اذا
كان بلفور ابتكر فكرة الوطن القومي اليهودي . فهذا ليس
معناه مملكة يهودية . كما كانت غايات الرجل العظيم هرزل ومراميه
فالمملكة اليهودية شيء . والوطن القومي اليهودي شيء آخر .
فقد توطد في نفسية العرب ان اليهود ما افكروا معتصمين بأهداب
مارسه هرزل وان هذه الغاية هي مثلهم الاعلى . ومقصدهم
الاسمى وكأنا هذه الفكرة قد تغلغت في لحمهم ودمهم وعروقهم
وفي اعماق قلوبهم . بيد ان الامر ليس كما يتكهنون . فهم واقفون
الآن ازاء مسألة تجلت فيها حاساتهم بأجلى مظاهرها . هي مسألة
السيادة والحكم التي لا تتصادم فيها المصالح المادية بل تنفعل فيها
العصبية القومية انفعالا مخيفاً بالرغم من مزاعم الماديين . ولم تكن
العواطف والوجدانيات في كل زمان ومكان محركات شديدة للشهوات
والاهواء فحسب بل كانت كالبراكين تقذف حممها على الامم والشعوب
وتدفعهم الى التطاحن والتناحر . فلم تكن انفجارات في السياسة العالمية
الا وهي مصدرها . ولم تأت نكبة من نكبات الحروب الا كانت
مثيرة غبارها . فهي عواطف وجدانية نفسانية بسيكولوجية لها

خطورتها وانفعالاتها . اذ ليس بمستور بعد أن ما يكون في الانسان
من الاستعداد النفساني الفطري انما هو ما يتحدر اليه بالوراثة
من آباءه وأجداده . وينقل اليه من متواصل الأرحام . وتسلسل
الانساب . ولا مذكور أمر للبيئة مهما كانت فواعلها شديدة .
فالانسان هو ابن الوراثة ذلك الواقع لا مرأ فيه . لا ابن البيئة
ولا ابن الوسط الذي ينشأ فيه . فهذا المزاج المعنوي الذي عند
العرب . والعاطفة النبيلة المتأصلة في نفوسهم يدرك اليهود سموها
وإباءها كل الادراك ويسرفون في الحرص على مكائنها العزيرة
كل الاسراف



الغازي مصطفى باشا كمال

واليهود في تركيا

ولقد عاش اليهود في تركيا حثبا عديدة من الدهر منذ مجالس التفتيش في اسبانيا حتى الآن وغالوا في المحافظة على عواطف الاتراك ومنزلتهم كل المغالاة . فأخذت أواصر الأخاء والالفة بينهم وبين اخوانهم المسلمين تزداد وثوقاً . وها أنه قد تجلى بعض مظاهرها في هذه الايام العصيبة حيث أظهر نابغة تركيا . وبطلها العظيم الغازي مصطفى باشا كمال شيئا غير قليل من النخوة . والمروءة . وسمو العواطف . وسعة الصدر نحو البعض من علماء اليهود الذين نبذتهم المانيا . وفتح لهم باب تركيا . على مصراعيه واستقبلهم بكل ما جملة الله من حسن الكياسة . ونبل الغرائز التي اشتهرت بالرفق واللين . والعطف الانساني . واستعان بهم هذا المصلح الكبير لتنظيم الجامعة التركية على الاساليب العلمية العصرية . وقبل مشروع العالم الشهير فيليب سوارتس الذي يرمي الى انشاء معقل عظيم للعلوم فيها واستدعي ما ينيف عن اربعين أستاذا من هؤلاء اليهود

لتوسيع نطاق أقسام تلك الجامعة من بينهم الاقتصادي ذو الشهرة
الجوابة الأستاذ « ريك » الذي كان له مكانة عظيمة في كلية
ماربورج . والشائع الآن في الدوائر السياسية العالية بأمريكا .
وانكائرا . وفرنسا أن الكوارث التي جأت باليهود في المانيا
هزت جوارح ذلك المتقدم الكبير مصطفى باشا كمال النبيلة
عظفا وحنانا نحوهم وأرحت اليه بالسماح لعدد كثير منهم بالدخول
في تركيا والانتشار في جميع أنحاءها .

على أن هذا القدر العظيم من المسكازم التي أبداها نحو اليهود
كان غريزيا في نفس مصطفى باشا كمال الطامحة دواما الى الاستزادة
من السمو والرفعة . ولانسهب في ما قام به هذا المصلح الذي قلما
أن يأتي الزمان بمثله . من عظيم الاعمال . بل نكتفي بالتلميح الى
ما كان بينه وبين صاحب القضية حاخام مصر الأكبر الحالي حايم
ناحوم أفندي عندما تعين في الاستانة بانغاية مطلقة واحلاله محل
الحاخام الأكبر موشيه هلاينفي الذي مات شهيد جهاده وتثانيه في
سبيل خدمة أمته وأبناء جنسه



الغازي مصطفى باشا كمال

صاحب الفضيلة

حاخام مصر الاكبر حاييم ناحوم أفندي

وعلاقاته الدولية والسياسية

من غريب الاتفاق أن انتخاب ناحوم أفندي كان حدوثه في وقت هبوط العاصفة العنيفة التي اضطربت لها أعصاب تركيا. وهزت أركان النظم التي كانت سائدة فيها هزاً أفضى الى خلع السلطان عبد الحميد وإنزاله عن عرشه. وادخال تركيا في دور انتقال فجائي قلب الاحوال رأساً على عقب. الأمر الذي دفع اليهود الى تنصيب رئيس ديني. متشبع بالمبادئ والنظريات الحديثة العهد. يجري في أعماله على أساليب لا تتنافى مع ذلك التحول والانتقال. بل تلائم مقتضيات هذا الإصلاح حسب مجرى التطور والارتقاء كان في طلائع اعمال ناحوم افندي الجليلة ريثما تبرز السلطة الروحية انه جاهد مع المسيو ستراوس ومرجانتو سفيري الولايات المتحدة جهاد الابطال في القضاء على الجواز الاحمر الذي وضع خصيصاً لتجديد المهاجرة في تركيا فكانت نتيجة ما أظهره من

الترفع عن التعصب . ومن صدق العاطفة الوطنية . وعدم الانقياد الى هوى النفس أن سمت مكاته وارتفعت منزلته في أعين مصطفى باشا كمال . والوزراء وغيرهم من ذوي الحل والعقد . وأخذت جميع أعماله تكلل بالنجاح والفوز . ومنها الحصول على الترخيص بآتمام مباني المهندسخانة الاسرائيلية بمدينة حيفا ورفع القيود التي كانت عتبة كأداء في سبيل المعاملات المتعلقة بالشؤون العقارية بين الاسرائيلين والاجانب . ثم أوفدته الحكومة التركية لما لها من الثقة العالية به عقب عقد الهدنة الى مدينة الهاء للقيام بتمثيل تركيا فيها . وقد ناطت به معالجة القضية التركية ليتولى الدفاع عن مصالحها الحيوية . ولما كانت هذه المسألة الخطيرة تستدعي قسطا كبيرا من العناية . ومدة غير وجيزة من الزمان لتوجيه كل جهوده نحوها . استقال من منصبه . ومكث في مدينة الهاء أكثر من اثني عشر شهرا أفرغ فيها ما كان في جعبة قريحته من حذق ومهارة . وروية . واقناع للوصول الى تضيق هوة الخلف . والتشاد . ووقاية تركيا . وحفظها من الوقوع بين مخالب الحلفاء . وكان من جراء ذلك أن أزال سوء التفاهم . ومهد الطريق لتسيير المفاوضات التي قامت عليها دعائم السلام . ثم غادر هذه المدينة . وقدم باريس حيث وكلت اليه سفارة تركيا لتمثيل الحكومة التركية في مؤتمر لوزان .

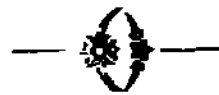
وجري بينه وبين المسيو بوان كاريه رئيس الجمهورية الفرنسية
أحاديث شتى . وتعرف بالرجلين العظيمين المسيو بين ليفيه
والمسيو بريان

ولئن صحت عزيمة تركيا بعد انجازه هذه المهمة على تعيينه
وزيرا مفوضا في واشنطن . وكان على وشك السفر اليها لاستلام
مقاليد الامور . الا أنه تنازل عن هذا المنصب السامي لقضاء بعض
شؤون مهمة تتعلق بنقابة الاستعمار الاسرائيلية في إنقرة
آب هذا السياسي المخنك . والخطيب المصقع الى الاستانة .
وما كاد يطير قدمه هذه الحاضرة الكريمة حتى توافد الناس على جانبي
الطريق . وغصت الشوارع بالاهالي . فاخترق الطريق بين الهمات
والتصفيق ونشرت صحف تركيا المقال تلو المقال وطفقت تصف مناقبه
وما أثره . وتطنب في مدحه ايما أطناب . وتسجل له الثناء على
تفانيه في سبيل نهضة تركيا . وقد لقبوه عهدئذ « بمنقذ الجنسية
التركية » . ولما كان هذا الجهاد عظيما والعناء الذي تحمله في سبيل
هذا العمل شديداً كان طبعاً أن تجنح نفسه الى الراحة لاستجماع
شئات قواه . ولكن ارادة المولى تعالت على كل شيء . وسادت
كل شيء . فقد أبى الله سبحانه وتعالى الا أن يتسم زعامة السلطة
الروحية الاسرائيلية في مصر . فترك ميدان السياسة بعد ما خاض

غمارها زما طويلا . وآثر العودة الى الحياة الروحية المنفعة بالتقوى
والايمان . وقبل هذه الرياسة للبحث عن أقوم المناهج . وأفضل
النرائع التي تنهض بالطائفة الى الرقي المنشود

عطف هذا الخبر القهامة على مصر . ولبي نداءها فأغاثها وحقق .
رجاءها . وبلغها مأربها ومنتهاها

جمع هذا العالم بين العلم والعمل . فلا تجد ما يساوي فضله .
وبلاغته . وخطابته . وثاقب فكره وقوة ملكته . سوى علو
مبدئه . وبعد همته . وسعة اطلاعه . فهو أحد الذين قلما جاد بهم
الدهر . وهو واسطة عقد المصلحين المجددين في هذا العصر . وقد
أكسبته معارفه وسعة رويته مقاماً رفيعاً في مستوى أعظم رجال
الحكومة المصرية على تعدد نزعاتهم واتصالا وثيقاً بالوزراء ورؤساء
الاديان وأرباب المناصب العالية على اختلاف نحلهم . ونال حظوة
عظيمة في أعين مليكها العزيز المحبوب



مولده ونشأته

ولد الحاخام ناحوم افندي في قرية مغنيسيا بالقرب من أزمير في آسيا الصغرى سنة ١٨٧٥ . وقد أُنجبت الانسانية هذا المولود ليكون مشكاة تهتدي الامة الاسرائيلية بهديه . وتسترشد بارشاده وكان مندفعاً الى العلم اندفاعاً فطرياً . فأكب عليه ارضاء لنزغاته الغريزية . ولا يجد صلة بين العلم والدين سعياً لتطهير الضمائر من ادران المعاصي والموبقات . والسرائر من اثم الشطط والسفسطات ولعل العامل الاكبر الذي حدا به الى ولوج هذا الباب شدة ولعه باقتباس حقائق التوراة وكشف القناع عن مكنوناتها فاتتلم في سلك الحاخامين الذين يتلقون دروسهم في الجامعة المعدة خصيصاً لذلك . وهي البيئة التي تكمل فيها الترية اللاهوتية العاليه على أصح القواعد وأقوم المناهج تأهيلاً للطلاب الى الخوض في مجاهل التلمود وتمكيناً من العثور على مكامن التوراة وخبايها . وإبراز كنوزها وحل رموزها . وقد ظل في تلك الجامعة حتى احرز قصب السبق ونال القدر المعلن

يبد أن جذوة العلم كانت تزداد فيه تسعراً واضطراباً

كان يزداد توغلا فيها وانكبأبا عليها
دأب في هذا العمل بهمة لا يعتورها كلال ولا ملال لم يتوان
لحظة واحدة في أداء ما فرض عليه . بل ما فتىء مستطردا هذا
الكفاح العلمي مدة تنيف على خمس سنوات تجلى فيها ذكاؤه
ونبوغه . وأربت نتائج جهوده على جميع أقرانه فانتخب استاذاً في
مدرسة الحاخامين في الاستانة وقد تولى فيها درس التلمود وآداب
اللغة الفرنسية تحت إشراف مدير المدرسة العالم العلامة ابراهيم دنون
وقد اتفق بعد تبوئه هذا المنصب ان عرضت على بعض كبار
المفكرين من اليهود معضلة من المعضلات التي حار أولو النهي في
إيجاد حل لها . تضاربت فيها الآراء . واختلفت وجوه النظر في
من يكون أهلاً لرفع القناع عنها . والتثبت منها . وهي هل العشيرة
التي نزلت الى بلاد الحبشة في عهد الملك سليمان لا تزال باقية على
قيد الحياة . أو انقرضت سلالتها وانطمست معالمها وهل اذا كانت
حية ترزق لا تزال على سالف عهدا متمسكة بتقاليدها القومية .
ومبادئها الدينية . أم اندمجت في العناصر الأخرى اذعاناً لحكم
ناموس الجهاد الطبيعي وتنازع البقاء اندماجا حولها عن تلك التقاليد
والمبادئ . وما هي الذريعة الفضلى التي تمكنهم من الوصول الى
هذه الضالة المنشودة . ومن ذا الذي يجرؤ على هذه المغامرة . ويقدم

علي هذا الامر . ودون الوصول اليه موارد الردى . والموت الزؤام
فدرست الجمعية اليهوديه هذا الموضوع . ووفته حقه من البحث
والتنقيب . فلم تر شخصا أكفأ . واجراً من هذا الشاب الباسل ناحوم
اقتدي فأولته ثقها . وعهدت اليه في القيام بتلك المهمة . فلي دعوتها
دون أن يبدي شيئاً ينم عن تهيب . أو يدل على احجام . بل كان
ما أبداه يشف عن الارتياح والجدل . وعاهد الله والناس على أن
يقوم بها خير قيام . غير حافل بالصعاب ولا مكترث للاخطار التي
يحمل أن تكتنفه في سبيله

الحاخام ناحوم وملك الحبشة

سافر هذا الرجل فريداً . وحيداً لا نصير له يؤازره ولا معين له يشاطره المشقة والم النوى سوى عناية الله . ودعاء اقاربه وذويه وما تزود به من خطابات التوصية الموجهة من الدول العظمى الى وكلائها السياسيين لدى النجاشي ملك الحبشة تمهيداً لطريقه وتحقيقاً لهذه الغاية الشريفة . فقطع مراحل شاسعة حتى القى عصا التسيار في تلك الاقطار النائية . فلما بلغ حاضرة المملكة بادر الى ابلاغ النجاشي الغاية التي جاء لأجلها . والتمس منه أن يتفضل بالسماح له بمقابلة جلالاته . فأجاب الملك طلبه . واستدعاه اليه . فلما مثل بين يديه أكرم وفادته . وأحسن استقباله . وقد أدهش النجاشي بطلاقة لسانه ودرر بيانه . وبرهن على قوة جنانه . واقتداره في اللغة الحبشية . وأخذ يسردله بالتفصيل آيات من التوراة . وبعض شذرات من علمي التاريخ واللاهوت دلت النجاشي على سعة اطلاعه وطول باعه . وظل يروي ما وقع في عهد الملك سليمان من الحوادث التي كان لها عميق الأثر . واعظم وقع في النفوس حتى افضى به القول الى ذكر ما كان من حسن الاواصر ومتانة العلائق

التي ارتبط بها اليهود والاحباش في ايام حكم ذلك الملك الحكيم
والملكة سابا ارتباطاً وثيقاً العرى . سجله التاريخ . وخلدته
آيات التوراة

فلما سمع الملك منه هذه الحقائق التي احيا به ذكراها ذلك العهد
المجيد التي سطعت فيه شمس العدل وافلت نجوم الطفيان . ذلك
العهد الذي كان بنو اسرائيل يرتدون حلل العظمة والمجد . ويتحلون
بحلي الحكمة والكمال امر حجابهم ان يميظوا الحجاب الذي كان
توارى خلفه ليحتل محيا هذا العبقري الذي شرح هذه الآيات الينيات
ولعل هذا الخروج عن العادات القديمة . والتقاليد العتيقة كان
حادثاً غريباً جذب اليه الأنظار . وأثار عواصف الدهش والاعجاب
في جميع الاقطار الحبشية بدليل ما اظهره من العطف الزائد على
هذا العالم فانه انعم عليه بوسام من اسمى وسامات الشرف وأدب
له مآدبة شائعة جمعت جمهوراً كبيراً من امراء الاسرة المالكة .
وأرباب المناصب العالية . وذوي السلطة في البلاط الملكي ووكلاء
الدول السياسيين . وقد أجلسه الملك الى يمين الملكة . وهو اسمى
شرف قلما ناله انسان في المملكة الحبشية واصدر اوامره الى حكام
المقاطعات باحاطته بكل غناية وحفاوة وتزويده بالمعلومات متى
طلب اليهم ذلك وعين لخدمته كوكبة من الفرسان رافقه وتحرسه

في غدواته وروحاته. واستمر الحال على هذا المتوال مدة من الزمان
تسنى له في غضونهما إنشاء بعض معاهد إسرائيلية اتسع نطاق
التعليم فيها. وبلغت شأوا عظيما

وبعد أن انجز هذا العمل قدم تقريراً وافياً عما فعله وأتمه في
هذا الصدد نشرته جمعية الاتحاد الاسرائيلية في حينه. وفي غضون
ذلك تلقى نبأ برقياً صادرا من الاستانة ينبئ بتعيينه حاكما أكبر
باغلية مطلقة واحلاله محل الحاخام موشيه هالينى الذي مات شهيد
العلم مجاهدا في سبيل الأمة

نعم قد حدا بنا المقام الى سرد مناقب الحاخام الأكبر ناحوم
افندي بسبب علاقته الشريفة بتركيا العزيزة وتقانيه في خدمتها
الى ان جاء مصر. وما أقامه من النظام البديع الساحر لاعلاء شأن
الطائفة الاسرائيلية فنحن حثمك عاينا أن نصف مناقب رئيسها الجليل
حضرة صاحب السادة يوسف اصلان قطاوي باشا فرع شجرة
المجد الاثيل. وحضرة ابرامينو منشى وكيلها

صاحب السعادة

يوسف أصلان قطاوي باشا

وابزامينو منشى

لم استطع أن أنقل من صفات هذين العظيمين صورة صادقة .
أو قرينة من الصدق . واني أعترف بعجزى عنه . لان الاستعداد
للشعور أعظم من المقدرة على الوصف . ولان الالفاظ مهما زادت
في التعبير فهي بلا مشاحة أضيق نطاقا من العواطف التي تثيرها
في نفوسنا طهارة الافعال ونزاهة الاعمال

هما اثنان . هما الدعامتان الحامتان أعباء العمل وعنايته . أو قل أنهما
المحور الذي تدور عليه حركة الطائفة برمتها . فهو يوسف الذي
اهلته كفاءته لان يكون وزيرا في ظل مليكنا العزيز المحبوب
ذي الجلالة احمد فؤاد الاول . وأراد حسن الطالع أن يكون خليفاً لجده
يوسف الصديق الذي كان وزيرا في مصر في عهد القراغنة ولكنه
تنحى عن هذا المنصب السامي واءتزل عمله فاستنكفت رقة عواطفه
استهداف المجد لنفسه وضحى به ارضاء لما كان يحتم عليه الواجب

=٢٦٨=

من ادخال الاصلاح العلمي والأدبي الفعال الذي يرمي الى تقويم
اود الطائفة واعوجاجها بعد ما أثبتت المنية أظنارها في شخص
المغفور له موسى قطاوي باشا

أما ابرامينو منشي فهو تاجر من أشرف تجار مصر وأنشطهم .
خرج بمهارته . وقوة ملكاته . وجرأته في ميدان العمل من طريق
المزاولة بالشؤون التجارية وأضحى من أكبر الرجال فضلا
واستقامة وكرما وعفافا



مشروعاتهما الاصلاحية والعمرانية

تستطيع أن تبحث لهذين المصلحين عن شعار جدير بهما .
خليق بأعمالهما . فلا تجدان شعاراً واحداً مصدره النزاهة . وليس
من العسير اقناعك بأنهما خلقا لعمل واحد . فكم يمتاز الجمال
الخلقي في المرء وأثر الجمال الاجتماعي فيه . اليس يمتاز بما يظهره
في مواقف الحياة الدقيقة من الثبات في الأمور . أو ليس بما يديه
من الميل الى الهالك في خدمة الانسانية تهالكا خالصاً بعيداً عن
المداجاة والمخاتلة . فأنا زعيم لكم بهذا كله اذا شاهدتم هذين الرجلين .
نعم أي كنفيل لكم بأنكم لو وفقتم الى الاجتماع بهما مرة واحدة
لرأيتم بأعينكم مظاهر لن تنصرف عنها انفسكم . ولو نظرتم الى
ما اقاماه من المعاهد والملاجيء والمدارس التي ادخلها فيها الاصلاح
العلمي والتهديبي وتشبعتم من مناظرها لتأثر عقلكم بهذه المؤثرات
وشعرتم بلذة لا تحاكيها لذة . ولقد كان من ضرورات قيام
الطائفة على انظمتها الحديثة ان يمتد التفكير في المؤسسات التي تمدّها
بالعناصر الضرورية لارتقائها فانشأت المعاهد والمستشفيات وقد
بلغ هذا النظام مبلغاً يباهي به اليهود المصريون وترتفع له رؤوسهم

وشهدت الايام الاخيرة قيام سعادة يوسف قطاوي باشا فاكتمل
للاسعاف سياجه . وارتفعت عمدانه واذا كان المغفور له موسى
قطاوي باشا اسس هذا النظام فان يوسف قطاوي باشا شيد على
هذا الاساس البروج التي تنتقل الطائفة فيها الى ذرى العلى لتستعيد
مجدها الدارس

لا يفكر هذا الرجل العظيم في اثار الانصار على حساب
الكفايات المهضومة تلك الكفايات التي تحتقر الترامي على الاقدام
والجري وراء الاساليب الملتوية . لم يطلب الرجل الاشراف على
الطائفة ولكن الاشراف طلبه . ولم يلتمس الرجل الجاه لنفسه لان
نفسه تمرح في رحاب جاه عظيم . لسنا في حاجة لاجهاد الفكر
واعنات الذهن للتنقيب في ثنايا كلامه والتفتيش في أطواء أقواله
لنستشف ما في طياته من أمور . فاقواله كلها طلية . وأموره كلها جلية
يعمل في ضوء الشمس وفي وضوح النهار . ويكره العمل في الظلام ومن
خلف الستار . رجل العدل تظلل عدائته خصومه ويطرب لفوزه
انصاره . انظروا الى مدرسة العباسية ورواء منظرها . وحسن طرازها
ونخامة بنائها . وبديع نظامها . وآداب أساتذتها . انظروا الى المستشفى
الذي أقيم حديثا تروا ما يدهشكم من بهاء الترتيب . وحسن الذوق
وتقسيم الاختصاصات . ويمكنكم ان تعدوه في مصاف أحسن

المستشفيات اتقاناً . وأسرعها اسعافاً . وهو قائم في بتمعة من أصبح البتاع
جواً وهواء تكتنفه رياض غناء شاسعة . ومروج فيحاء واسعة .
يتضوع منها العير الذي يحيي النفوس السقيمة . ويشفي القلوب العلية
كنا قبل هذه الاعمال الجليلة نرى مشاهد فاجعة تتصدع
لنظرها القلوب فتثير في النفس المـا . ونسمع زفرات تتفتت لها
الا كباد قبيث للنفس حسرة . ولكنها حسرة مفعمة بالمرارة
والقلب شيء غير قليل من الاسى . كنا نسمع انين ذوي العادات
وتأوهات المصابين . نعم كنا نسمع وننظر هذا كله ولكن أبت
عواطف هذين الكريمين ان يتفامكتوا في اليد . فقد امتلأت أنفسهما
إيماناً بأن اولاد الفقراء . هؤلاء البؤساء الذين نبذتهم الطبيعة كانوا
في ديابي الجهل وظلماته . ومرضاهم كانوا في محن . وقد دهمتهم
الدواهي . ودهمتهم غوائل الحداث فلم تتعاس نفسهما الاية عن
المبادرة الى اغاثتهم واعانتهم

نعم ان لهذين الرجلين على الطائفة لفضلاً عقلياً وعلمياً ومادياً
لها الفضل لانهما انقذا هذه الطائفة وثقفا عقول أبنائها وازالوا عنها
هذه الغمة التي حجبت عنهم ضوء العلم ومناطويلا فهذا العمل الجليل
سيبقى لهما ذخرا عند الله والله لا يضيع أجر المحسنين
فلنرجع الى مناقب موسى قطاوي باشا وتفانيه في سبيل رقي الطائفة

موسى قطاوي باشا

وسعد سوارس ويوسف بك موصيري

فقدت الطائفة ثلاثة من انجب أولادها ذكاء وأكرمهم خلقاً
وأنشطهم عملاً هم موسى قطاوي باشا. وسعد سوارس. ويوسف بك
موصيري

كان المغفور له موسى قطاوي باشا مفتوناً بالانصاف منطورياً
حقاً على العدل جاداً في توطيد دعائم الطائفة تذكروني سجاياه
النبيلة يبحث جري في صدد مدارس الطائفة فقد نشرت في جريدة
« لا بورص اجديسان » بعددها الصادر في ٢١ فبراير سنة ١٩٢٢ .
مقالاً صافي الذبول أبنت فيه اللزوميات الجوهرية التي تستلزمها
مدارسنا من وجهتي الإدراك العقلي والفوائد المادية وكنت قد
أتيت في جريدة المقطم وغيرها ببعض مباحث أخرى دارت في
شأنها تناولات جوهر الموضوع فيما يختص بالاصلاح العلمي والمواد
التي يقتضي ادخالها لتقوية ملكة الابتكار والابتداع وتعزيز قوة
الاستدلال للوصول الى الحقائق وأدات بالحجج والبراهين التي



حضرة صاحب السعادة
المرحوم موسى قطاوي باشا

تدعم ما ارتأيته من الوجهتين الادبية والاجتماعية - اذ لاشيء ادعى الى تحقيق تلك الغاية من المحافظة على حرية الآراء - وقد ضمنت ذلك المقال اقتراحاً شفعته بتطبيقه العملي بيد أنه ما لبث ان نشأ اثر ذلك شيء من سوء التفاهم أثار بعض عبارات حملتني على وجوب إيضاها تهديئة للخواطر واعطاء كل ذي حق حقه

طلب الي موسى باشا قطاوي متابعته للتفاهم منه في هذا الصدد فارضاء لعواطفه الرقيقة . ونظراً لما كان له عندنا من المنزلة الرفيعة لبيت الدعوة وحظيت منه بشرف المشول حيث أبدى لي بعض ملاحظات دار مؤورها حول المدارس التي طالما نشب النضال بأزائها . ولما كان الواجب يحتم علي اظهار غشها من ثمينها آثرت ان أعبر عما يخالج ضميري في صدر مقال آخر صرحت فيه بما عني لي من الفكر نظراً لعدم استيفاء الغرض المطلوب من تلك المدارس وانها ليست الضالة التي تنشدها لكونها من المدارس الابتدائية مجردة من القسم التجهيزي الذي يؤهل التلامذة لولوج المعاهد العليا وانها تتعارض مع النهضة العمرية لعدم تنقيح انظمتها لاسباب وان العلوم محصورة فيها ضمن دائرة مدودة لا تتخطى المبادئ السطحية نعم بلغت تلك المعاهد الآن الغاية التي كنا نتوخاها من حيث التربية المدرسية والاصلاح العلمي وانتقاء المدرسين تحت اشراف

هذا الرجل العظيم انزالك نكامولى. فقد برهنت الحوادث على أن لاشيء
أدعى الى نجاح المباديء وتوطيدها من القيام بإيضاحها وإذاعتها على
الوجه الصالح ولا يغرب عن الأذهان أنى توخيت في تقرير
أحكامها كل ما عن لي ذكره من جهة تقاليدنا القومية . ومختلف
الاعتبارات الاجتماعية إذ أنه من الحقائق البارزة التي لا جدال فيها
أن اتحادنا البديع وتقاليدنا القومية غالت الأجيال زماناً طويلاً .
وخلدت لنا ذكراً حميداً في بطون التاريخ . وإذا كان من المسلم به أن
العلوم والمعارف هي من دلائل المدنية ومميزاتها عند الأمم القديمة
والحديثه وعلى قدر القسط الذي يكون لكل أمة من تلك العلوم
والمعارف يكون الحكم على مقدار حضارتها . صرح لنا أن نقول أن
مدنيتنا من امهات المدنيات التي ظهرت منذ العصور الخوالي بأبهى
جمالها الرائع وأبهر ضيائها الساطع

أما المغفور له سعد سوارس فلم نر بداً من التنويه بالموقف
المشرب بالعطف الذي وقفه إزاء الطائفة . فقد ساد هذه الطائفة
بهذه المزايا الثلاث : العدل . والكرم . والتواضع

كان هذا الرجل يحب المباشطة . ويواسي الفقراء ويمارحهم
ويحادثهم أحاديث طلية لا أثر فيها للكلفة . ويعاملهم معاملة الصديق
للصديق والند للند وكان هؤلاء الفقراء محبوبونه حباً جماً ويتفانون



حضرة صاحب العزة
المرحوم يوسف بك موصيري

في سبيل خدمته

كان سخياً مسرفاً في السخاء و كريماً ممناً في الكرم. كان كيدسه مفتوحاً للمعوذين الذين كانوا يتصدون رجا به على اختلاف عقيدتهم و جنسيتهم يكره المظاهر الكاذبة والابهة الغرارة هذا فضلاً عما جادت به عبقريته العظيمة من المشروعات الجلية الكبرى كانشاء البنك العقاري المصري والشركة العقارية وإصلاح سكة حديد حلوان وكان صاحب العزة يوسف بك موصيري الذي اغدقت السعادة عليه ألاءها ناسجاً على منوال هذين المصلحين ومثابراً على تأييدهما أينما وجد الى ذلك سبيلاً لما كان له من المواهب السامية والنمضات العظيمة وكان هذا المصالح ورعاً تيمناً متمسكاً بالدين ثمسكاً تيناً محبباً لرؤساء الدين والتابعين لهم متربياً لهم وقد نالوا في عهده من التكريم والعناية وحريصاً على الاعتصام بأهداب التقاليد اليهودية فلا يحد عنها قيد شعره . وكان معظم اصدقائه من الامراء والوزراء وكبار رجال الدولة وتمتاز المآدب التي كانت تؤدب في منزله بالفخامة والرونق والاتقان . ولكن يا لسخرية القدر وغدرات الزمان فقد قلب الدهر له ظهر المحن وأبى إلا ان يعكر صفاء حياته . ويبدل افراحه باتراح ويقتضي على حياة ابنه العزيز نسيم الذي تغذى بلبان

العلم وارتضع أفويق المعارف وتربى في أحضان العز والدلال .
نسيم الذي كان عاقداً على عبقرته كل الآمال .. قصف الموت غصنه
الزاهي وهو في ريعان العمر ومتمبل الشباب الأمر الذي ساعد على
هدم صرح آماله وقرب أجل مماته

ليس من شك في أن هؤلاء الرجال كانوا أعضاء عظماء للطائفة
والتلامذة . يقوم كل منهم بعمل خاص من الأعمال الخيرية التي دفعهم
الميل الانساني الى أجزائها لتخفيف ضائقة المحتاجين منهم وتلطيف
وطأة الفاقة عنهم والاشراف على المعاهد وصونها . نعم ضحى هؤلاء
الرجال بقسم كبير من حياتهم بدأبهم في الحرص على سلامة الطائفة
سنوات عديدة حرصاً مقروناً بالنزاهة والحكم الصائب وبمثاربتهم
علي السعي في ترقية انظمتها ايما وجدوا الى ذلك سبيلاً

صعدت روحهم الطاهرة الى جوار ربهم . لكن مناقبهم ستبقى
خالدة ما حيننا . رزء شديد وجنأ له وجوماً ومصاب كبير ارتمضنا
له ارتماضاً . أسفنا والاسف ملء قلوبنا لحرمان الطائفة من عطفهم
وحنانهم راجين الله أن ينزلهم منازل الابرار المتقين وأن يحسن الى
روحهم التقية بقدر ما أحسنوا الى الفقراء والمعوزين . ويتولاهم
بمغفرته وواسع رحمته واحسانه ويسكب على جدثهم شآئيب رضوانه
ويسكنهم فسيح جناته .

يهود الاسكندرية، وحاخامهم الاكبر صاحب الفضيلة دفيد براتو

نثرت طائفة الاسكندرية كنانتها للشور على رجال يذودون
عن حماها ويحمون دمارها فمازت بمبتغاها وانتخبت من رجالها
أعرقهم نسبا وأشرفهم حسبا انتخبت هؤلاء الرجال الجاري في
عروقهم الدم اليهودي البحت الدم المتحدر من أصلاب أجدادهم
الاشراف . انتخبت منهم فرع روضة الفخر النبيل البارون فيلكس
دي منشى . انتخبت الرجل العظيم الذائع الصيت ادون جوهر .
انتخبت المصلح الكبير جاك اجيون الذي قام بتأسيس مدرسته
الفخمة التى ضارعت أشهر مدارس الاسكندرية وأرقاها انتخبت
المكافح الشديد يوسف بتشوتو بك الذي تعلم الطائفة موافقه
الجرئة وكفاحه العظيم في سبيل رفع مستواها ورقيا وغيرهم من
عليه القوم وزهرتهم وقد ألفت مقاليد أمورها الدينية وأزمة

شؤونها الطائفة في يدمن هو أوسعهم علماً وأغزرهم مادة وأقوام
إيماناً . وأرسخهم عقيدة وهو صاحب النفضية الحاخام الأكبر دافيد
براتو المعدود في مصاف العلماء الاعلام لما له من المراهب العقلية
العالية والسجيا الحكيمة الغالية فضلا عن مقدرته الخطائية السامية
وقوة بلاغته في القاء زواجه الادبية والدينية التي أقل ما يوصف
بها أنها آيات خالدة لن يستطيع مر الزمان أن يفنيها

ما من أحد ينكر ما لهذا الخطيب من المواقف الشريفة في
النضال . الديني . والادبي . والعلمي وكل أحد يعلم أنه نابغة من النوابع
الأفذاذ الذين طبق صيتهم الآفاق فقد أدهش الاجتماعات
بطلاقة لسانه . وطول بابه ورشاقة الفاظه . فلا يستطيع جهيد
من جهاذة اليهود في الاسكندرية أن يدرك شأوه ولا يبلغ مده
فلا غرو اذا استطاع حقا أن يرقى شأن الطائفة الاسرائيلية في هذا
الشرف الى ذروة النجاح والفلاح

كان هذا الرجل مندفعاً الى العلم اندفاعاً فطرياً فأكب عليه
ارضاء لنزعاته الغريزية ولا يجاد صلة بين العلم والدين
فليس من الحق في شيء أن يقال ان العلم والدين متفقان . بيد
أن هذا الخبر الذي هو أشد إيماناً باليهودية وأكثر ولوعاً بالعلم يريد
التوفيق بين العلم والدين وقد نهج منهجاً رشيداً . ووقف موقفاً



صاحب الفضيلة حاخام الاسكندرية
الاكبر دافيد براتو

حكيمًا من هذه الخصومة بين العلم الذي لا يلين قناته لغامز وبين
الدين ونصوص التوراة والكتب السماوية فهو محتاج الى الاثنين
معًا جامع اليهما متأثر بهما ومتهاك عليهما

كان هؤلاء الاعاظم ولا يزالون يواصلون جهودهم نحو معقل
الغاية العليا ويسرفون في الحرص على سلامة مدارسهم ومعاهدهم
اسرافا شديداً مقروناً بالنزاهة والحكم الصائب وسرعان ما برزت
اعمالهم برونًا يشف عن عصيتهم من الدنيا ومن أنهم وخدمهم
يمثلون القوة الادبية التي تحملنا على الاعتقاد بأن مجتمع الاسكندرية
سيدلل بواسطتهم ما بقي في هذا الطريق من العقبات بدأبهم في القضاء
على العوامل النفسانية اذ ليس أضر من خلاف أساسه الاثرة والانانية
وليس ادعى الى تحقيق الاماني من الحرص على حسن السرائر.
وصفاء الضمائر اكثر الله من أمثالهم فيمسيئون به بعد على هداية
وسداد والله المسئول أن يسدد خطاهم ويهديهم الى سواء السبيل

السعى فى سبيل التصافح

بين العرب واليهود

عاش اليهود مع اخوانهم المسلمين فى الاندلس قرونا مديدة
متآخين متساندين . متعاطفين يشد بعضهم ازر بعض . تسودهم
روح السلام والتصافى . وحسن الوثام

وعاش اليهود فى مصر ولواء العدل والسلام يتحقق فوق رؤوسهم
فى كنف الاسرة العلوية الشريفة من عهد محمد على الكبير الى
عهد مليكنا المعظم الذى جعله الله ملاذاً للانسانية . وذخراً للعرفان
هو الملك الجليل الذى رفع هامة مصر . وأعلى شأنها . وورقى بها
الى اوج السعادة وذرورة المجد صاحب الجلالة احمد فؤاد الاول . أمد
الله ملكه . وأطال عمره سعيداً . قرير العين بنجله صاحب السمو
الملكى الامير فاروق ولى العهد أمير الصعيد .

وعاش اليهود مع اخوانهم العرب فى الصحاري والقفار بعيدين
عن التجافى والخصام أحقاباً من الزمان

وعاش اليهود مع اخوانهم المسيحيين فى فرنسا . وانكلترا .

وأمریکا . وإيطاليا . عصوراً من الدهر نالوا في غضونهما مكانة رفيعة بين تلك الشعوب في أمان وطمأنينة . لا يتذمر أحد منهم . ولا يتبرم بهم . ولا يعتدى عليهم . وقد آوى إليها في هذه الآونة عدد لا يستهان به من الألمان اللاجئين ويحمل بنا أن نبسط هنا العبارة موجزة تاريخ اليهود في الجزيرة العربية للوقوف على متانة الأواصر التي كانت تربط اليهود بالعرب في تلك الجزيرة عامة وفي الأقاليم العربية بنوع خاص :

اليهود في جزيرة العرب

أفاض الدكتور ولفنسن أبو ذئيب استاذ اللغات السامية في هذا المبحث الذي يتصل دائماً باليهود وهو التاريخ القذالموسوم بتاريخ اليهود في بلاد العرب قبل الاسلام وأبان ظهوره وهو موضوع في نفسه قيم جليل الخطر بعيد الأثر جداً في التاريخ الادبي والسياسي والديني للامة العربية

ليس من شك في أن المستعمرات اليهودية قد أثرت تأثيراً قوياً في الحياة العقلية والادبية للجاهليين من أهل الحجاز أذ لا ينكرون ما كان لليهود من الاثر في الجزيرة العربية لذلك العهد لاسيما وأن القسم الكبير من سكان الجزيرة كان له من الحوادث السياسية والوقائع الحربية والآثار الاجتماعية ما يستوجب افرادة بطائفة من المؤلفات وما من أحد ينكر أن للبحث في تاريخ يهود الجزيرة العربية أهمية عظيمة في اماطة الاثام عن لهجات العرب ودياناتهم وعاداتهم لما بين اليهود والعرب من رابطة الدم ولما بين اللغة العبرية واللغة العربية من التشابه والاقتراب

على أن اللغة العبرية من أمهات اللغة السامية فقد كانت شائعة قبل نشوء بني اسرائيل وظهورهم في العالم اذ كانت لغة أهل فلسطين الكنعانية ولغة كثير من القبائل في طورسينا وشرق الأردن فضلاً عن ان الحالة قد تغيرت تغيراً كلياً بعد أن انتهت الخصومة السياسية بين الرسول وقبائل يثرب حتى شرع اليهود ينظرون بعين الاكبار والاحترام الى جيوش المسلمين التي كانت تغمر كالسيال أقطار العالم ونواحيه وكانت هذه الجيوش قد قضت على سلطة الدولة الرومية في أقاليم الناصية والدانية

وقد كان اليهود في أغلب مدن العراق يخرجون لاستقبال جيوش المسلمين بالحنفاة والاكرام لانهم كانوا يؤثرونهم على غيرهم أو يرون فيهم يوماً يؤمنون بالله موسى وابراهيم

وقد قسم تاريخ بني اسرائيل في بلاد العرب الى طورين أساسيين الطور الأول يشمل حوادث لبطون اسرائيلية بائدة في بلاد العرب والطور الثاني يتناول أخباراً لجموع من اليهود كان لها شأن عظيم في تاريخ الجزيرة العربية ويقف الطور الأول عند نهاية القرن الخامس قبل الميلاد. أما الطور الثاني فينتهي باجلاء الطوائف اليهودية من الجزيرة العربية. فلنكتفي الآن بذكر أهم الحوادث التي تخللت هذين الطورين فنقول

كان بنو اسرائيل في هذا الطور الاول يعبدون الله مع تقديمهم لبعض الاصنام على حين كانت طائفة منهم تعبد الله وحده مخلصين له الدين وهي طائفة الكهنة والانبياء وبعض الطبقات من الاشراف والملوك والنقباء الذين آمنوا برسالة موسى واتبعوا شريعته (١)

وكان الموحدون للآله في بدء الامر قليلين ولكنهم أخذوا يكثرون شيئاً فشيئاً على مرور الزمن وتوالي العصور حتى تأثرت العقلية اليهودية بالشريعة الموسوية وخضعت لها أفكار اليهود وامتلاّت بها قلوبهم وكان ذلك في بدء الطور الثاني بعد رجوع اليهود من السبي البابلي سنة ٥٣٨ ق . م

فلما رجع الوحيد الذي يمكن ان نستقي منه أخبار بني اسرائيل الى القرن الخامس ق . م انما هو كتاب العهد القديم وهو كتاب نستطيع منه الوقوف على حوادث الطوائف الاسرائيلية التي سكنت بلاد العرب

تحدثنا صحف أخبار الايام عن أول هجرة مشهورة في تاريخ بني اسرائيل الى بلاد العرب أن بطون بني شمعون سارت الى أرض طور سيناء مع ماشيتها اتبعت لها عن مرعى الى أن وصلت

(١) راجع كتاب المؤرخ كلاوزنر وكتاب العالم سمحوني

أخبار الايام فصل ٤

أرض قبائل معان فاشتبكت معها في قتال عنيف انتهى بفوز بطون
شمعون وتمزيقهم لأقوام من البطون المعانية شذر مذر

غير ان العالم دوزي يحاول في مصنفه عن بني اسرائيل في مكة
أن يثبت ان الهجرة الشمعونية حدثت قبيل عصر الملك داود
حوالي عام ١٠٠٠ ق . م في حين يعارضه المستشرق مرجوليوت
في كتابه عن علاقة العرب بالبطون الاسرائيلية قبل ظهور الاسلام
ويقول انها لم تحصل الا في عصر الملك حزقيا الذي حكم بلاد
يهوذا من سنة ٧١٧ - ٦٩٠ ق . م

معمول أن ترجع سنو الحن والتحط الناس عن مواطنهم
وتضطرمهم الى أن يرحلوا عنها ليجدوا ما يقتاتون به ولكنهم
لا يرحلون عن بلادهم جملة واحدة فلو صدقنا أن هذه الهجرة
قد وقعت كما يصورها لنا النص المنقول فاننا نعتقد أن يكون قد
حدثت في زمن قديم جدا في القرن الثاني عشر ق . م على أقل
تقدير اذ لم يكن بنو اسرائيل قد عرفوا بعد تدوين الحوادث التي
تقع لهم في صحف أي أنها حدثت في زمن غير بعيد من عهد
الاختلال الاسرائيلي للبلاد

ولقد وصلتنا أخبار شمعون في روايات غامضة وذلك لان بني
اسرائيل بعد توغلهم في فلسطين بقوا زمنا غير قليل محتفظين بصفات

ومميزات سكان الصحارى في أخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم وتقورهم
من كل أنواع التغير والتجديد

وقد مضت عليهم قرون عدة وهم في همجيتهم الاولى حتى
دار الزمن دورته وأخذت الأحوال الاجتماعية والأدبية تتبدل
وتتحول الى أن ظهر عند الشعراء والمفكرين ميل شديد الى
تدوين أخبار العصور الماضية وذكر أيام القبائل الاسرائيلية
وبيان أوطانها التي نزلت عنها والظروف التي دعت الى تركها .
وكان غرضهم من ذلك ان يحافظوا على انسابهم وأن يشيدوا بما
كان لهم من مجد وسؤدد

وتذكر لنا صحف العهد القديم من اخبار بني اسرائيل عدا هذه
الهجرة أن بلاد طور سينا وشمال الجزيرة بوجه عام كانت ملجأ
يقصده اليه كثير من بني اسرائيل الذين كانوا يفرون من وجه الملوك
والحكام الظالمين ^(١) ثم في عهد الملك بختنصر فانه حين غزا اورشليم
قصدت جموع من اليهود أرض الجزيرة ^(٢)

ولم تغفل المصادر العربية الاشارة الى أن قبائل اسرائيل كانت
تسكن بلاد العرب منذ زمن قديم جدا فقد قال صاحب الاغانى كان

(١) ملوك ج ١ فصل ١٩

(٢) ارميا فصل ٤٠ آية ١١

ساكنو المدينة في أول الدهر قبل بني اسرائيل قوما من الامم
الماضية يقال لهم العماليق وكانوا قد تفرقوا في البلاد وكانوا اهل
غزو وبغى شديد وكان ملك الحجاز منهم يقال له الارقم ينزل
ما بين تبء الى فدك وكانوا قد ملأوا المدينة ولهم بها نخل كثير
وزرع وكان موسى بن عمران قد بعث الجنود الى الجبابة من
أهل القرى يغزونهم فبعث موسى الى العماليق جيشا من بني
اسرائيل وأمرهم ان يقتلوهم جميعا اذا ظهروا عليهم ولا يستبقوا
منهم أحدا فقدم الجيش الحجاز فأظهرهم الله على العماليق فقتلوهم
اجمعين الا ابناً للارقم كان وضيئاً جميلاً فضنوا به على القتل وقالوا
نذهب به الى موسى فيرى فيه رأيه

فرجعوا الى الشام فوجدوا موسى قد توفي فقال لهم بنو
اسرائيل ما صنعتم فقالوا اظهرنا الله عليهم فقتلناهم ولم يبق منهم
أحد غير غلام كان شاباً جميلاً فنفسنا به عن القتل وقلنا نأتي به
موسى فيرى فيه رأيه فقالوا لهم هذه معصية قد أمرتم الا تستبقوا
منهم وأن لا تدخلوا علينا الشام أبداً فلما صنعوا ذلك قالوا ما كان
خيراً لنا من منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز نرجع اليها فنقيم بها
فرجعوا على حاميتهم حتى قدموا المدينة فنزلوها وكان ذلك الجيش
أول سكنى اليهود بالمدينة

ثم يحدثنا ابن خلدون أن داود لما خلع بنو إسرائيل طاعته
وخرجوا عليه فر مع سبط يهوذا إلى خيبر وملك ابنه الشام وأقام
بخيبر إلى أن قتل ابنه وعاد إلى وطنه فيظهر من هذا أن عمرانه كان
متصلاً يثرب وتجاوزها إلى خيبر

غير أننا نرى أنه لا يمكن التعميل على أقاصيص من هذا
النوع سردها المراجع العربية على أنها أساطير شائعة وروايات
غير جديرة بالاعتماد

وإنما الذي يمكننا أن نقوله على سبيل الظن اعتماداً على هذه
الأخبار هو أن القدماء قد اعتقدوا أنه قد وجدت في جهات
يثرب وخيبر بطون اسرائيلية قبل وصول جموع اليهود إلى الاصقاع
العربية في الدور الثاني

ويؤيد هذه النظرية ما تجده في كتاب العهد القديم من النص
على وجود علاقة متينة بين بلاد فلسطين وبلاد الجزيرة العربية
كانت فلسطين بمثابة القنطرة التي تربط بلاد العرب وسورية
من جهة. ومصر والعراق من جهة أخرى. وكانت القوافل العربية

تأتى من بلادها الى أسواق مدن بني اسرائيل وكنعان وكان تجار اليهود يرحلون الي سبأ في عهد سليمان . بعده

كذلك نعلم ان بعض ملوك بني اسرائيل انتصروا انتصارات باهرة على قبائل عربية وعمالقه غزوها وأنهم واصلوا غزواتهم حتى وصلوا الى ارض الجزيرة

ونعلم ايضا ان مدينة العقبة (ايلة) كانت في عصر من العصور مستعمرة يهوديه والخلاصة ان عناصر اسرائيلية تظن انها قد هاجرت من ديارها الى الاقاليم العربية في عصور مختلفة ولاسباب شتى غير انها بادت كما بادت قبائل عربية كثيرة ولم يبق من آثارها سوى اسمها

اخذت جموع كثيرة من اليهود في القرن الاول والثاني بعد الميلاد تهاجر الى الأرجاء العربية عموما والى الربع الحجازية بنوع خاص ولا شك أنه كانت هناك أسباب دعت هذه الجموع الى ترك أوطانها والنزوح منها الى البلاد العربية ويمكننا أن ننخص هذه الاسباب فيما يأتي

أولا زيادة عدد اليهود في فلسطين زيادة مطردة جعلت البلاد تضيق عن أن تسعهم وتفسخ لعملهم في سبيل الحياة وقد بلغ عددهم في ذلك الحين أكثر من أربعة ملايين نسمة وهو

عدد كبير لا تتسع له بلاد ضيقة ك فلسطين فاضطروا بحكم هذه الزيادة المستمرة والنمو المطرد ان يهاجروا الى ما حولهم من البلاد المجاورة لهم كمصر والعراق والجزيرة العربية
ثانياً- حدث حوالي القرن الاول ق . م أن هاجمت الدولة الرومانية بلاد فلسطين وقوضت أركان الدولة اليهودية المستقلة فيها وأخضعتها للسلطان النسر الروماني الذي قبض على زمام الحكم بيد من حديد ولكن الثور والاستياء في نفوس اليهود كان شديدا الى حد أن الفتن والثورات الغنية كانت تشتمل نيرانها من حين الى آخر وكان الرومان يجمعون تلك الثورات بشدة وقسوة تريد النفور وتضاعف الاستياء فاضطر من لم يكن يستطيع البقاء في البلاد مع هذه الاحوال القاسية أن يلجأ الى أرض الجزيرة العربية التي كانت أحب اليهم من غيرها نظرا لانظمتها البدوية الحرة ونظر الوجودها في أقاليم رملية بعيدة تعوق سير القوات الرومانية المنظمة وتمنع توغلها

ثالثاً- بعد حرب اليهود والرومان (٧٠ ب . م) التي انتهت بخراب بلاد فلسطين ودمار هيكل بيت المقدس وتشتت اليهود في أصقاع العالم قصدت جموع كثيرة أخرى من اليهود لبلاد العرب

للمزايا التي ذكرناها كما يحدثنا بذلك المؤرخ اليهودي يوسف
الذي شهد تلك الحروب وكان قائدا لبعض وحداتها وتؤيد المصادر
العربية كل هذا فتد ذكر صاحب الأغاني أنه لما ظهرت الروم
على بني اسرائيل جميعا بالشام خرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو
بهدل هارين منهم الى من بالحجاز من بني اسرائيل لما غلبتهم الروم
على الشام فلما فصلوا عنهم باهليهم بعث ملك الروم ليردهم فاعجزوه
وكان ما بين الشام والحجاز مفاوز وصحاري لا نبات فيها ولا ماء
فلما طلب الروم التمر انقطعت أعناقهم عطشا فماتوا وسمي الموضع
تمر الروم فهو اسمه الى اليوم

وتتلخص آراء بقية مؤرخي العرب في أن جموع اليهود في
الجزيرة العربية قد زادت وكثرت بمد اضطهادات الرومان لليهود
وقد يجوز أن تكون هذه الروايات اتصلت بالعرب من يهود
يثرب وخيبر

وإذا صح ما روينا سابقاً من تاريخ اليهود في الجزيرة العربية
في الدور الأول كان مؤيدا للرأي الذي يقول ان المهاجرين في الدور
الثاني قد توجهوا في بادئ أمرهم الى الجهات التي كانت مسكونة
بطوائف اسرائيلية من زمن قديم
ولقد كان لليهود الى عصور الدور الثاني يضع مستعمرات

صغيرة فصارت بعد ذلك الحين كبيرة وكثيرة . وظهرت مدن وقرى جديدة وآطام وحصون على رؤوس الجبال وانتشرت الحركة الزراعية في الاراضي التي كانت منذ ألوف من السنين قاحلة ماحلة لان اليهود كانوا يشتغلون في موطنهم الاصلي بالزراعة قبل كل شيء وكانت فلسطين غنية بحاصلات القمح والشعير والزيتون والتمر والعنب وكانت تصدر كثيراً من تلك الحاصلات الى جهات مختلفة منذ عصور قديمة

كذلك انتشرت الحركة الصناعية والتجارية وانشئت أسواق عديدة يهودية . ومن هنا يمكننا أن نستنتج ان الاستعمار الجديد لم يقم على حد الظبا ولم يؤد الى طرد قبائل عربية أصلية من مواطنها كما حدث في الدور الاول الذي استأصل فيه الفاتحون من بني اسرائيل شأفة قبائل مغنية وغيرها وإنما الذي حدث في الطور الثاني ان ضيوفاً مضطرين نزلوا على أبناء جلدتهم فاستقبلهم هؤلاء بالحنفاة والترحيب اذ كانوا يعلمون أنهم فارون من مخالب النسر الروماني وسهل الامتزاج بين هؤلاء وهؤلاء بحكم القرينة الجنسية والعاطفة الدينية وتعاون الجميع على العمل في سبيل الحياة فتجسروا وأثروا وكان لهم في بلاد العرب شأن عظيم^(١)

لا يغربن عن الدهن أن جهات يثرب ووادي القرى كانت
غير آهلة بكثير من العرب بل كانت جموع منهم تأتي الى وديانها في
أوقات معينة من السنة كقوافل راحلة مع إبلها لتأكل من أعشابها
ثم تنزح عنها الى جهات أخرى . وبطبيعة الحال كان لليهود في دورهم
الثاني بالجزيرة حوادث تاريخية ذات شأن بحكم عوامل التغيير
والانقلاب وبحكم اختلاف الامزجة وتعارض الاهواء وتضارب
المصالح فقد كان عددهم كبيراً بحيث يمكن اعتبارهم أمة قائمة بذاتها
يصيبها من ضرورات الاجتماع ما يصيب غيرها ويحدث بينها وبين
جيرانها العرب ما يحدث بين أية أمة أخرى وبين ما يجاورها
من الأمم

وأمامنا مراجع عبرية غير قليلة عن حياة اليهود في بلاد العراق
والقدس ومصر واليونان والرومان نجد فيها كل ما نتطلع اليه من
أخبار اليهود في تلك البلاد في حين لا نكاد نجد مؤلفات عبرية عن
يهود العرب الا شيئاً ضئيلاً جداً

بيد أننا نستطيع ان نستخلص من هذه الناحية نفسها نتيجة
ذات شأن وهي أن سكوت المراجع الاسرائيلية عن سرد حوادث
اليهود في الجزيرة العربية يدل دلالة قاطعة على أن اليهود في بلاد
العرب كانوا منقطعين تمام الانقطاع عن بقية أبناء جنسهم في جهات

العالم ولم تكن لهم بهم أية صلة وكان الجزيرة التي انحدت بقباثلها وانقطعت
عن العالم المتمدن انقطاعاً كلياً قضت على كل من يسكنها من اليهود أن
يكون مثل ابنائها وان يقطع كل علاقة بينه وبين يهود البلدان
الآخرى .

وكان العالم « شير » يعتمد ان اليهودية في بلاد الرب كانت
لها صبغة خاصة . كانت يهودية في أساسها ولكنها غير خاضعة لكل
ما يعرف بالقانون التلمودي

وكانت هناك قرى كثيرة في أرض خيبر الواقعة شمال يثرب
آهلة بأكثرية مطلقة من اليهود ثم هناك وادي القرى المشهور
بأرضه الخصبية وحدائقه الزاهرة كان أيضاً من المستعمرات اليهودية
ووجد اليهود أيضاً بكثرة في أرض تيماء

ويظهر جلياً من أقوال بعض مؤرخي العرب ^(١) ان بطونا
عربية كثيرة قد اختلطت بالعنصر اليهودي في بلاد الحجاز وأثرت
في اخلاقه وعاداته تأثيراً ظاهراً ولكنها لم تستطع ان تغلب على
عقليته الاصلية بل بقي هذا العنصر ممتازاً بعقليته امتيازاً ظاهراً
والآن تجتهد طائفة من المؤرخين الافرنيج في ان تجد لبعض

اسماء القبائل اليهودية اشتقاقاً عبرياً (١)

على ان الاستدلال يبحث لغوي كهذا على جنسية اليهود في بلاد العرب لا يمكن ان يعتد به او يعول عليه فمن الحق ان اسماء اكثر القبائل اليهودية عربية محضة كما يقول اليعقوبي ولكنها لا تدل على انها عربية الجنس اذ يمكن ان تكون جموع اليهود التي هاجرت الى بلاد العرب قد اتخذت اسماء الامكنة التي نزلت بها اسماء لها بل الواقع ان اليهود في دورهم الثاني لم يكونوا يعرفون بأنسابهم بل عرفوا كلهم بأسماء المدن والقرى والاقاليم التي جاؤا فيها فكان يقال مثلاً فلان الاورشليمي والآخرا الحبروني وهكذا . نعم كان بنو اسرائيل في دورهم الاول ينتمون الى قبائلهم فكان يقال مثلاً فلان من سبط يهوذا والآخرا من قبيلة افرايم . وكان اليهود في وطنهم الاصلي قبل ان تحمل بهم تلك الرزايا التي شئت شملهم وفرقتهم أيادي سبا قد وصلوا الى درجة عظيمة من المدنية والحضارة وبلغوا مكاناً عالياً في الرقي الروحاني والاجتماعي حتى انمحي من بينهم نظام القبائل وصاروا امة واحدة مندمجة اندماجاً كلياً حتى نسي الافراد فكرة التفاخر بالانتساب الى قبائلهم ونسبت القبائل عادة الانقباض والاحتراس من ان تختلط دماؤها بدماء

القبائل الأخرى بل أصبح المجموع للأفراد والأفراد للمجموع كما هو شأن جميع الأمم التي تنتقل من طور البداوة إلى طور الحضارة أقام اليهود الحصون والآطام على قمم الجبال ليتحصنوا بها في أوقات الحروب حين يغزوهم الأعراب الطامعون في أموالهم وحاصلاتهم الزراعية أو حين تغزوهم قبائل يهودية أخرى لسبب من الأسباب

على أن فكرة إقامة الحصون والآطام على قمم الجبال في شمال الجزيرة العربية إنما أتت بها اليهود من وطنهم الأصلي الذي كثرت في جباله الحصون المنيعه

ومن هذه الحصون التي أقامها اليهود في بلاد العرب حصن الأبلق للسموءل وحصن القمومي لبني أبي الحقيق وحصون السلام والوطيج وناعم وسعد بن المعاذ الخ

وقد روى السهودي أن قبائل اليهود تنيف عن العشرين عدة آطامهم وآطام من نزل معهم من العرب تزيد على السبعين^(١) ومع أن أغلب أسماء البلدان التي سكنها اليهود في الحجاز كانت عربية فقد وجد بعضها اتصال باللغة العبرية مثل وادي بطحان فإن معناه بالعربية الاعتماد ووادي مهزور أو محزور معناه مجرى

(١) خلاصة دار الوفاء باخبار دار المصطفى ص ٨٠

الماء وقال السهمودي سمران جبل بخير صلى النبي على رأسه والعامّة تسميه مسمران وضبطه بعضهم بالشين المعجمة . فاذا علمنا ان في فلسطين جبل يسمي سمران امكنا ان نستنتج ان سمران هذا انما هو لفظ عبري اطلقه اليهود على ذلك الجبل بعد ان نزلوا بجانبه على ان العلماء يهتمون بمثل هذه المسائل ليستدلوا بها على مبلغ تأثير اللغة العبرية في اليهود وليتوصلوا الى معرفة موضوعات مختلفة في تاريخ العرب في الجاهلية وفي عصر ظهور الاسلام ادخل اليهود الى بلاد العرب انواعا جديدة من الاشجار وطرقا جديدة للحراثة والزراعة بالآلات حتى عدوا من اجل هذا اساتذة لعرب الحجاز

وفوق ذلك فقد كان لليهود شغف بفنون القتال والنضال وقد اشتركوا مع العرب في بعض حروبهم المشهورة اما لغة اليهود في بلاد العرب فكانت بطبيعة الحال اللغة العربية ولكنهم لم تكن عربية خالصة بل كانت مشوبة بالارطانة العبرية لانهم لم يتركوا استعمال اللغة العبرية تركا تاما بل كانوا يستعملونها في صلواتهم ودراساتهم فكان من الضروري ان يدخل في غريبتهم بعض الكلمات العبرية

وقد ذكر صاحب فتوح البلدان ان يهود يثرب كانوا اساتذة

العرب في تعلم الكتابة العربية . ويقسم القرآن يهود الحجاز الى قسمين احبار وجهلة أميين . وكلمة حبر هذه عبرية الاصل اذ معناها الرفيق وقد كانت تطلق في العصور الاولى ق . م على كل عضو من اعضاء الشيعة اليهودية الدينية ثم لما تغلبت تعاليم هذه الفئة أصبح كل متعلم من اليهود يلقب بلقب حبر ولذلك كان الاحبار موضع الاحترام العظيم كما يتضح لنا من قصة لابن هشام (قال عبد الله ابن سلام فأدخلني رسول الله في بعض بيوت يهود دخل عليه بعض اليهود وكلموه ثم قال لهم : اي رجل الحصين ابن سلام فيكم قالوا سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا ^(١)

وقد يؤكده حديث البخاري هذا القول او يقول ان رسول الله كان اول ما قام المدينة يصلي قبل بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهراً وكان اليهود قد اعجبهم اذا كان يصلي قبل بيت المقدس ^(٢) وكان اليهود يستشفون الصلاة ثلاث مرات في كل يوم وكانت قبلة اليهود اثناء الصلاة متجهة الى بيت المقدس كما كانت قبلة رسول الاسلام الى زمن هجرته للمدينة اذ يحدثنا ابن هشام أن الرسول كان إذا صلى بين الركنين البراني والأشود وجعل

(١) ابن هشام جزء ٢ ص ١٠٩

(٢) البخاري جزء ١ ص ١٨

الكعبة بينه وبين الشام^(١)

وكان اليهود يصومون في العاشوراء فلما قدم النبي محمد المدينة ورآهم يصومونه قال ما هذا؟ قالوا هذا يوم صالح هذا اليوم نجى الله بنى اسرائيل من عدوهم فصامه موسى قال فأنا أحق بموسى منكم فصامه فأمر بصيامه وكان اليهود يعدونه عيداً^(٢)

واذا وقفنا الى ان نميز بين يهود الحجاز والعرب من وجهة الدين والعقلية فانه من المتعذر ان نوفق الى التميز بين العنصرين من وجهة الاخلاق والعادات والنظم والتقاليد الاجتماعية لأن اليهود الذين سكنوا في بلاد العرب لم يلبثوا أن تخلقوا بأخلاق العرب وتمسكوا بعاداتهم واتبعوا سبيلهم في النظم والتقاليد الاجتماعية حتى أصبحوا كأن لم يكونوا من جنس آخر غير الجنس العربي اذ لا يعلم أحد في تاريخ اليهود اقليماً تأثر فيه اليهود بأخلاق وعادات وتقاليد اثنائه الى هذا الحد سوى اقليم الجزيرة العربية

كان اليهود في تفاخرهم وتشاجرهم على حد ما كان العرب تماماً في جميع ذلك وكذلك كانوا مثلهم في التمدج بالشجاعة وعلو الهمة واكرام الضيف والنور من الجبن والبخل وكانوا يوقدون

(١) ابن هشام جزء ١ ص ٢٧١ وص ٣١٤

(٢) البخاري جزء ١ ص ٤٩٨

النيران في الليل ليرشدوا السائرين وليدعوهم الى الضيافة
والاكرام^(١) كما كان يفعل العرب اعلاء لشرفهم وصيانة لمجدهم .
وكما كان قرض الشعر كان طبيعة من طبائع العرب وسجية
من سجايهم وطريقة من أجل طرق التغير والتفكير لديهم حتي
كان المفكر العربي يسترسل في القول الموزون استرسالا ينسحر
العقول ويأخذ بالالباب كذلك اندفع اليهود في قرض الشعر باللغة
العربية اندفاعا قويا فجعلوا ينظمون الايات البديعة والقصائد
المتينة في الكرم والوفاء والشجاعة وفي وصف البلدان والحيوان
وفي وصف جمال المرأة والتشبيبها وبالاجمال كل ما كان يحرك نفس
العربي ويدعوه الى قرض الشعر من تهديد ووعد ومدح وثناء وذم
وهجاء ووصف ونخر كان يحرك نفوس الشعراء من اليهود في
الجاهلية ويدعوهم الى أن يخوضوا فيه بالقول الفصل والشعر المبين
ليس من شك في ان لليهود في الادب أثرًا كبيرًا ولا ريب
في ان اللغة العبرية تركت في اشعارهم اثارا ظاهرة خصوصًا فيما
يتعلق بالشعر الديني فقد كانت النزعة الدينية قوية في نفوس يهود
الحجاز فليس ممكنا ان لا يوجد هناك شعر ديني يمجّد التوحيد
وآل موسى وأنبياء بني اسرائيل ويحط من قيمة الاصنام وعبادتها

لان مثل هذا النوع قد ظهر في الادب اليهودي في كل عصوره القديمة.
فاذا أمعن الانسان نظره في قصائد السموءل يتضح له جليا
انها قد طرأ عليها كثير من التقلبات والتغيرات حتي ليتعذر على
الباحث ان يميز القديم منها والحديث أو يفرق بين الصحيح
والمنتحل .

هذا الى ان الايات القليلة التي وصلت الينا من شعر اليهود
لا يكفي لتخليد أسماء شعرلها مما يجعلنا نجزم بأنه قد كان هناك
شعراء مجيدون ولكن ضاع شعرهم ولم يبق لهم منه الا أسماؤهم
كلها صدى ما كان لهم من شهرة وبعد صوت
من المسير انكار وجود شعراء من اليهود في الجاهلية فقد
اشترك اليهود مع العرب في جميع المرافق الحيوية في الجزيرة
العربية من اقتصادية وسياسية فبعد كل البعد الا يشتركوا معهم
في النهضة الفكرية والشعرية ووجود علاقة متينة بين اليهود
والعرب يثبت اشتراك العنصرين في النزعة الشعرية وانها كانت
مطبوعة في النفس اليهودية وكامنة فيها قبل أن يسكن اليهود في
الجزيرة العربية فلما اتقلوا اليها واختلطوا بالعرب وتخلقوا بأخلاقهم
تمت هذه النزعة القطرية وأزهرت ثم أثمرت ثمرها الشهي فقرض
اليهود الشعر العربي ارتجالا

ولم نعرف منهم من هو أعظم شهرة وأبعد صيتا من السموءل
ابن عاديا الذي يشعر اسمه بأن أصله عبري .

وقال صاحب الاغاني انه من يشرب وكان صاحب تيماء التي
عرفت بتيماء اليهودية وعليها حصنه الا بلى الفرد يشرف على تيماء
بين الحجاز والشام على راية من تراب فيه آثار ابنية لا تدل على ما
يحكي عنها من عظمة وحصانة وهي خراب
أما قصيدته اللامية التي أولها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يحمل على النفس ضمها
فليس الى حسن التواء سبيل
تعبنا أنا قليل عدينا
فقلت لها إن الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياها مثلبا
شباب تسامي للعلا وكهول
وما ضرنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجار الاكثرين ذليل
لنا جيل يحتمله من مجيره
منيع برد الطرف وهو كليل
وما أصله تحت الثرى وسما به
الى النجم فرع لا ينال طويل

هو الابلق الغرد الذي شاع ذكره
 يمز على من رآه وبطول
 وإنا لقوم لا نرى القتل سبة
 إذا ما رآته عامر وسلول
 يقرب حب الموت أجالنا لنا
 وتكرهه آجالهم فتطول
 وما مات منا سيد حتف أخيه
 ولا طل منا حيث كان قبيل
 تسيل على حد الظلمات نقوسنا
 وليست على غير الظلمات تسيل
 صفونا ولم نكدر وأخلص سرنا
 إناث أطابت حملنا وفحول
 فنحن كماء المزن ما في نصابنا
 كهم ولا فينا بعد بنجيل
 وتكر إن شئنا على الناس قولهم
 ولا ينكرون القول حين نقول
 إذا سيد منا خلا قام سيد
 قؤول لما قال الكرام فعول
 وما أخذت نار لنا دون طارق
 ولا ذمنا في النازلين نزيل
 وأيامنا مشهورة في عنونا
 لها غرر معلومة وحجول
 وأسواقنا في كل شرق ومغرب
 بها من قراع الدارعين قلول

مسرودة ألا تبل لصلها
 فتعبد حتى يستباح قتل
 سلي إن جهلت الناس غنا وغنم
 فليس سواء عالم وجهول
 فهي قصيدة من أبدع القصائد تشتمل على مكارم الاخلاق من
 سماحة وشجاعة وتواضع وحلم وصبر وتكلف واحتمال للمكاره
 والشخصية البارزة بعد السموءل هي شخصية كعب بن
 الاشرق وكان من أصحاب النمود والبطش بالسيف واللسان لا على
 اليهود فحسب بل على قریش أيضا وقد كان عرييا أكثر منه يهوديا
 وكان شاعرا فارسا وخطيبا فصيحاً ثم أن هناك اسماً آخر يلفت
 عنايتنا وهو سارة القرظية التي ينسب اليها شعر في رثاء قومه بعد
 أن قتل ابو جيلة اشراف اليهود وهذا مطلعها

بنفسي أمة لم تغن شيئا بذى حرص تغنيها الرياح
 كهول من قرينة ألقها سيوف الخزرجية والرماح
 وليس ذلك بمعجب على الفتاة الاسرائيلية بوجه عام في جميع
 أدوار تاريخ أمتها إذ قد ظهر من الجنس اليهودي النابغات والشاعرات
 والبطلات والملكات

ونحن لم نبدأ من أن ترتبط هاتان الامتان ارتباطاً خالصاً
 قليلاً ويشتركا في المنافع المادية والمعنوية وإقناعهما بأنهما ستكونان

شريكتين في السراء والضراء وإيهما لا يمكنهما أن تعيشا على انفراد
لأنهما تشمران بأنه لا يصيب أحدهما سوء أو أذى إلا وتألم منه
الأخرى . ولا بد من تأخيهما لكي تنقلا ما بينهما من الاتحاد
المعنوي . والاتفاق الطبيعي المستمد من غابر الأزمان إلى الميدان
السياسي وأن تفرغاه في قالب مادي رسمي لا مرد له ولا حيدة عنه
فكل المظاهرات التي يقوم بتنظيمها دعاة الاضطراب وزعماء
لا يحبني العرب منه أية ثمرة فخراج اليهود من فلسطين لا تؤيده
البشرية ولا تسيغه مبادئ العدالة . وهل من العدل والحكمة
إخراج هؤلاء من تلك الأنحاء بعدما عمروها وأحيوها . وهل من
الصواب حرمانهم من مصانعهم ومزارعهم وتجارتهم ومعاهدهم
ودورهم ومدارسهم بعدما بذلوا أرواحهم في سبيل رقيها وتقديمها
وأفقوا عليها أموالهم توصلا لأنها ضاهاً وانجاحها . فاليهود محتاجون
إلى العرب . والعرب محتاجون إلى اليهود فهما أمتان مترابطتان .
هما من الجنس السامي لا تقبلان انفكاكاً ولا انحلالاً . هما متحدرتان
من أرومة واحدة هي أرومة إبراهيم الخليل عليه السلام . فليس إذن إلى
تفريق هاتين الأمتين ولا الفصل بينهما من سبيل ولا ريب في أن
الامر سيؤول في النهاية إلى حسن تصافيهما وإصلاح ذات البين
وزوال دواعي تجافيهما . وفي ذلك كل الخير لهما في بلاد يتجبانها

وبريدان أن تكون مناهل يرشغان فيها رضاب الخير والهناء والسعادة
نعم لا سبيل الى الشك في ان العالم بجميع أفعاله وأقطاره
وشعوبه وممالكه يجتاز الآن مرحلة من أصعب مراحل التاريخ
صلابة وأشدّها وعورة . وهو اليوم في مفترق الطرق . فالعالم القديم
والعالم الجديد ثائران مضطربان تغلوا فيهما مراحل الافكار .
مرتبان يبحثان عن المناهج الفضلى التي تنمضي بهما الى انقاذ البشرية
فكان الدنيا بركان فائر يتمخض عن بوارد غنيغة وحوادث عظيمة .
والانسانية بأسرها تنتظر بفارغ الصبر هذا المخاض لاحتضان المولود
الجديد . ولكنها لا تستطيع الرجم بالغيب لا سيما وأن احتياج
المجهول من المعلوم خرقا في الرأي ومغامرة في التعليل والتدليل .
فالانسانية حيرى . اذ لم يكده هذا القرن العشرون ينبليج فجره حتى
عقد العالم عليه اعظم الامل واسمي الاماني . ولم يكده ينصرم القرن
الناسع عشر حتى اخذ اقطاب المفكرين وعلماء الاجتماع يشيدون
من تلك الامل اللذيذة قصورا وعلايا على اسس التفكير الحديث
وان الحضارة القشبية قد قايت صفحة جديدة في سجل الوجود
الانساني بيد ان هذه السعادة لم تكن واستفاء الا برقا خلبا او
شهابا مارا وان ذلك الحلم مالبث ان انهار وأعقبته بقطة فاجعة مروعة
أزالت بهجة هذه الرؤيا الجميلة الساحرة وطمست اثارها

والايام تظهر العجائب ولا بد من مرور بعض الزمن لكي
تتاهب الاذهان وتستعد النفوس لقبول التطورات التي لا مندوحة
من أن تتأثر بها وتجري على سننها مع مرور الايام وكرور الاعوام
ونحن نضرع الى المولى عز وجل أن يأم هاتين الأمتين السداد
ويصرف جهودهما الى مافيه الهداية والاسعاد ويوفقهما الى طريق
الاصلاح والارشاد انه على كل شيء قدير .

فهرست

صفحة

١٣	اليهود في عهد الفراعنة
١٦	تاريخ الصهيونية وموسى الكليم عليه السلام
١٩	يوسف الصديق في مصر
٢١	الملك سليمان وعلاقاته مع الدولة الفرعونية
٢٢	المراحل التي اجتازها الصهيونية
٢٨	هرزل مولده ونشأته
٣٠	هرزل ومشروعاته الإصلاحية
٣٣	ناحوم سو كولو وأحكام الانون
٣٦	الزمن السابق لهرزل
٣٨	ثورة بار كوخباه الكبرى
٣٩	بنيامين الفاح
٤٤	في مهد الفتوحات الاسلامية واحتفاء أمراء العرب باليهود واكرام وقادتهم
٤٥	علماء اليهود الألمان
٤٦	الاستاذ ليون كاسترو
٥٣	سيمون ماني
٦٠	العالم فرتر هابير مكتشف عنصر الازوت
٦٣	عدد الجنود الألمان في الحرب العظمى
٦٨	بحث اتولوجي في العصبية الجنسية وخيمومة السامية

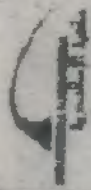
- ٧١ دحض النظرية الألمانية
- ٧٤ الحركة الدريفوسية
- ٨٢ القورات الاربع
- ٨٨ بحث للأسوف عليه أدولف بك قطاوى عن العشائر اليهودية
- ٩٠ القبائل اليهودية في الصحراء
- ٩٦ تسامح العرب نحو اليهود
- ٩٩ مطامح نابليون الاستعمارية
- ١٠٦ نداء نابليون الى اليهود ومراميه الكبرى في الشرق
- ١١٠ الشاعر يهوداه هاليفى
- ١١٥ حليم فارحى ودفاعه المجيد
- ١١٦ مولده ونشأته
- ٢٢٤ اقتراحات البرنس دى لينيه فى مذكرته عن اليهود
- ١٢٤ اغتيال حليم فرحى
- ١٣٣ ما أظهره اليهود من البسالة للاخذ بثأر حليم فارحى
- ١٣٧ السير موسى موتوفورى
- ١٤٠ موتوفورى وعلاقاته بالبلاط البريطانى
- ١٤٢ عطف الملكة فكتوريا على موتوفورى
- ١٤٩ عطف محمد على باشا الكبير على موتوفورى وقبول مشروعه
- ١٥٥ الاعتداء على اليهود
- ١٦١ أدولف كروميو
- ١٦٦ فتوحات البطل المغوار ابراهيم باشا فى سوريا ووقف مشروع موتوفورى
- ١٦٨ معركة نصيين الكبرى
- ١٨١ اختفاء غلام يهودى

- ١٨٦ دزرائيلي أو اللورد يكو نسفد
١٩٢ مولده ونشأته
١٩٦ — ١٩٧ عهده - عقيدته وإيمانه
٢٠٢ الفيلسوف الكبير ما كس بوردو واهتمامه بالمسألة اليهودية
٢٠٦ تل أييب وموقعه الجغرافي
٢١٧ الجامعة العبرية
٢١٨ حاييم وزمن والبير انشتن وعهدهما
٢٢٩ دار الكتب أو الكتبخانة العبرية
٢٢٨ الصادرات والواردات
٢٤١ ميناء حيفا وموقعها الجغرافي
٢٤٧ العرب واليهود وضرورة تبادل حسن الثقة
٢٥٣ الغازي مصطفى باشا كمال واليهود في تركيا
٢٥٧ صاحب الفضيلة حاخام مصر الاكبر حاييم ناحوم اقتسدي
وعلاقاته الدولية والسياسية
٢٦١ مولده ونشأته
٢٦٤ الحاخام ناحوم وملك الحبشة
٢٦٧ صاحب السعادة يوسف أصلان قطاوى باشا وابرامينو منشى
٢٦٩ مشروعاتهما الاصلاحية والعمرانية
٢٧٢ موسى قطاوى باشا وسعد سوارس ويوسف بك موصيري
٢٨١ يهود الاسكندرية وحاخامهم الاكبر صاحب الفضيلة دافيد براتو
٢٨٦ السعى في سبيل التصافح بين العرب واليهود
٢٨٨ اليهود في جزيرة العرب

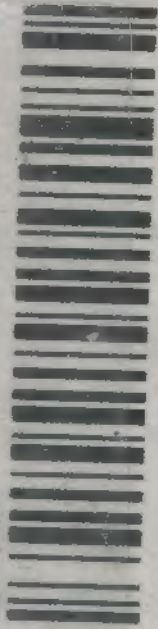
اصلاح خطأ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧	١٠	السييل	السييل
١٢	١٣	جيل	جيل
١٤	٢	مرا بطهم	مرا بضمهم
١٩	٨	صعدت	تصعد
٣١	١٣	ذوائع	دَرَائِع
٣٣	١	المرحوم	الزعيم
٤٥	١٥	المطاردة	المصادرة
٤٦	١٠	الشايق	السابق
٥٤	١٣	احشاؤهم	احشاءهم
٥٧	٥	هم	هي
٧٩	٤	السطح	للسنخ
٦٨	١	ابتولوجي	اتولوجي
٧٩	٧	كيف	يد
١٥١	١٦	سوربه	سوريا
١٥٣	١٦	كباثر	كباثره
١٥٨	٤	تلاشي	تلاش
١٥٨	١٧	شجي	شجا
١٦٠	٢	بصبغة	صبغة
١٧٧	٦	مخدمه	مخدمة

صفحة	سطر	خطاء	صواب
١٧٩	٩	مجير	مخير
١٨١	١١	هادىء	هادى
١٨١	١٢	الطوارىء	لطوارىء
١٨٢	٥	يجهه	مجهه
١٨٥	١	التزاعة	النزاعة
٢٤٩	١١	دماؤهم	دماهم
١٨٥	٣	جامح	جانح
٢٨٧	٥	العبارة	بعبارة



Bibliotheca Alexandrina



0404031